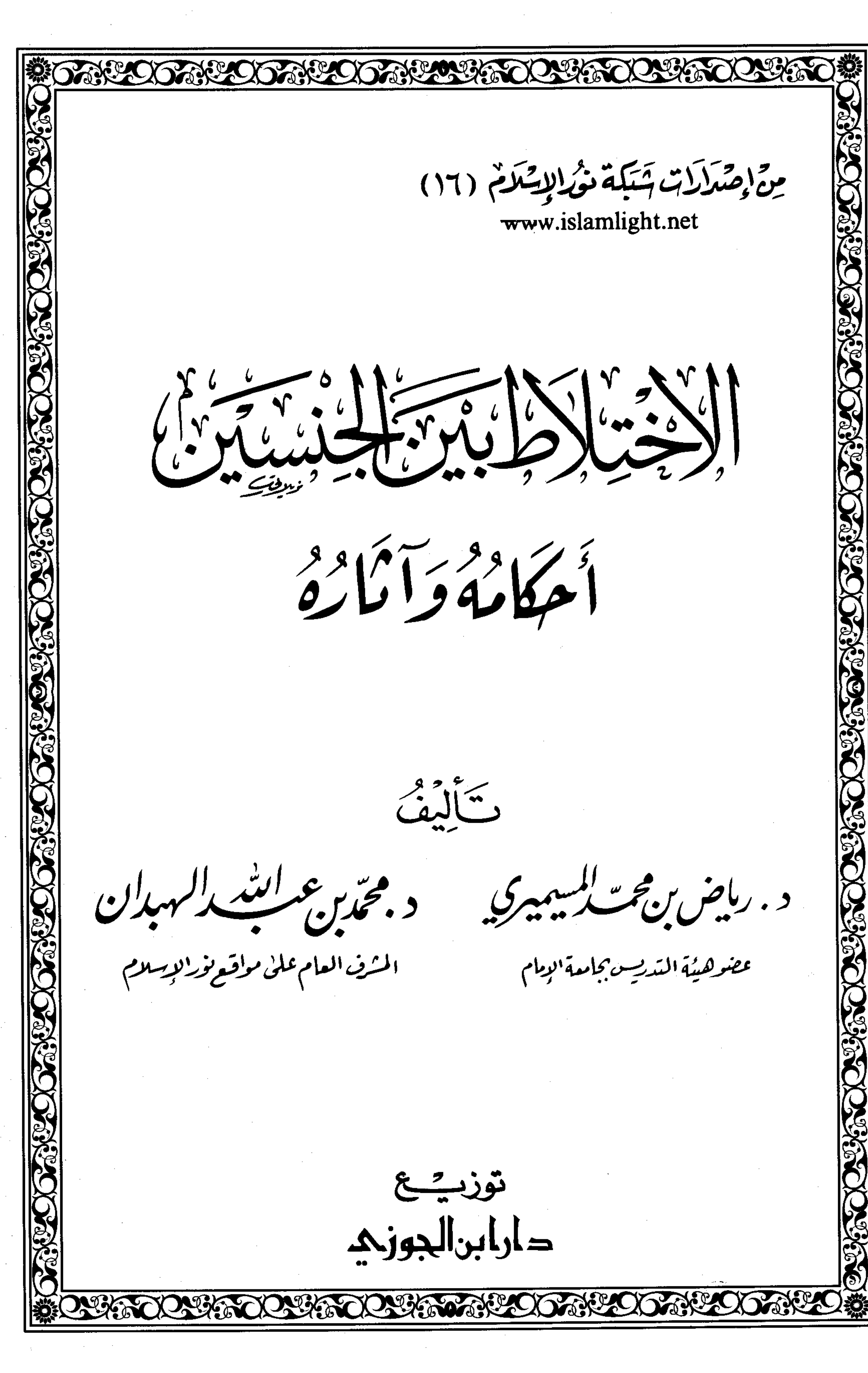


من إصدارات شبكة نور الإسلام (١٦)
www.islamlight.net

الاختلاط بين الجنسين

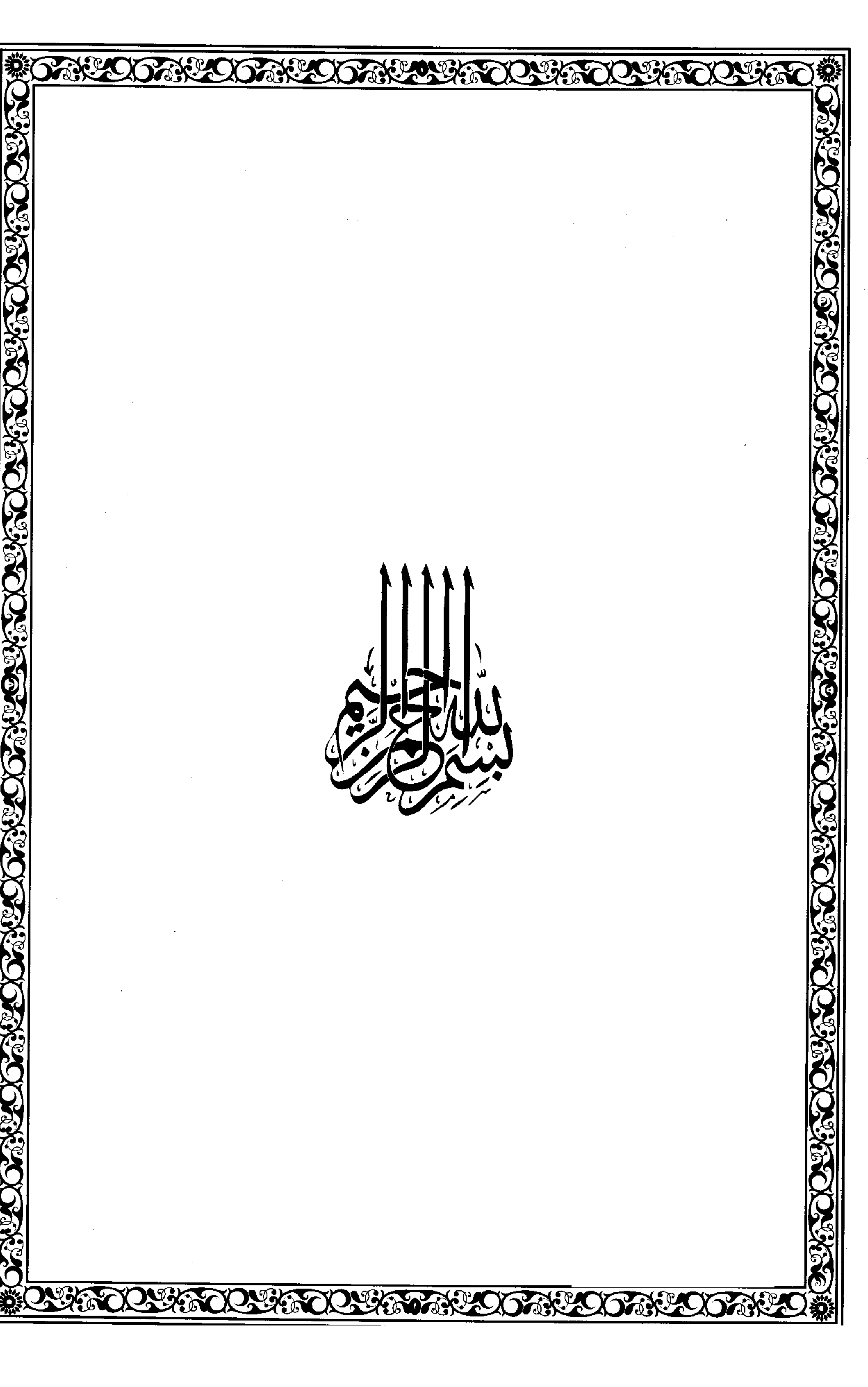
أحكامه وآثاره

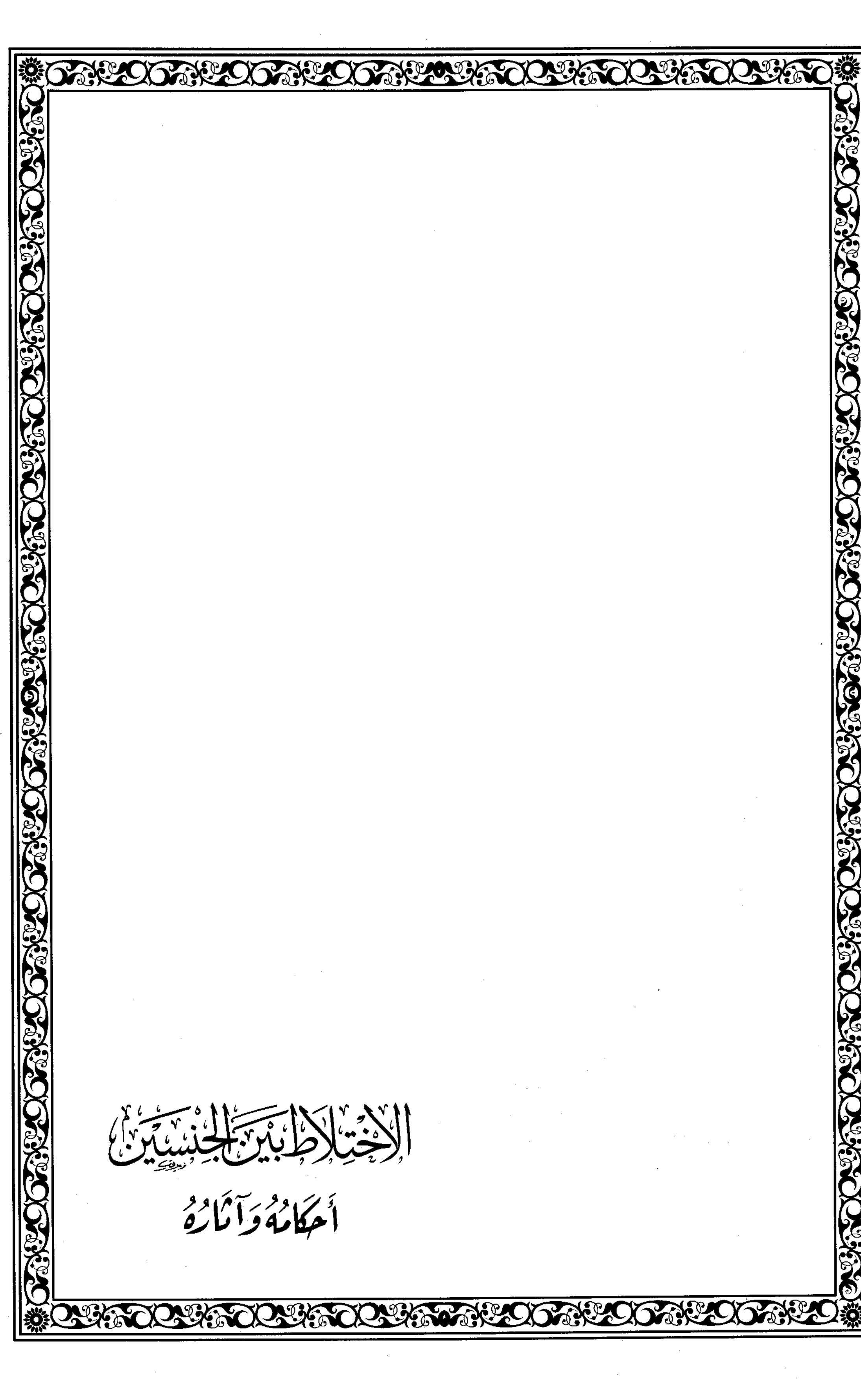
تأليف

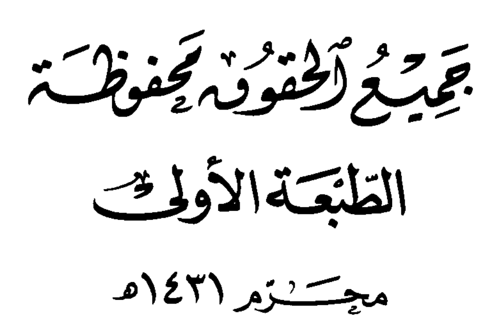
د. رياض بن محمد المسيميري
عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام

د. محمد بن عبد الله الهبدان
المشرف العام على مواقع نور الإسلام

توزيع
دار ابن الجوزي


بسم الله الرحمن الرحيم


الاختلاط بين الجنسين
أحكامه وآثاره



للتواصل مع شبكة نور الإسلام
جوال: ٠٥٩٠٩٩٥٢١٨
ص. ب.: ٣٦٦ الرمز البريدي: ١١٣٤٢
هاتف وفاكس: ٠١٢٣٢١٤١٠
البريد الإلكتروني: islamlight.net5@gmail.com
الخط الساخن للفتاوى والاستشارات: ٠١٢٣٠٣٠٩٩

توزيع دار ابن الجوزي المملكة العربية السعودية: الدمام - ت: ٨٤٢٨١٤٦ - ٨٤٦٧٥٩٣
ص ب: ٢٩٨٢ الرمز البريدي: ٣١٤٦١ - فاكس: ٨٤١٢١٠٠ - الرياض - تلفاكس: ٢١٠٧٢٢٨
جوال: ٠٥٠٣٨٥٧٩٨٨ جدة - ت: ٦٨١٣٧٠٦ - ٦٣٤١٩٧٣ - الإحساء - ت: ٥٨٨٣١٢٢
القاهرة - محمول: ٠١٠٦٨٢٣٧٨٣ تلفاكس: ٠٢٤٤٣٤٤٩٧٠
aljawzi@hotmail.com - www.aljawzi.com

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلن تجد له وليّاً مرشداً، ونشهد ألّا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنَّ محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعه إلى يوم الدين:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ۝٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشرّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار[(١)].

فإنَّ النّاظر في أحوال عالمنا الإسلامي يجده يعاني من أزمات ضخمة، ومصائب جمَّة تستدعي تظافر الجهود وتوجيه الهمم لمكافحتها والحدّ من خطورتها واستفحالها. ومن تلك الأزمات المؤلمة والنوازل الخطيرة: أزمة الاختلاط وآثاره على الأفراد والمجتمعات، وحيث وجدنا بعض الكتابات تدعو إليه وتشجع عليه، أو تقلل من خطورته، رغبنا البحث في هذا الموضوع

(١) هذه خطبة الحاجة التي كان يعلمها النبي ﷺ لأصحابه. انظر: صحيح مسلم (١٤٣٥).

الهام، والنظر فيه بعين الإنصاف والموضوعية، والتجرد والتحري لعلنا نخْرُج برؤية واضحة، ومعالجة جادّة لهذه القضية الخطيرة، ونسأل الله ـ تعالى ـ أن نكون قد وُفِّقْنا لعرض الموضوع عرضاً مناسباً، وقدّمنا للمكتبة الإسلامية، وللباحثين عن الحقيقة كتاباً نافعاً، وبحثاً مؤصَّلاً ينتفع منه المسلمون، ويأخذون بما جاء فيه من بيان وحق، وسيكون منهجنا في هذا الكتاب على نحو مما يلي:

يحتوي البحث على مقدمة وأربعة فصول:

المقدمة:

وتشمل على:

أولاً: أسباب اختيار الموضوع.

ثانياً: الدراسات السابقة للموضوع.

الفصل الأول: التمهيد.

وتحته ستة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الاختلاط لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني: تحرير محل النزاع.

المبحث الثالث: أصل كلمة الاختلاط.

المبحث الرابع: أقوال العلماء في ذم الاختلاط والتحذير منه.

المبحث الخامس: دعاة الاختلاط في العالم الإسلامي.

المبحث السادس: الوسائل المستخدمة لترويج الاختلاط وفرضه.

الفصل الثاني: حكم الاختلاط.

ويتضمن المباحث التالية:

المبحث الأول: الأدلة من القرآن الكريم.

المبحث الثاني: الأدلة من السنة النبوية.

المبحث الثالث: قاعدة سد الذرائع.

المبحث الرابع: أدلة النظر الصحيح.

الفصل الثالث: آثار الاختلاط.

ويتضمن المباحث التالية:

المبحث الأول: آثاره على الدين.

المبحث الثاني: آثاره على المجتمع.

المبحث الثالث: آثاره على التعليم.

المبحث الرابع: آثاره على الرجال.

المبحث الخامس: آثاره على المرأة.

المبحث السادس: آثاره على الأسرة.

المبحث السابع: آثاره على الاقتصاد.

المبحث الثامن: آثاره على الصحة.

الفصل الرابع: حوار مع المخالفين.

ويتضمن المباحث التالية:

المبحث الأول: مواقف حصلت في الأمم السابقة.

المبحث الثاني: مواقف حصلت قبل فرض الحجاب.

المبحث الثالث: مواقف حصلت من وراء حجاب.

المبحث الرابع: مواقف حصلت مع كبيرات في السن.

المبحث الخامس: مواقف حصلت وأدلتها محتملة.

المبحث السادس: مواقف حصلت وأدلتها ضعيفة.

المبحث السابع: مبررات الاختلاط.

المبحث الثامن: شبهات فكرية في جواز الاختلاط.

الخاتمة.

فنسأل الله ـ تعالى ـ التوفيق والسداد، وأن ينفع بهذا الجهد ويبارك فيه وصلى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



المقدمة

⬅ أولاً: أسباب اختيار الموضوع:

أولاً: لم نجد ـ فيما اطّلعنا عليه من كتب ورسائل ـ مَنْ جَمَعَ أبعاد هذا الموضوع من كلٍّ نواحيه وناقش حجج القائلين بالجواز، وحجج القائلين بالمنع.

ثانياً: أنّ هذا الموضوع من الموضوعات الساخنة في الساحة الإسلامية، ويحتاج إلى تمحيص واستقراء.

ثالثاً: أنْ يكون هذا البحث مرجعاً للباحثين في هذا الموضوع الهام؛ لإفادة أمتهم ومجتمعاتهم.

⬅ ثانياً: الدّراسات السابقة للموضوع:

هناك عِدّة دراسات كتبت في هذا الموضوع، وقد تم التوصل إليها عن طريق مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية وغيره.

فمن تلك الدراسات:

١ ـ الدعوة إلى إباحة الاختلاط: أخطر بدعة اجتماعية تهدد المجتمع المسلم من داخله.

المؤلِّف: محمد نعيم ساعي.

بيانات نشر: القاهرة: دار أم القرى ١٩٩٦م/١٤١٧هـ.

وقد أورد المؤلف بعض حجج القائلين بجواز الاختلاط وناقشها.

٢ ـ دراسة لمشكلات الاختلاط في التعليم الثانوي الفني.

اسم الباحثة: سمية السيد متولي.

الجامعة المانحة للدرجة: جامعة المنوفية، الكلية: التربية، القسم: أصول التربية، مستوى الرسالة: ماجستير، تاريخ المناقشة: ١٩٩٧م.

٣ ـ تصوّر العلاقة بين الجنسين لدى عينة من المراهقين والمراهقات من طلاب المدارس الثانوية المختلطة وغير المختلطة ـ دراسة مقارنة ـ.

اسم الباحثة: عبير رشيد زكا قلدس.

الجامعة المانحة للدرجة: جامعة عين شمس، مستوى الرسالة: ماجستير، تاريخ المناقشة: ٢٠٠١م.

٤ ـ الاختلاط وأثره في سلوك الفرد والجماعة، وموقف الإسلام منه.

اسم الباحث: محمد عبد الخالق أحمد.

الجامعة المانحة للدرجة: جامعة الأزهر، الكلية: أصول الدين.

تاريخ المناقشة: غير معروف.

٥ ـ تصورات وآراء من واقع اختلاط الجنسين الدراسي: نتائج العام بالجزائر العاصمة: السن من ١٦ إلى ١٩ سنة.

اسم الباحث: الشريف شعبانة.

الجامعة المانحة للدرجة: جامعة الجزائر، الكلية: معهد علم النفس، مستوى الرسالة: دراسة معمقة، تاريخ المناقشة: ١٩٨٥م.

٦ ـ أثر الاختلاط على التفاعل الاجتماعي بين طلبة وطالبات جامعة أسيوط.

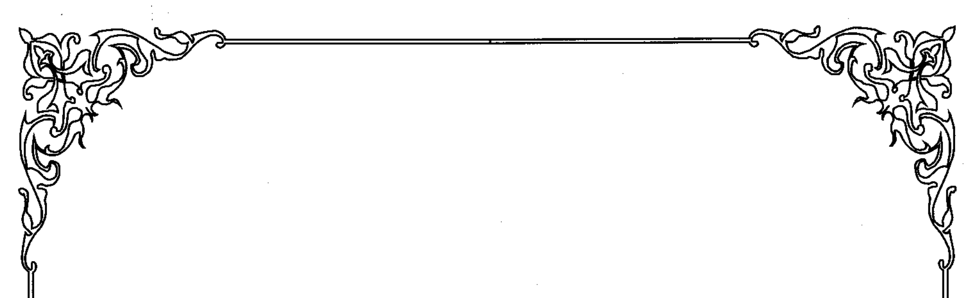
اسم الباحثة: حنان صلاح الدين محمد الحلواني.

الجامعة المانحة للدرجة: جامعة أسيوط، الكلية: التربية، القسم: التربية، مستوى الرسالة: ماجستير، تاريخ المناقشة: ١٩٩٦م.

٧ ـ أثر مُشْكِلتَيّ الاختلاط والمنهاج التعليمي على تعليم الفتاة المسلمة في الجامعات الأردنية.

اسم الباحثة: فاطمة محمد الرجا مناصرة.

الجامعة المانحة للدرجة: جامعة اليرموك، الكلية: الشريعة والدراسات الإسلامية، القسم: أصول الدين، مستوى الرسالة: ماجستير، تاريخ المناقشة: ١٩٩٥م.



الفصل الأول

التمهيد

وتحته ستة مباحث:

المبحث الأول: تعريفُ الاختلاط لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني: تحرير محل النزاع.

المبحث الثالث: أصل كلمة الاختلاط.

المبحث الرابع: أقوال العلماء في ذمّ الاختلاط، والتحذير منه.

المبحث الخامس: دُعاة الاختلاط في العالم الإسلامي.

المبحث السادس: الوسائل المستخدمة لترويج الاختلاط وفرضه.







المبحث الأول

تعريف الاخْتِلَاطِ لغة واصطلاحاً

○ أولاً: التعريفُ اللغوي:

الاخْتِلَاطُ: كلمةٌ مشتقةٌ من (خَلَطَ) وهو: الْمزْجُ ونحوه، وإطلاقها على اجتماع الرجال بالنساء: إطلاق صحيح يتفق مع المعنى اللغوي لهذه الكلمة؛ فقد جاء في القاموس المحيط: (امرأة خِلْطَة. مختلطة بالناس)[١].

وورد في المصباح المنير: (خَلَطْتُ الشيء بغيره خلطاً من باب (ضَرَبَ): ضممته إليه فاخْتَلَطَ هو، وقد يمكن التمييزُ بعد ذلك كما في خَلْط الحيوانات، وقد لا يمكن كخلط المائعات.

قال المرزوقي: أصل الخَلْط: تداخل أجزاء الأشياء بعضها في بعض، وقد توسع فيه حتى قيل: رجل خَلِيْطٌ إذا اختلط بالناس كثيراً)[٢].

○ ثانياً: التعريفُ الاصطلاحي:

لم نقف ـ فيما بحثنا ـ على من وضع له تعريفاً جامعاً مانعاً من المتقدمين، غير أنّ بعض المعاصرين ذكروا له تعريفات تدور في فلك واحد، يرتكز محوره على المعنى اللغوي؛ فمن ذلك:

قال العلامة ابن باز ﷺ في تعريف الاخْتِلَاطِ: (هو: اجتماع الرجال بالنساء الأجنبيات، في مكان واحد، بحكم العمل، أو البيع، أو الشراء، أو النزهة، أو السفر، أو نحو ذلك)[٣]

---

(١) القاموس المحيط، للفيروزآبادي مادة (خلط) (٢/ ٢١٣ ـ ٢١٤).

(٢) المصباح المنير، لأحمد بن محمد الفيومي مادة (خلط) (٣/ ١١٤).

(٣) من مقال بعنوان خطر مشاركة المرأة للرجل في ميدان العمل. انظر: فتاوى ومقالات متنوعة (١/ ٤٢٠).

وقال الشيخ عبد الله بن جار الله رَحِمَهُ اللهُ: (الاخْتِلَاطُ هو: الاجتماع بين الرجل والمرأة التي ليست بمحرم، أو اجتماع الرجال بالنساء غير المحارم، في مكان واحد يمكنهم فيه الاتصال فيما بينهم، بالنظر أو الإشارة أو الكلام، فخلوة الرجل بالمرأة الأجنبية على أي حال من الأحوال تعتبر اختلاطاً)[١].

وقال الشيخ محمد المقدم في تعريف الاخْتِلَاطِ المستهتر: (هو: اجتماع الرجل بالمرأة التي ليست بمحرم، اجتماعاً يؤدي إلى الرّيبة، أو هو: اجتماع الرجال بالنساء غير المحارم في مكان واحد يمكنهم فيه الاتصال فيما بينهم بالنظر، أو الإشارة، أو الكلام، أو البدن، من غير حائل أو مانع يدفع الريبة والفساد)[٢].

ـ وقال الشيخ محمد الأباصيري خليفة: (الاخْتِلَاطُ هو: اجتماع الرجل بالمرأة التي ليست بمحرم اجتماعاً يؤدي إلى ريبة)[٣].

ولعلّ التعريف الذي يكون جامعاً مانعاً هو:

اللقاءُ المباشر المقصود بين الجنسين غير المحارم مع إمكان التحرز منه.

قولنا: (**المباشر**): خرج بذلك ما يكون من وراء حجاب، كما هو الحال في الدوائر التلفزيونية المعمول بها في جامعات وكليات البنات في السعودية.

قولنا: (**المقصود**): كالعمل أو التعليم المنظَّم، أو الاجتماعات الخاصة والعامة الدينية وغير الدينية أو السفر أو النزهة أو نحوه، ويخرج بذلك اللقاء العابر، واللقاء العفوي.

تعريف اللقاء العابر: هو لقاء محدود تقتضيه طبيعة الحياة البشرية، وتلتزم فيه المرأة بالضوابط الشرعية عند تعاملها مع الرجال الأجانب، كسؤال عن متاع أو استفتاء، أو بيع وشراء ونحوه.

---

(١) مجلة الأسرة، آفة التعليم: الاختلاط، العدد رقم (٧٠) بتاريخ محرم ١٤٢٠هـ، ص٦٩.
(٢) عودة الحجاب، لمحمد أحمد إسماعيل المقدم (٣/ ٥٢).
(٣) المرأة والتربية الإسلامية ص٤٧، محمد الأباصيري خليفة.

قولنا: (**بين الجنسين غير المحارم**): يُستثنى من ذلك الدخول على المخطوبة ورؤيتها، حيث رخّص الإسلام في ذلك ونفى الحرج منه.

قولنا: (**مع إمكان التحرز منه**) ويخرج بذلك ما تعسّر أو تعذّر التحرّز منه مثل:

- الطواف، ورمي الجمار.
- حالات الاضطرار كإسعاف غريق أو حريق ونحوه، أو مداواة لمريض عند فقدان المماثل في الجنس، أو الإدلاء بالشهادة أمام القضاة.

ويُشترط في حالات الاضطرار: ألا يُبْغَى فيها ولا يُعْتدى، لعموم قول الله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ﴾ [البقرة: ١٧٣].

ومعنى (**غير باغ**): ألّا يكون للمضطر وسيلة أخرى تدفع بها الضرورة غير فعل المحظور.

ومعنى (**ولا عاد**): أن يكون فعل المحظور بقدر ما تندفع به الضرورة.





المبحث الثاني

تحرير محل النزاع

لقاء النساء بالرجال له أربع حالات:

ـ **الحالة الأولى**: لقاء النساء بمحارمهنّ من الرجال، وهذا لا إشكال في جوازه.

ـ **الحالة الثانية**: لقاء النساء بغير محارمهنّ من الرجال لغرض الفساد، وهذا لا إشكال في تحريمه.

ـ **الحالة الثالثة**: لقاء النساء بغير محارمهنّ من الرجال لقاء محدوداً عابراً، وذلك لقضاء حاجة سريعة مثل سؤال عن متاع، أو استفتاء، أو بيع وشراء ونحوه، فهذا غير داخل في محل النزاع.

ـ **الحالة الرابعة**: لقاء النساء بغير محارمهنّ من الرجال لقاءً مباشراً مقصوداً مستديماً مع إمكان التحرز منه.

فهذا هو محل الدراسة.





المبحث الثالث

أصل كلمة الاختلاط

زعم قوم أنّ كلمة الاختلاط (لفظة مُستحدثة في عصرنا، لم تستعمل في أي موضع من القرآن الكريم، سواء بلفظها أو مدلولها، ولم ترد في أيّ حديث نبوي، ولا أيّ كتاب من كتب الفقه والتشريع)[١].

وهذا الكلام إن دلَّ على شئ فإنَّما يدل بأنّ البعض يُلقي الكلام على عواهنه، دون تحرٍّ أو بحث أو استقراء، مما يستوجب على الباحث، وطالب الحق أن يُمَحِّص ما يقرأ لمثل هؤلاء، ويكون على بصيرة وحذر بالغَيْن.

وفي هذا المبحث سنذكر الأدلة من السُنَّة على ورود هذا اللفظ، وأنّه غير حادث، وإذا وردت بالسُنَّة فلا شك من ورودها في كتب أهل العلم، وسنذكر ـ بإذن الله تعالى ـ في المبحث الرابع كلام العلماء في ذلك.

◙ أدلة جاءت بها السُنَّة:

١ ـ ما رواه البخاري في صحيحه عن ابن جريج قال: أخبرني عطاء. . وفيه: «قُلْتُ: كَيْفَ يُخَالِطْنَ الرِّجَالَ؟ قَالَ: لَمْ يَكُنَّ يُخَالِطْنَ كَانَتْ عَائِشَةُ ﵂ تَطُوفُ حَجْرَةً مِنْ الرِّجَالِ لَا تُخَالِطُهُمْ. .»[٢].

٢ ـ عن مالك بن ربيعة ﵁ أَنَّهُ «سَمِعَ رَسُولَ اللهِ يَقُولُ وَهُوَ خَارِجٌ مِنْ الْمَسْجِدِ ـ فَاخْتَلَطَ الرِّجَالُ مَعَ النِّسَاءِ فِي الطَّرِيقِ ـ فقال رسول الله ﷺ للنساء:

---

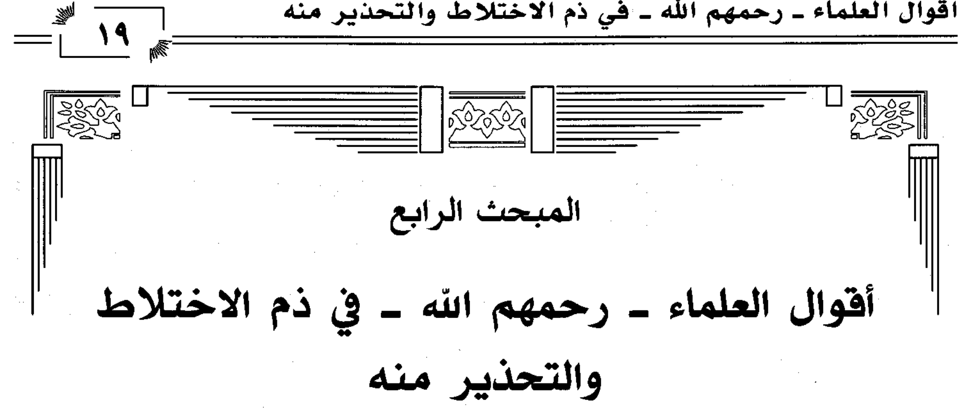
(١) الاختلاط في الدين وفي التاريخ وفي علم الاجتماع، للدكتور أحمد الفنجري، ص٢٢.

(٢) رواه البخاري ورقمه (١٦١٨).

استأخرن فإنه ليس لكنَّ أن تحققن الطريق، عليكن بحافات الطريق. فكانت المرأة تلصق بالجدار، حتى إن ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها به»[(١)].



(١) رواه أبو داود ورقمه (٥٢٧٢). وسكت عنه المنذري وله شاهد عن أبي هريرة ﷺ بلفظ: (ليس للنساء وسط الطريق) رواه ابن حبان في صحيحه رقم (١٩٦٩). والحديث حسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة حديث رقم (٨٥) (٢/ ٥٣٧).



المبحث الرابع

أقوال العلماء ـ رحمهم الله ـ في ذم الاختلاط والتحذير منه

تعددّت أقوال أهل العلم على اختلاف مذاهبهم في ذمّ الاختلاط ومنعه والتحذير منه فلا تكاد تُحصر، بل قد ذهب بعض الأكابر كأبي حنيفة وغيره إلى منع النساء من الخروج إلى صلاة العيدين والجُمَع والجماعات، رغم الأحاديث الواردة بأمر النساء بالخروج للعيدين خاصة، وما ذلك إلا لتغير الزمان وخوف الفتنة، وها نحن ننقل بعض ما وقفنا عليه من جميع المذاهب الفقهية حتى يُعلم أنّ هذا هو المتقرر عند عامة العلماء بشتى مذاهبهم فنقول وبالله التوفيق:

ـ قال الحسن البصري رحمه الله (ت ١١٠هـ): (إنّ اجتماع الرجال والنساء لبدعة). رواه الخلال[١].

من علماء الحنفية:

ـ قال أبو حنيفة رحمه الله (ت ١٥٠هـ): (كان النساء يرخص لهنَّ في الخروج إلى العيد، فأما اليوم فإني أكرهه، قال: وأكره لهن شهود الجمعة والصلاة المكتوبة في الجماعة، وأرخص للعجوز الكبيرة أن تشهد العشاء والفجر، فإما غير ذلك فلا)[٢].

ـ وقال السرخسي الحنفي رحمه الله (ت ٥٧١هـ) في المبسوط (١٦/ ٨٠): (وينبغي للقاضي أن يُقدم النساء على حِدة، والرجال على حِدة) لأنَّ الناس

---

(١) بواسطة الصارم المشهور، حمود التويجري ص٩١. وانظر أيضاً كلاماً حسناً في: ذيل طبقات الحنابلة (٤/ ١٩٥).

(٢) التمهيد، لابن عبد البر (٢٣/ ٤٠٢).

يزدحمون في مجلسه، وفي اختلاط النساء مع الرجال عند الزحمة من الفتنة والقبح ما لا يخفى، ولكن هذا في خصومة تكون بين النساء، فأما الخصومة التي تكون بين الرجال والنساء لا يجد بداً من أن يقدمهن مع الرجال، وأن يجعل لكل فريق يوماً على قدر ما يرى من كثرة الخصوم فلا بأس بذلك؛ لأنّه إذا تركهم، يزدحمون على بابه وربما يقتتلون على ذلك، وفيه من الفتنة ما لا يخفى؛ فيجعل ذلك مناوبة بينهم بالأيام، ليعرف كل واحد يوم نوبته فيحضر عند ذلك).

ـ وقال أيضاً في المبسوط (٤/ ١١١): (وفي اختلاطها بالرجال فتنة).

ـ وقال الفخر الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ٦٠٦هـ) في تفسيره (٨/ ٢٧): في معرض حديثه عن الفروق بين الذكر والأنثى:

الرابع: (أنّ الذكر لا يلحقه عيب في الخدمة والاختلاط بالناس، وليس كذلك الأنثى.

والخامس: أنّ الذكر لا يلحقه من التهمة عند الاختلاط ما يلحق الأنثى).

ـ وقال أحمد بن محمد الحسيني الحموي الحنفي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ١٠٩٨هـ): (والمختار: أنّ الزفاف لا يكره إذا لم يشتمل على مفسدة كما في الفتح، قلت: وهو حرام في زماننا فضلاً عن الكراهة لأمور لا تخفى عليك منها: اختلاط النساء بالرجال)[1].

ـ قال ابن عابدين رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ١٢٥٢هـ) في حاشيته: (وقد مَرَّ في كتاب الشهادات مما تُرَدُّ به الشهادة: الخروجُ لفُرجة قدومِ أمير، أي: لما تشتمل عليه من المنكرات، ومن اختلاط النساء بالرجال)[2].

---

(١) غَمْزُ العيون البصائر على محاسن الأشباه والنظائر (٢/ ١١٤).
(٢) حاشية ابن عابدين (٦/ ٣٥٥).

من علماء المالكية:

ـ كَرِهَ الإمام مالكٌ رَحِمَهُ اللهُ ركوبَ النساء البحر، لما يُخشى من اطّلاعهن على عورات الرجال وعكسه، إذ يعسر الاحتراز من ذلك، وخصّه أصحابه بالسفن الصغار، أمّا الكبار التي يمكن فيها الاستتار بأماكن تخصهنّ فلا حرج[١].

ـ وقال ابن العربي رَحِمَهُ اللهُ (ت ٥٤٣هـ): (إنّ المرأة لا يتأتّى منها أن تبرز إلى المجلس، ولا تخالط الرجال، ولا تفاوضهم مفاوضة النظير للنظير؛ لأنّها إن كانت فتاة حَرُمَ النظر إليها وكلامها، وإن كانت برزة لم يجمعها والرجالَ مجلسٌ واحد تَزدحم فيه معهم وتكون مناظرة لهم)[٢]. والبرزة هنا: الكهلة التي لا تحتجب احتجاب الشواب، وهي مع ذلك عفيفة عاقلة تجلس للناس وتحدثهم.

ـ وقال أيضاً: (ويحتمل أن تريد ـ أي: امرأة عمران حين وضعت مريم ـ أنها امرأة فلا تصلح لمخالطة الرجال)[٣].

ـ وقال القاضي عياض رَحِمَهُ اللهُ (ت ٥٤٤هـ): (فقد أمرنا بالمباعدة من أنفاس الرجال والنساء، وكانت عادته ﷺ مباعدتهن لتقتدي به أُمتُه)[٤].

ـ قال الإمام القرطبي رَحِمَهُ اللهُ (ت ٦٧١هـ): (ما ذكرته مشيخة أهل العلم فنعِمَّا هو؛ فإنَّ ذلك خالٍ عن النظر إلى النسوان ومخالطتهن؛ إذ ليس ذلك من حاجتهن. وأمّا غيرهما من الأسواق، فمشحونة منهنّ، وقلة الحياء قد غلبت عليهنَّ، حتى ترى المرأة في القيساريات وغيرهن قاعدة متبرجة بزينتها، وهذا من المنكر الفاشي في زماننا هذا. نعوذ بالله من سخطه)[٥].

من علماء الشافعية:

ـ قال الإمام البيهقي رَحِمَهُ اللهُ (ت ٤٥٨هـ): (فدخل في جملة ذلك أن يحمي الرجل امرأته وبنته من مخالطة الرجال ومحادثتهم والخلوة بهم)[٦].

---

(١) شرح الزرقاني على موطأ مالك (٣/ ٤١).
(٢) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٣/ ١٨٤).
(٣) أحكام القرآن لابن العربي (١/ ٢٧٠).
(٤) شرح النووي على صحيح مسلم (١٤/ ١٦٦).
(٥) الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ١٧).
(٦) شعب الإيمان (٧/ ٤١١ ـ ٤١٢).

ـ قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ٦٧٦هـ): (وإنما فضل آخر صفوف النساء الحاضرات مع الرجال؛ لبعدهن من مخالطة الرجال، ورؤيتهم وتعلق القلب بهم ثم رؤية حركاتهم وسماع كلامهم ونحو ذلك وذم أول صفوفهن لعكس ذلك والله أعلم)[1].

ـ قال ابن دقيق العيد رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ٧٠٢هـ): (يلحق بالطيب ما في معناه، لأنّ سبب المنع منه ما فيه من تحريك داعية الشهوة كحسن الملبس والحلي الذي يظهر والزينة الفاخرة، وكذا الاختلاط بالرجال)[2].

ـ قال أبو حامد الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ٥٠٥هـ): (ومهما كان الواعظ شاباً متزيناً للنساء في ثيابه وهيئته، كثير الأشعار والإشارات والحركات، وقد حضر مجلسه النساء، فهذا منكر يجب المنع منه، فإن الفساد فيه أكثر من الصلاح، ويتبين ذلك منه بقرائن أحواله، بل لا ينبغي أن يُسلم الوعظُ إلا لمن ظاهره الورع، وهيئته السكينة والوقار، وزيه زي الصالحين، وإلا فلا يزداد الناس به إلا تمادياً في الضلال.

ويجب أن يُضرب بين الرجال والنساء حائلٌ يمنع من النظر فإن ذلك أيضاً مظنة الفساد، والعادات تشهد لهذه المنكرات، ويجب منع النساء من حضور المساجد للصلوات ومجالس الذكر إذا خيفت الفتنة بهن؛ فقد منعتهن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فقيل لها: إنّ رسول الله ﷺ ما منعهن من الجماعات، فقالت: لو علم رسول الله ﷺ ما أحدثن بعده لمنعهن)[3].

ـ ونقل الإمام الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ٥٩٠هـ) في الاعتصام (٢/ ٤٧٢) كلاماً للإمام النووي ذكر فيه بعض المحدثات.. ومما ذكره: (ومنها: اختلاط الرجال والنساء والشمع بينهم ووجوههم بارزة).

ـ قال الحافظ ابن حجر في الفتح رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ٨٥٢هـ): (ولمسلم من

---

(١) شرح صحيح مسلم (٤/ ١٥٩) والمجموع (٨/ ١١١).
(٢) إحكام الأحكام (١/ ١٦٨ ـ ١٦٩).
(٣) إحياء علوم الدين: الغزالي (٢/ ٣٠٣).

حديث زينب امرأة ابن مسعود **(إذا شهدت إحداكنَّ المسجد فلا تمسنَّ طيباً)** قال: ويلحق بالطيب ما في معناه؛ لأنَّ سبب المنع منه، ما فيه من تحريك داعية الشهوة، كحسن الملبس والحُلي الذي يظهر، والزينة الفاخرة، وكذا الاختلاط بالرجال)[١].

ـ وقال أيضاً: (وفي الحديث مراعاة الإمام أحوال المأمومين، والاحتياط في اجتناب ما قد يفضي إلى المحذور، وفيه اجتناب مواضع التهم، وكراهة مخالطة الرجال للنساء في الطرقات فضلاً عن البيوت)[٢].

من علماء الحنابلة:

ـ قال الإمام أحمد رحمه الله (ت ٢٤١هـ): (لا بأس به ـ أي: التعريف ـ إن خلى عن نحو اختلاط رجالٍ ونساءٍ، والتعريف بغير عَرَفَةَ وهو: جمع الناس بعد صلاة العصر للدّعاء والذِّكر إلى غروب الشمس كما يفعل أهل عَرَفَةَ)[٣].

ـ وقال الإمام ابن قدامة رحمه الله (ت ٦٢٠هـ): (ولا يخالطن الرجال بل يكن ناحية منهم)[٤].

وقال أيضاً: (فإن مات صاحب السفينة، وامرأته في السفينة ولها مسكن في البر؛ فحكمها حكم المسافرة في البر على ما سنذكره، وإن لم يكن لها مسكن سواها وكان فيها بيت يمكنها السكنى فيه بحيث لا تجتمع مع الرجال، وأمكنها المقام فيه بحيث تأمن على نفسها ومعها محرمها لزمها أن تعتد به؛ فإن كانت ضيقة وليس معها محرمها أو لا يمكنها الإقامة فيها إلّا بحيث تختلط بالرجال لزمها الانتقال منها إلى موضع سواها)[٥].

ـ قال الإمام ابن تيمية[٦] رحمه الله (ت ٧٢٨هـ): (وأما ما يفعل في هذه

(١) فتح الباري: ابن حجر العسقلاني (٢/ ٣٤٩).
(٢) المرجع السابق (٢/ ٣٣٦).
(٣) شرح المنهج، للجمل (٢/ ٤٥٨).
(٤) المغني: ابن قدامة (٢/ ١١٦).
(٥) المرجع السابق (٨/ ١٣١).
(٦) اقتضاء الصراط المستقيم، لشيخ الإسلام ابن تيمية ص٣٠٧

المواسم مما جنسه منهي عنه في الشرع فهذا لا يحتاج إلى ذكر؛ لأن ذلك لا يحتاج أن يدخل في هذا الباب مثل: رفع الأصوات في المسجد، أو اختلاط الرجال والنساء أو كثرة إيقاد المصابيح زيادة على الحاجة، أو إيذاء المصلين أو غيرهم بقول أو فعل؛ فإنّ قُبح هذا ظاهرٌ لكل مسلم).

ـ وقال أيضاً رَحِمَهُ اللَّهُ في الاستقامة (١/ ٣٦٠): (وقد كان من سنة النبي ﷺ وسنة خلفائه التمييز بين الرجال والنساء، والمتأهلين والعزاب؛ فكان المندوب في الصلاة أن يكون الرجال في مُقدَّم المسجد، والنساء في مؤخره..

وقال علي رضي الله عنه: (ما يغار أحدكم أن تزاحم امرأتُه العلوجَ بمنكبها) يعني في السوق وكذلك لما قدم المهاجرون المدينة، كان العزاب ينزلون داراً معروفة لهم متميزة عن دور المتأهلين، فلا ينزل العزب بين المتأهلين وهذا كله؛ لأن اختلاط أحد الصنفين بالآخر سبب الفتنة؛ فالرجال إذا اختلطوا بالنساء كان بمنزلة اختلاط النار والحطب، وكذلك العُزّب بين الآهلين فيه فتنة لعدم ما يمنعه؛ فإن الفتنة تكون لوجود المقتضى وعدم المانع؛ فالمخنث الذي ليس رجلاً مَحْضاً، ولا هو امرأة محضة لا يمكن خلطه بواحد من الفريقين، فأمر النبي ﷺ بإخراجه من بين الناس، وعلى هذا المخنث من الصبيان وغيرهم لا يُمكّن من معاشرة الرجال، ولا ينبغي أن تعاشر المرأة المتشبهة بالرجال النساء، بل يفرق بين بعض الذكران وبين بعض النساء إذا خيفت الفتنة، كما قال ﷺ: «**مروهم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر، وفرّقوا بينهم في المضاجع**».

ـ قال ابن القيم (ـ ت ٧٥١هـ): (لا ريب أنَّ تمكين النساء من اختلاطهن بالرجال، أصلُ كلِّ بلية وشر، وهو من أعظم أسباب نزول العقوبات العامة، كما أنَّه من أسباب فساد أمور العامة والخاصة، واختلاط الرجال بالنساء سبب لكثرة الفواحش والزنا، وهو من أسباب الموت العام، والطواعين المتصلة)[1].

(١) الطرق الحُكمية: ابن قيم الجوزية ص٣٢٦.

ـ قال أبو الفرج عبد الرحمٰن بن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ٥٩٧هـ): (..فأما ما أحدث القصاص من جمع النساء والرجال؛ فإنه من البدع التي تجري فيها العجائب من اختلاط النساء بالرجال ورفع النساء أصواتهن بالصياح والنواح إلى غير ذلك..)[1].

من العلماء المحققين:

ـ قال الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ١٢٥٠هـ) في نيل الأوطار (٣/ ٣٧٥): (وفيه أيضاً تمييز مجلس النساء إذا حضرن مجامع الرجال؛ لأنَّ الاختلاط ربما كان سبباً للفتنة الناشئة عن النظر أو غيره).

من العلماء المعاصرين:

سننقل للقارئ الكريم في ثنايا البحث عدداً من أقوال أهل العلم المعاصرين فتجنباً للتكرار نكتفي بها عن ذكرها في هذا الموضع.



(١) كشف المشكل: ابن الجوزي (٣/ ١٤٦).



المبحث الخامس

دُعاة الاختلاط في العالم الإسلامي[١]

دعاة الاختلاط في العالم الإسلامي كثيرون ودوافعهم مختلفة، وآرائهم متنوعة ويمكننا تصنيف هؤلاء ـ بشكل تقريبي ـ إلى الفئات التالية:

○ أولاً: الكُتَّاب:

هناك طائفة من كُتَّاب الأدب ونحوهم من أخذ على عاتقه الدعوة الصريحة إلى الاختلاط لأغراض إفسادية وإباحية محضة ومن هؤلاء:

١ ـ نجيب محفوظ[٢]:

كاتب مصري له روايات كثيرة فيها ألوان من المجون، والفسق، والكُفريات، لا سيما روايته المشهورة (أولاد حارتنا) التي نال بها جائزة (نوبل العالمية للآداب) حيث لا أدب ولا دين، وفيها تهكم بالعقيدة والأخلاق، والقيم وذلك عام ١٩٨٨م.

وهو القائل: (إنّ الله قد مات) تعالى الله عن قول هذا الملحد علواً كبيراً[٣] وله أكثر من ٥٠ عملاً روائياً وقصصياً، تحوّلت إلى أعمال سينمائية ومسرحية، وترجم بعضها إلى لغات أجنبية وجامعها كلها: (الإلحاد والمجون) والدعوة إلى التخلّص من الأخلاق والقيم، والعفة والحياء!

---

(١) سنذكر ـ بإذن الله ـ وباختصار نماذج محدودة من كل نوع إذ من العسير استقصاؤهم.

(٢) اسمه: **نجيب محفوظ عبد العزيز إبراهيم أحمد باشا**، ولد في القاهرة، وتعلّم في الكتاب، ثم في مدرسة فؤاد الأول الثانوية، وحصل على الشهادة الجامعية في الفلسفة من كلية الآداب في الجامعة المصرية عام ١٩٣٤م.

(٣) مذكرة المذاهب الفكرية المعاصرة نقلاً عن الولاء والبراء للقحطاني ص٤١٠.

٢ ـ مصطفى أمين[١]:

كاتبٌ مصريْ، سخَّر قلمه حتى آخر رمق من حياته في الدعوة إلى الإباحية رغم ارتداده إلى أرذل العمر فكرياً قبل أن يكون زمانياً..

ويكفي أن نورد إحدى مقالاته في زاوية (فكرة): الشهيرة المنشورة في (الشرق الأوسط) الجريدة المعروفة باحتضانها عتاولة الفساد في العالم العربي، وفي سوقنا لهذه المقالة، غُنية عن أية تفاصيل لفكر الرجل المنحرف، ومبلغ ما عنده من الرجولة!

كتب بمناسبة وفاة الرئيس الفرنسي الأسبق (ميتران) ما نصه: (لاحظت أنَّ خبر وفاة الرئيس (ميتران) قوبل باحترام في جميع أنحاء العالم، كل الصحف والمجلات الأجنبية تحدثت باحترام عن المرأة التي أحبها، وعن ابنته غير الشرعية، حتى أرملته لم تطرد عشيقته وابنته غير الشرعية من قصر الإليزية كما تفعل عادة الأرامل اللاتي يكتشفن لأزواجهن علاقات بامرأة أخرى، فتسارع إلى طردها وتمنعها من الاشتراك في الجنازة وحضور المأتم.

وقد حرص الرئيس (ميتران) على أن يعترف بالابنة غير الشرعية قبل وفاته بعدة سنوات، بل خصّصَ جناحاً في القصر الجمهوري أقامت فيه عشيقته وابنتهما، وعندما حضر إلى (أسوان) قبل وفاته بأيام لم يصحب معه زوجته، بل صحب معه المرأة التي أحبها وابنتهما غير الشرعية!

استمرت هذه العلاقة غير الشرعية أكثر من ٢١ عاماً ولم تكتب عنها الصحف إلا بعد أن انتخب (ميتران) رئيساً للجمهورية للمرة الأولى، ولم

---

(١) **مصطفى أمين** (٢١ فبراير ١٩١٤ في القاهرة ـ ١٣ أبريل ١٩٩٧)، صحفي مصري.
ولد مصطفى أمين وتوأمه علي أمين في بيت الأمة في منزل خال والدتهم سعد زغلول.

التحق عام ١٩٣٥م بكلية الحقوق، ثم سافر بعد ذلك للولايات المتحدة حيث التحق بجامعة (جورج تاون) وحصل في عام ١٩٣٨م على الماجستير مع مرتبة الشرف في العلوم السياسية والاقتصاد والصحافة، والتي عمل خلالها كمحرر متجول بجريدة المصري.

تحاول أي جريدة فرنسية أن تفضح هذه العلاقة أو تهاجم رئيس الجمهورية؛ لأنّه جمع بين زوجته وحبيبته في قصر واحد، واعتبر الفرنسيون هذه العلاقة مسألة شخصية ليس من حق أحد أن يتدخل فيها أو يتحدث عنها، وعندما مات (ميتران) أصرّت زوجته على أن تمشي عشيقته وابنتهما بجانبها في الصف الأول، وأصبح أغلب الفرنسيين يتجاهلون أنَّ كثيراً من الوزراء والساسة في فرنسا يجمعون بين زوجتين وعادة تكون السكرتيرة هي الزوجة الثانية غير الرسمية.

وكان الرئيس (روزفلت) رئيس أمريكا قد أحب سكرتيرته وعلمت زوجته (إليانور) بهذا الغرام فلم تحاربه أو تقاومه، بل تجاهلته، وكانت السكرتيرة تصحب الرئيس روزفلت في رحلاته بينما تبقى زوجته في البيت الأبيض تستقبل الزوار، وحدث في مصر أنّ أحد رؤساء الوزراء عندما تولى الحكم ظهر أنه متزوج من سيدتين في وقت واحد، وحارت السفارات الأجنبية في مصر أي الزوجتين تدعى إلى حضور المآدب الرسمية، وأرسلت السفارات الأجنبية تسأل السكرتير الخاص أي الزوجتين توجه لها الدعوة؟!! وقال رئيس الوزراء: طبعاً الزوجة الجديدة!!

وكانت الزوجة الجديدة عمرها ٥٠ سنة)[١].

ونحسب أنَّ القارئ الكريم ليس بحاجة إلى تعليقنا على مضمون هذا الكلام السخيف وما يصبو إليه صاحبه من تهوين أمر الفواحش والعلاقات.

٣ ـ طه حسين[٢]:

طه حسين لم يكن داعية اختلاط فحسب لكنه كان داعية لكل الشرور التي احتوتها الحضارة الغربية وكل المخازي والقبائح التي اشتملتها الحياة الأوربية!

---

(١) زاوية فكرة: صحيفة الشرق الأوسط بواسطة أحمد الصويان ص٤٣٦.

(٢) ولد **طه حسين** في قرية «الكليو» إقليم «المنيا» في مصر عام ١٨٨٩م، ودخل كتاتيب القرية حتى حفظ القرآن، وكان قد كفّ بصره، وعمره خمس سنوات، ثم انتقل إلى القاهرة فدخل الأزهر عام ١٩٠٢م.

بل كان طه حسين داعية للخمور والمخدرات والزنا واللواط والسحاق والربا والجريمة، وكل قاموس السوءات البشرية التي يتبناها ويفخر بها الغرب الصليبي الكافر.

وهذه كلماته الفاجرة، وعباراته الكافرة، تنضح بهذا السمّ الزعاف فهو القائل بالحرف الواحد:

(لكنّ السبيل إلى ذلك ـ أي: سبيل التقدم والحضارة! ـ ليست في الكلام يُرسل إرسالاً، ولا في المظاهر الكاذبة، والأوضاع الملفتة، وإنما هي واضحة بينة ومستقيمة، ليس فيها عوج ولا التواء، وهي واحدة فذة، ليس لها تعدد وهي: أن نسير سيرة الأوروبيين، ونسلك طريقهم لنكون لهم أنداداً، ولنكون لهم شركاء في الحضارة خيرها وشرها، حلوها ومرها، وما يُحب منها وما يُكره، وما يُحمد منها وما يُعابُ)[١].

ويقول: (ونحن قد خطونا أبعد حداً ممّا ذكرتُ، فالتزامنا أمام أوروبا أن نذهب مذهبها في الحكم ونسير سيرتها في الإرادة، ونسلك طريقها في التشريع، التزمنا هذا كله أمام أوروبا، وهل كان إمضاء معاهدة الاستقلال، ومعاهدة إلغاء الامتيازات، إلا التزاماً صريحاً في الحكم والإدارة والتشريع)؟![٢].

٤ ـ إحسان عبد القدوس[٣]:

كاتب مصري إباحي، يعدُّ أشهر وأبرز الكتاب العرب في مجال الجنس، والإثارة فلا أحد يماريه أو يباريه في هذا المضمار!

---

(١) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر: محمد محمد حسين (٢/ ٩)، الفكر الإسلامي: غازي التوبة ص٤.

(٢) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر (٢/ ٢٩٥).

(٣) **إحسان عبد القدوس** (١ يناير ١٩١٩ ـ ١٢ يناير ١٩٩٠م)، كاتب صحفي وروائي مصري من أصل تركي من جهة أبويه، فهو ابن فاطمة اليوسف التركية الأصل اللبنانية المولد والمربى، وهي مُؤَسِسَة مجلة (روز اليوسف) ومجلة (صباح الخير). أما والده محمد عبد القدوس فقد كان ممثلاً ومؤلفاً.

ويفخر الكاتب المغرور بإباحيته فيقول: (أما أنا فقد كنت واضحاً وصريحاً وجريئاً؛ فكتبت عن الجنس حين أحسست أنّ عندي ما أكتبه عنه، سواء عند الطبقة المتوسطة أو الطبقات الشعبية، دون أن أسعى لمجاملة طبقة على حساب طبقة أخرى)[١].

وللكاتب أكثر من ستمائة (قصة!) هكذا زعموا فهو يُعدُّ نفسه قاصاً، وما هي إلا تفاهات وسخافات لا قيمة لها ولا مضمون، ولا محور لها غير الجنس، وثقافة الفراش ـ عياذاً بالله ـ فمن عناوينها:

(صانع الحب، بائع الحب، أنا حرة، الوسادة الخالية، منتهى الحب، البنات والصيف، شفتاه، ونسيت أني امرأة، لا أستطيع أن أفكر وأنا أرقص، العذراء والشعر الأبيض).

فهذه بضاعة الرجل، وغاية ما عنده من القيم والأخلاق، فلا غرو أن كان ذا دور خاص في إفساد الأجيال، وتشجيع الذكور والإناث على إقامة العلاقات المحرمة، والصداقات الخليعة وتكريس الاختلاط في كل أروقة المجتمع بدءاً من المدرسة والجامعة والدوائر الحكومية، وانتهاء بغرف النوم حتى لا تكون (الوسادة خالية)!

● ثانياً: بعض المنتسبين إلى العلم والدعوة:

هناك بعض المنتسبين للعلم والدعوة ـ وللأسف ـ من له دور في نشر الاختلاط في المجتمعات الإسلامية والدعوة إليه ومن هؤلاء:

١ ـ د. يوسف القرضاوي[٢]:

للأسف الشديد تساهل الدكتور القرضاوي وميّع كثيراً من ثوابت العقيدة

---

(١) موقع الكاشف على الشبكة.

(٢) **يوسف بن عبد الله القرضاوي**، ولد في ٩/٩/١٩٢٦م في قرية صفت بالمحافظة الغربية في مصر. حفظ القرآن الكريم وهو دون العاشرة، وقد التحق بالأزهر الشريف حتى تخرج من الثانوية، ثم التحق الشيخ بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر ومنها حصل على العالمية سنة ١٩٥٣م مع إجازة التدريس من كلية اللغة العربية سنة ١٩٥٤م، =

والأخلاق، وتجرأ على العديد من القيم وأساسيات السلوك الإسلامي.

ففي مجال العقيدة تورط القرضاوي باعتناق مذهب الأشاعرة والماتريدية، ونسب للسلف شر المذاهب وهو التفويض كما حابى الرافضة الاثني عشرية، وعدّ خلافهم مع السُنّة جانبياً وهامشياً بينما أعلن بعض ولائه صراحة لليهود والنصارى ونادى بأخوتهم للمسلمين بكل جرأة!

ما يعنينا هنا هو دعوته الصريحة للاختلاط ودفاعه عنه، وهذا نصُّ كلامه: (للأسف أنا من السبعينات وأنا أذهب لأمريكا لحضور مؤتمرات إسلامية، ولكن تلقى المحاضرات في هذه المؤتمرات للنساء في جهة، وللرجال في جهة أخرى؛ فالتشدد غلب المجموعات هناك وفرضوا التقاليد على المجتمع الغربي نفسه، حيث أخذوا الأقوال المتشددة وتركوا الأقوال الراجحة، وأصبح الرجال لهم مكان للقاء منفصل عن مكان النساء).

وقال: (مع أنّ مثل هذه المؤتمرات تعتبر فرصة لرؤية شاب فتاة فيعجب بها، ويسأل عنها، ويفتح الله قلبها، ويكون من وراء ذلك تكوين أسرة مسلمة)[١].

٢ ـ د. حسن الترابي[٢]:

والذي يُعدُّ واحداً من أجرأ المتعالمين والعقلانيين المتطاولين على شريعة الله تعالى، فهو يتعامل مع النصوص الشرعية، والأحكام الإلهية بكل غرورٍ وكبرياءٍ.

= وحصل على دبلوم معهد الدراسات العالية في اللغة والأدب في سنة ١٩٥٨م، لاحقاً في سنة ١٩٦٠م حصل على الدراسة التمهيدية العليا المعادلة للماجستير في شعبة علوم القرآن والسنة من كلية أصول الدين، وفي سنة ١٩٧٣م حصل على (الدكتوراه) بامتياز مع مرتبة الشرف الأولى من نفس الكلية، وكان موضوع الرسالة عن «الزكاة وأثرها في حل المشاكل».

(١) أولويات الحركة الاسلامية: د. القرضاوي ص٦٧.

(٢) **حسن عبد الله الترابي (ولد في ١ فبراير ١٩٣٢م)، هو زعيم سياسي وديني سوداني. ولد الترابي في (كسلا) في السودان، بالقرب من إريتريا. له دور فعال في ترسيخ قانون في الجزء الشمالي للبلاد. كان والده قاضياً وخبيراً في قانون الشريعة. ويعد رئيس الوزراء السابق للسودان، من أقربائه.**

وهو لا يرى مانعاً من اختلاط الرجال بالنساء في الحياة العامة، وانفراد الرجل بالمرأة الأجنبية على مرأى وملأ من الناس، وأنه لا مانع أن تستقبل المرأة الضيوف الأجانب، وتأكل معهم(١).

ويزعم أن صحابة النبي ﷺ ما كانوا يغضون البصر ويعرفون الصحابيات بوجوههن وأجسامهن(٢).

كما يبيح الترابي مصافحة النساء للرجال الأجانب، ويشنُّ حملة على فقهاء الإسلام، ويعتبر فتاويهم بمنع الاختلاط، والتأكيد على وجوب الحجاب هي أهم أسباب انحراف المجتمع، ووقوعه في الفاحشة والرذيلة!(٣).

ويزعم أنّ للمرأة أن تشهد مجتمعات المسلمين العامة، ومهرجاناتها، وليست الحياة العامة مسرحاً للرجال وحدهم، ولا عزل بين الرجال والنساء في مجال جامع!

ولا يرى مانعاً من الحبّ بين الجنسين قبل الزواج، وأن منعها من الحب ومن ثم الزواج بحبيبها هو من تغيير أحكام الشريعة المتصلة بالمرأة(٤).

كما يزعم الترابي أنّ التصدي للغزو الفكري والأخلاقي القادم من الغرب، ومحاولة الحفاظ على كيان المجتمعات الإسلامية وهويتها، وإبقائها محافظة على أخلاقها وقيمها جهد بائس لا يجدي!(٥).

٣ ـ محمد رشيد العوا(٦):

لسنا بحاجة إلى إطالة الحديث عن أفكار العوا فقد وفر لنا الجهد حين ذكر أنه يتبنى آراء كل من القرضاوي والغزالي.

---

(١) المرأة بين تعاليم الدين وتقاليد المجتمع، للترابي ص٢٧.
(٢) مناقشة هادئة لأفكار الترابي: أمين الحاج محمد ص١٢٨.
(٣) كتب حذر منها العلماء لمشهور حسن سلمان (١/ ٣٢٥) بواسطة منهج التيسير للطويل ص١٦٣.
(٤) المرأة بين الأصول والتقاليد، للترابي ص٢١.
(٥) المرجع السابق ص٢١.
(٦) **محمد رشيد العوا**، ولد في ١٩٤٢م ومهنته محامي ويحمل دكتوراه بالفلسفة من جامعة (لندن) ودرس في بعض الجامعات.

قال العوا: (في كل القضايا المتعلقة بالمرأة أنا منضم انضماماً تاماً لرأي العالمين الجليلين: الدكتور يوسف القرضاوي، وفضيلة الشيخ محمد الغزالي!)[١].

قلنا: ومعلوم آراء كل من الدكتور القرضاوي ـ هداه الله ـ والشيخ محمد الغزالي رحمه الله في تهوينهما من سفور المرأة واختلاطها بالرجال.

٤ ـ راشد الغنوشي[٢]:

وهو يدعو صراحة إلى خروج المرأة من بيتها، واختلاطها بالرجال الأجانب لمشاركتهم في الأشغال بالشؤون العامة![٣].

كما يحاول جاهداً إضفاء الشرعية لهذه الدعوى الجريئة فيزعم أنّ الإسلام لم يمنع اختلاط الجنسين، وأنّ النبي ﷺ، وأصحابه لم يمنعوا ذلك، بل كانت مجتمعاتهم مختلطة!

وأنه لم يُمنع الاختلاط إلّا في عصور الانحطاط الإسلامية. ويزعم أنّ طهارة القلب والاختلاط في الأجواء البعيدة عن الإثارة الجنسية، والمفعمة بروح الفطرة والعفوية كفيل بالمنع من الوقوع في مواقع الفسق ومواطن الردى[٤].

يقول د. مفرح القوسي: ومن أهم أفكار الغنوشي وطروحاته التحديثية:

---

(١) مجلة الاقتصاد الإسلامي عدد ١٤٤ بواسطة موقع الكاشف على الشبكة.

(٢) **راشد الغنوشي** (١٩٤١م)، هو سياسي ومفكر إسلامي تونسي، زعيم حركة (النهضة)، ولد بقرية (الحامة) بالجنوب التونسي، وبعد أن أتم دراسته في تلك القرية وفي قابس انتقل للدراسة في جامع الزيتونة وبعد أن نال الشهادة الثانوية انتقل إلى (دمشق) ليدرس الفلسفة، ثم عاد إلى بلاده في فترة الستينات ليعمل كمدرس للفكر الإسلامي بعدها تمكن من السفر لفرنسا ليدرس الفلسفة في جامعة (السوربون)، مؤسس حزب النهضة الإسلامي التونسي، المحظور ضمن تونس.

(٣) المرأة المسلمة في تونس بين توجيهات القرآن وواقع المجتمع التونسي، راشد الغنوشي ص١٠١.

(٤) الموقف المعاصر من المنهج السلفي في البلاد العربية، د. مفرح القوسي ص٢٤١ ـ ٢٤٢.

دعوته إلى خروج المرأة من بيتها واختلاطها بالرجال الأجانب لمشاركتهم في الاشتغال بالشؤون العامة، ومحاولته إيجاد المستند الشرعي لدعوته تلك لكي تبدو موافقة للشرع مسايرة لأحكامه، حيث ادعى أن الإسلام لم يمنع اختلاط الجنسين، وأن النبي ﷺ وصحابته الكرام لم يمنعوا ذلك، بل كانت مجتمعاتهم مختلطة، وأنه لم يُمنع الاختلاط إلا في عصور الانحطاط الإسلامية، كما ادعى أن طهارة القلب والاختلاط في الأجواء البعيدة عن الإثارة الجنسية والمفعمة بروح الفطرة والعفوية كفيل بالمنع من الوقوع في مواضع الفسق ومواطن الردى، وادعى أيضاً أن بقاء المرأة في بيتها وابتعادها عن الاختلاط بالرجال الأجانب ما هو إلا حبس واسترقاق لها! فنراه يقول تحت عنوان (عمل المرأة): (في المجتمعات الإسلامية السابقة ـ وقد كانت مجتمعات زراعية ريفية ـ كانت المرأة تساهم في كل مراحل الإنتاج الزراعي والرعوي، وكانت وضعية الأسرة من الغنى والفقر هي التي تحدد تدخل المرأة في عملية الإنتاج الاقتصادي أو عدم تدخلها، فلماذا يطرح إسلاميو العصر هذا الشكل إذن ـ يعني منع الاختلاط ـ إنهم لا يعترضون على المرأة الريفية أن تعمل في الحقل وتعين زوجها رغم اختلاطها بالرجال في جو جاد بعيد عن الإثارة ومفعم بروح الفطرة والعفوية، وهم لا يعترضون على عمل المرأة في منزلها في الصناعات اليدوية، وإنما اعتراضهم على عملها في الإدارة والمصنع وفي اشتراكها في الحياة الاقتصادية، وقد انتقلت من مرحلة الإنتاج الفردي إلى مرحلة الإنتاج الجماعي، واعتراضهم لا ينطلق حسب ذلك من منطلقات النصوص التي لم تحدد للمرأة عملاً معيناً، وإنما انطلاقاً من صورة المجتمع الريفي التي لا تزال مهيمنة على أذهانهم، فلا يتصورون الإسلام إلا مطبقاً في مجتمع ريفي)[1].

---

(١) المرأة المسلمة في تونس بين توجيهات القرآن وواقع المجتمع التونسي، لراشد الغنوشي ص٩٩. ونذكر القارئ الكريم بأننا لسنا بصدد الرد على الكاتب، وإنما نسوقه للتوكيد بأنه أحد دعاة الاختلاط.

ويقول أيضاً مزهداً المرأة بوظيفتها الأساسية وهي: رعاية بيتها وزوجها وأطفالها ومحرضاً إياها على الخروج من بيتها للعمل: (ومن المهم في باب عمل المرأة إبداء الملاحظات التالية:

- ليس في الإسلام ما يوجب على المرأة بالقيام برعايتها لبيت الزوجية والأطفال، فإن قامت بذلك فمن محض رضاها واختيارها، وتستحق على ذلك الأجر أو الشكر على الأقل إن تنازلت عن الأجر.

- هناك ضرورة لوجود العنصر النسائي الإسلامي في المؤسسات الصحية والتعليمية بغاية تبليغ الدعوة الإسلامية، مما يجعل المصالح من وجود الأخت في هذه المؤسسات تفوق المخاطر والمحاذير، فالمطلوب إذن أن نعمل على تكوين روح مواجهة لدى الأجيال الجديدة بعيداً عن روح الخوف والحذر وسد للذرائع، تلك الروح التي سادت في عصور الانحطاط وكبّلت المجتمع الإسلامي؛ خاصة وأنّ وجود المرأة في المؤسسة غدا أمراً واقعاً فلا بد من مواجهته بروح جريئة[١].

- ويقول تحت عنوان (قضية الاختلاط): (لقد اختلفت الكتابات الإسلامية المعاصرة وهي تحاول التصدي للتيارات الجارفة التي لم تستطع هضمها، معتصمة بمواقع اجتماعية ريفية اختلقت موضوعات فقهية لم تعرفها كتب الفقه القديمة، وشغلت أذهان الناشئة المسلمة بمناقشتها، ومن ذلك: الموضوع المسمى بـ (الاختلاط بين الجنسين) والتشديد في تحريمه على كل المستويات دون تحديد دقيق لهذا المفهوم، معيدة إلى الأذهان فترة المجتمعات الإسلامية الانفصالية التي سادت في عصر الانحطاط، فما يعنون بالاختلاط؟

إن كانوا يعنون منع وجود الرجال والنساء تحت سقف واحد لتعلم العلم أو مدارسة شؤون المسلمين متأدبين بالآداب الشرعية في الهيئة والحركة، حتى وإن لم يكن ذلك السقف سقف مسجد أو مدرسة أو نادٍ ثقافي، أو مجلس

(١) المرجع السابق، ص١٠٠ ـ ١٠١ بتصرف يسير.

تذكير وإرشاد أو في ساحة جهاد أو مسيرة احتجاج، فقد أخطئوا وصادموا الصورة التي نقلتها لنا النصوص الثابتة عن مجتمع الموحدين فيما تلا ذلك من الراشدين حيث كان المجتمع الإسلامي واحداً، بعيداً عن فكرة المجتمعات المنفصلة التي تولدت في عصور الانحطاط، ففي المساجد والأسواق وساحات الجهاد كنتَ تجد مجتمعاً واحداً من الرجال والنساء تسودهما علاقات عفوية جادة، فكانت النساء يشهدن مجالس العلم بمسجد النبي ﷺ دون حواجز، وكانت المرأة تعبر عن رأيها دون أن يطرح أحد في مسجد النبي ﷺ هل إن صوتها عورة أم لا؟ فكن يجادلن في مجلس النبي ﷺ وخلفائه، وكانت السيدة عائشة رضي الله عنها تتصدى للفتوى وكانت النساء يُستشرن في أمهات القضايا السياسية... فلا عزل بين الرجال والنساء في صلاة أو مجلس علم أو سوق أو ساحة جهاد أو مجلس تشاور في أمور المسلمين، ولا عزل بين الرجال والنساء فللمرأة أن تستقبل ضيوف الأسرة وتحدثهم، وتخدم ضيوف زوجها، وكل ذلك في إطار آداب الإسلام وتعاليمه، وهي وإن لم تفرض عزلة بين الجنسين فقد فرضت عفة النظر وطهارة القلب وضرورة أن يستشعر كل من الجنسين رقابة الله فلا يسلك سبيلاً للإغراء وإثارة الفتنة!

إن الإسلام لا يصل إلى أهدافه في تطهير العلاقات بين الجنسين من التحلل والفساد عن طريق تكثيف الحجب وتحويل البيوت إلى سجون للنساء والحكم عليهن جميعاً بما حكم به اللاتي آتين الفاحشة، بل إن تعويل الإسلام في تحقيق أهدافه وقيمه إنما يقوم أساساً على التوعية والتربية العقائديتين، وإشاعة أجواء الطهر والعفة والتعاون على الخير في العلاقات البشرية)[1].

ولما واجهته آية ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣]. الدالة على ضرورة قرار المرأة المسلمة في بيتها وابتعادها عن مخالطة الرجال الأجانب؟

ادعى أنها موضع خلاف بين العلماء في مدلولها، فنراه يقول: (اختلف العلماء في تفسير ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ فذهب بعضهم على أنها من الوقار،

(١) المرجع السابق، ص١٠٦ ـ ١٠٩.

وذهب البعض الآخر إلى أنها من القرار. كما اختلفوا: هل هي خاصة بنساء النبي ﷺ كما هو سياق الآية أم هي عامة للنساء، وحتى على فرض عمومها فهي لا تمنع المرأة من الخروج لقضاء حاجتها من تعلم وعمل وجهاد ودعوة)[١].

ثالثاً: المستشرقون:

وسيكون الحديث في هذا الموضوع على نحو مما يلي:

أولاً: خطر المستشرقين:

لا يشك كلُّ من سبر أحوال المستشرقين وطالع مصنفاتهم وحتى تحقيقاتهم لتراث المسلمين، بما يكنّه أولئك المتعالمون من الحقد الدفين والمكر الخبيث لكل ما يمت للإسلام بصلة، وإنَّك لتشعر من الوهلة الأولى، والقراءة البكر لعنوانات مصنفاتهم، أو مقدمات تحقيقاتهم، فضلاً عن صلب موضوعاتهم تلك النزعة الحاقدة والعبارات الملئى بكلّ بغض وكراهة، وتحريف وتشويه لقيم الإسلام وتعاليم الدين الحنيف.

يقول د. مصطفى السباعي: (لقد كنت كتبت عن المستشرقين كلمة موجزة في كتابي (السُنّة، ومكانتها في التشريع الإسلامي) قبل أن أزور أكثر جامعات أوروبا عام ١٩٥٦م وأختلط بهم وأتحدث إليهم وأناقشهم، فلما تم لي ذلك ازددت إيماناً بما كتبته عنهم واقتناعاً بخطرهم على تراثنا الإسلامي كله، سواء كان تشريعياً أو حضارياً؛ لما يملأ نفوسهم من تعصب ضد الإسلام والعرب والمسلمين)[٢]

ثانياً: دورهم في نشر الإباحية، والاختلاط:

تقمص المستشرقون في الكثير الأغلب أدوار الباحثين عن المعرفة، وطلب العلم ودراسة حضارة الشرق، ومناهجه الأدبية، والتاريخية، وطبائعه الأخلاقية والسلوكية، ورصيده الثقافي العلمي، لكنهم كثيراً ما كانوا يتخلون

---

(١) المرجع السابق، ص١٠٩.

(٢) الاستشراق والمستشرقون، للدكتور مصطفى السباعي ص٥١.

عن الموضوعية، ويتنكرون لأسس البحث العلمي القائم على الحياد والإنصاف بل كثيراً ما افتعلوا الأكاذيب ونسجوا التحريفات للآثار والمصنفات التي درسوها إما زيادة أو نقصاً.

وكان من أبرز أهدافهم تشكيك المسلمين بربهم تعالى، وبرسولهم ﷺ وبقرآنهم وشريعتهم، فإذا تم لهم ذلك وأقنعوا به ضعاف النفوس وصغار العقول كانت النتيجة التالية: أنّ كلّ ما جاء به الإسلام من عقائد وقيم وأخلاق لا قيمة لها لأنها محل الشك والريب والتردد!

وأنَ ما جاء به الرسول الكريم ﷺ من أمر بالعفة والتستر، وطرحٍ للخلاعة والتبرج والاختلاط والمجون، لا مصداقية له ولا فائدة فيه!

ويلخص الدكتور مصطفى السباعي أهدافهم بقوله: (تنقسم أهداف المستشرقين في جملتهم من الدراسات الاستشراقية إلى ثلاثة أقسام:

أ ـ هدف علمي مشبوه ويهدف إلى:

١ ـ التشكيك بصحة رسالة النبي ﷺ، ومصدرها الإلهي، فجمهورهم ينكر أن يكون الرسول ﷺ نبياً موحى إليه من عند الله جلّ شأنه... ويتبع ذلك إنكارهم أن يكون القرآن كتاباً منزلاً عليه من عند الله ﷻ!

٢ ـ ويتبع إنكارهم لنبوة الرسول، وسماوية القرآن، إنكارهم أن يكون الإسلام ديناً من عند الله!

٣ ـ التشكيك في صحة الحديث النبوي الذي اعتمده علماؤنا المحققون.

٤ ـ بل وصلت الوقاحة ببعضهم أن يشكك في نسب النبي ﷺ ويزعم أنه مجهول النسب!

ب ـ الأهداف الدينية والسياسية.

ج ـ **أهداف علمية خالصة**، لا يقصد فيها إلا البحث والتمحيص ا.هـ[(١)].

---

(١) الاستشراق والمستشرقون ص١٩ باختصار.

يقول الأستاذ محمد قطب: (الذين يقدحون في الإسلام ويشوهون صورته ويهاجمونه جمهرة أساتذة في كلية الآداب يدرسون أفكارهم للطلاب تحت إشراف طه حسين: (عميد الأدب العربي!) ورئيس قسم اللغة العربية يومئذ. ومن بينهم المستشرق اليهودي (مرجوليوث) الذي كان يقول: إنّ محمداً ﷺ مجهول النسب فقد كانت العرب تطلق على من لا تعرف نسبه اسم: عبد الله، ومن ثم محمد بن عبد الله هو ابن رجل مجهول النسب وهي فرية لم يقلها أحد غيره من المستشرقين!)[١]

◌ رابعاً: العَلمانيون[٢]:

يقول العلّامةُ الشيخ عبد الرحمٰن الدوسري رَحِمَهُ اللَّهُ: (وإنّ هؤلاء الرقعاء الذين يريدون ميل الأمة، وإضلالها قد جندوا أنفسهم لليهود، وأصبحوا كسباً رخيصاً لعملاء اليهود في كلّ مكان، وما نيلهم من الإسلام واحتقارهم لأهله، واحترامهم لسواه من الأديان وأهلها إلا دليل على ذلك.

وإنّ إصرارهم على المطالبة بالاختلاط وإغراء الفتيات عليه مع اطلاعهم على أن تسعين بالمائة من النساء في بريطانيا لهن أخدان كما أوضحه الإحصاء، وهم يعلمون أيضاً ندرة وجود البكارة في بلاد أوروبا، فهم يريدون الفساد والإفساد عن تضليل وخبث طوية)[٣].

ولا ريب أنّ العلمانيين هم ألد أعداء الأمة، وأخطرهم أثراً وتخطيطاً، وأكثرهم عملاً وحماساً في مجال الإفساد والتضليل، وظل هدف إفساد المرأة، وإخراجها من بيتها وإقحامها في بيئات مختلطة مع الرجال هدفاً رئيساً، وغاية أساسية في أذهانهم ومخططاتهم التخريبية، وها هي كتبهم

---

(١) قضية تحرير المرأة، لمحمد قطب ص٥١.

(٢) لم نشأ ذكرهم بأسمائهم لكثرتهم بالنسبة لغيرهم ممن اشتهروا بشعر أو رواية، وتتركز جمهرتهم في الإعلام والصحافة على وجه الخصوص.

(٣) صفوة الآثار والمفاهيم في تفسير القرآن العظيم، للعلامة عبد الرحمٰن الدوسري (٥/ ٢٥٩).

وصحفهم طافحة بفحيحهم وقذارتهم الفكرية، وإنك لا تكاد تجد صحيفة يومية أو أسبوعية أو دورية إلا وهي مليئة بعشرات المقالات والمداولات واللقاءات والندوات التي تدور في فلك (تحرير المرأة!)، ودعوتها إلى التمرد على الدين والقيم، والأخلاق والأعراف، واستدراجها إلى تقمص دور المرأة الغربية ومحاكاتها في أخلاقها وعاداتها وتصرفاتها.

يقول الشيخ صالح البليهي رَحِمَهُ اللَّهُ: (ومع الأسف الشديد يوجد أناس ينتسبون إلى الإسلام ولكنهم عملاء للشيوعية، وللماسونية اليهودية، شعروا بذلك أم لم يشعروا، يدعون إلى فساد المجتمع المسلم، يدعون إلى التبرج والسفور، ويدعون إلى اختلاط المرأة بالرجال، يدعون باسم الحرية والمدنية المزعومة، ومجاراة الحضارة!

والحضارة المزعومة في الحقيقة، ليست حضارة بل نذالة وجاهلية، وضياع وسقوط، في المستنقعات الوبائية!

فمن الحضارة المزعومة: التبرج والسفور، والفجور، والزَّمْر، والخمر، والفسق، والنساء العاريات، أو شبه العاريات، والسينما، والمسارح، والمراقص، والدعارة، والكفر، والزندقة، والإلحاد، كلٌّ ما تقدم موجود في أوروبا وأمريكا وغيرها، من بلاد الكفر!)[١]

○ خامساً: الحداثيون:

الحداثيون هم توأم العلمانيين وذراعهم الخبيثة الباطشة بكل قيم الأمة وثوابتها، وأخلاقها وعاداتها الاجتماعية والتربوية السامية.

وهم نسل غير شرعي لحداثيي الغرب المارق، العابث بكل الخصائص الإنسانية الفطرية، الساعي بكل جراءة إلى الشذوذ في كلّ مسالكه الآدمية.

وقد ظلّ الحداثيون يحاولون عبثاً تمرير كلّ مخططاتهم الإفسادية ـ وعلى رأسها إفساد العقائد ـ وتخريب الأخلاق، عن طريق الخطاب الغامض،

---

(١) يا فتاة الإسلام، للشيخ صالح البليهي ص٨٧ بتصرف.

والألفاظ الداكنة، والجمل المشبوهة، وما يسمى بالشعر الحرّ، وما هو بحُرّ ولكنه مملوك بالكامل لشعراء الغرب الحداثيين من أمثال: (بودلير) و(أوجبن جرندال) و(لوى آرجون) و(هنري لوفيفر).

دعوتهم إلى الاختلاط:

دعا الحداثيون إلى الرذيلة والخُلق المشين، وبُحّت أصواتهم بنبذ تعاليم الشريعة والدين، وقواعد الأخلاق، والقيم وهذه نماذج مختصرة من فحيح أولئك الأفاعي:

١ ـ يسخر (جابر عصفور) الحداثي المصري من التعاليم الشرعية السائدة في المملكة العربية السعودية مثل: (الحجاب، واللحية، والجلباب القصير، وتوقف العمل في مواعيد الصلاة، وتحريم قيادة المرأة للسيارات، ومنع الاختلاط بين الرجل والمرأة، والنظر إلى المرأة بوصفها عورة مثيرة للغرائز)[(١)].

٢ ـ وأما (أدونيس) الحداثي المارق فيؤكد ضرورة تحرير المرأة وإعطائها حقوقها، وأن تكون مساوية للرجل على جميع المستويات، إذا كان الرجل له حقُّ الممارسة الحرة، فيجب أن تكون لها أيضاً حرية الممارسة، أي: المساواة في جميع الحقوق، وجميع الميادين)[(٢)].

٣ ـ ولو تتبعنا مقالات الحداثيين، و(قصائدهم!) لطال المقام، واشمأزت النفس، وفي الكتابات المتخصصة عن هؤلاء غنية وكفاية[(٣)].

◓ سادساً: الصحافيون[(٤)]:

لعب بعض الصحافيين أخبث الأدوار، وأشدها إرجافاً وتضليلاً في

---

(١) قضايا وشهادات، لعبد الرحمٰن منيف وآخرون (٢/ ٣٠٩) نقلاً من كتاب: الحداثة في العالم العربي، للدكتور محمد العلي (٣/ ١٤٩٢).

(٢) مجلة الشروق ع ١١، ١٧، نقلاً من كتاب: الحداثة في العالم العربي (٣/ ١٤٩٣).

(٣) انظر: الرسالة القيّمة التي كتبها د. محمد العلي: الحداثة في العالم العربي دراسة عقدية لنيل درجة الدكتوراه في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

(٤) سيأتي ذكر نماذج من كتابات الصحافيين ص٦٤ وما بعدها.

الترويج للفساد بعامة، وللاختلاط بصفة خاصة، والجدير بالذّكر أنّ اللبنات الأولى لصرح الصحافة الإباحية المشؤوم قد نشأت على أيدي الموارنة النصارى في لبنان، ثم امتدت إلى مصر لتعم بعد ذلك أقطار العالم الإسلامي والعربي.

وقد نهجت الصحافة في الترويج للإباحية والإفساد، والدعوة إلى اختلاط الجنسين عبر الأطروحات الصحافية التالية:

١ ـ محاربة الحجاب والسخرية منه، والتهكم من المحجبات ولمزهن بأبشع الألقاب!

فهذا (عفيف فراج) في مجلة (الأسبوع العربي) يقول: (الحجاب رمز مذلة المرأة، ومصادرة لما وهبتها أيادي الطبيعة (هكذا!) وصورة انقطاعها القسري عن الحياة الحقيقية الوسيعة والخصيبة)[1].

يقول د. يحيى بن علي شطناوي: (ولهذا أصبح من غير المستغرب في هذه الأيام دعوة بعض الكتاب إلى الاختلاط بشكل صريح وانتقاد كل دعوة للفصل بين الجنسين وبخاصة بين طلاب الجامعة.

ومن الأمثلة على ذلك ما حصل مؤخراً في جامعة الكويت؛ فقد تحدث (د. محمد جواد رضا) عن هذه القضية التي سمّاها معركة، وذكر ما حصل لهذه الفكرة من تأييد ومعارضة مع اللمز والسخرية بمعارضي الاختلاط مرفقاً بعض الصور الكاريكاتيرية من جريدة السياسة الكويتية التي تستهزئ باللحية والحجاب والالتزام بأحكام الشريعة، ثم خلص قائلاً: (في النهاية لم يصح إلا الصحيح) إشارة منه إلى انتصار رأي المؤيدين للاختلاط وقال: (هذا ما تحقق في النهاية لم يصح إلا الصحيح، وصارت جامعة الكويت جامعة مختلطة بكل ما يحمله الاختلاط من الثقة بالذات، واحترام النفس، وما أصدق ما تنبض به ضمائر الشعوب).

ويظهر أنَّ قضية الاختلاط في الكويت أصبحت معركة بالفعل، فقد

(١) الأسبوع العربي عدد: ٨٣١ نقلاً من: المرأة بين دعاة الإسلام، للأشقر ص٣٠.

أثيرت هذه الأيام من جديد في مجلس الأمة الكويتي، وصوّت غالبية النواب إلى جانب منع الاختلاط في الجامعة إلا أنّ القرار أغفل وكأنه لم يكن)[١].

٢ ـ السخرية بدعاة الفضيلة:

يقول عفيف فراج: (هناك تيار) ميتافيزيقي (مغرق في رجعيته وتحجره، يقاوم تحرر المرأة بالأفكار نفسها التي سادت في عصور الظلمة، ويتمثل هذا التيار بالشيوخ والأساتذة العاملين في مؤسسات التعليم الديني أو الجامعي، أمثال: د محمد البهي، وعلي وافي، وأحمد شبلي. . .)[٢].

ولعلنا نكتفي بما كتبه د. مصطفى السباعي فاضحاً أمثال هؤلاء المارقين من حملة الأقلام المسمومة.

يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: (يا شباب ويا فتيات، إنّ كثيرين من حملة القلم يتظاهرون لكم بالتحرر، والتجدد، ويثيرون فيكم غرائز الجنس مستغلين فيكم مرحلة المراهقة، وهم إنما يريدون بذلك ترويج كتبهم ليملئوا جيوبهم على حساب شرفكم وشرف دينكم وأمتكم فهم أخس تجار الأرض، يدخلون إلى قلوبكم وعقولكم من باب الحرية الشخصية التي كذبوا عليكم في تصويرها وتعريفها، ثم كذبوا عليكم في إخفاء نتائجها المفجعة في المجتمع الغربي، إذ كثيراً ما أدت هذه الحرية الجنسية والاختلاط والفلسفة الجنسية التي ينادون بها إلى أن يسرق الأخ زوجة أخيه، والصديق زوجة صديقه، والأب زوجة ابنه، فبئس هذه الحرية!)[٣].

سابعاً: بعض الجمعيات النسائية:

بعض الجمعيات النسائية في العالم الإسلامي صورة مكرورة للجمعيات النسائية الغربية فكرة وهدفاً ومنهجاً!

---

(١) الانحراف الفكري في التفسير المعاصر، دوافعه ومجالاته وآثاره، د. يحيى بن علي شطناوي ٢/ ٤١٣.

(٢) الأسبوع العربي عدد: ٨٣١ نقلاً من: المرأة بين دعاة الإسلام، للأشقر ص٣٠.

(٣) إسلامنا: د. مصطفى السباعي ص١٣٣.

وهي في بضاعتها رجع الصدى لما يدور في كواليس وأروقة جمعيات الغرب، واقتفاءً لآثارها حذو القذة بالقذة!

ففي الجمعيات النسائية تُعقد الاجتماعات، والندوات والأمسيات المشبوهة، ومحور الحديث المطروح باستمرار هو تحرير المرأة المسلمة، ودفعها للتمرد على الدين، والأخلاق والآداب والقيم، وبمجرد نظرة عابرة على أسماء القائمات على تلك الجمعيات يتبيّن لك حالاً، الأهداف التخريبية لتلك الجمعيات إذ على رأس القائمة علمانيات معروفات بماضيهن الأسود، و(جهادهن!) الدءوب في إفساد القيم والأخلاق وعلى رأسها الدعوة إلى الاختلاط بين الجنسين والدعوات الصريحة إلى إقامة العلاقات السافلة بين الفتيان والفتيات!

وما أكثر ما يُستدعى إلى تلك الجمعيات رموز الحداثة والعلمنة في العالم العربي من النساء والرجال لإلقاء (صديد الأفكار) و(نتن) الطرح الإباحي السافل.

ويؤكد د. أحمد الصويان صلة الجمعيات النسائية بالماسونية، فيقول: (وهكذا تُسيرُ الماسونيةُ الجمعياتِ النسائيةَ في العالم الإسلامي، وهي تريد تحطيمها، وتبغي تدميرها في تنفيذ ذلك من قصة غرامية، ومسرحية، وسينما، وأغنية، وصور عارية، ومجلّات خلاعية، أمثال: الكواكب، وحواء، والشبكة، والموعد، وسمر، والشرقية والنهضة..)[١].

وينسب د. عبد الله وكيل الشيخ لـ (درية شفيق) مؤسسة حزب بنت النيل في مصر قولها: (إنَّ الأهداف المباشرة لحزب بنت النيل: منح المرأة حق الاقتراع، وحق دخول البرلمان، وإلغاء تعدد الزوجات، وإدخال قوانين الطلاق الأوربية في مصر)[٢].

وتقول الأستاذة زينب الغزالي: (التنظيمات النسائية في مصر انحصرت

(١) المرأة المسلمة أمام التحديات، لأحمد الصويان ص٣٧٨.
(٢) المرأة وكيد الأعداء، لعبد الله وكيل الشيخ ص٣٦

مهمتها فيما يُسمى بقضية تحرير المرأة، وقضية تحرير المرأة في فهم سيدات المجتمع الإسلامي اللاتي يقدمن التنظيمات النسائية المصرية تنحصر في هدم القوانين والنظم الشرعية بحجة أنها صارت بالية عريقة في الرجعية لا تناسب القرن العشرين، ومطلع القرن الحادي والعشرين... ورغم الشكوى من خروج المرأة من بيتها، ورغم إدراكنا جميعاً لما يترتب على ذلك من أمور خطيرة في الشارع، وفي أماكن العمل، وفي المواصلات، وفي العمالة، وفي الإنتاج، وقبل ذلك في البيت نفسه، إلّا أنّ البعض ما زال يتعامى، ويُصرُّ على التعامي، وينسب المشاكل ومظاهر السوء والفساد والتخلف إلى شرع الله، والقوانين الشرعية!

والتنظيمات النسائية وقياداتها بالذات تحمل لواء الحملة في هذا المجال، وتحت شعار محاربة القوانين الرجعية التي عفا عليها الزمن ومضى عليها أربعة عشر قرناً)[1].

ويلخص الأستاذ عبد الباقي رمضون الأهداف الرئيسة للمنظمات، والجمعيات النسائية فيما يلي:

(١ ـ الدعوة إلى الخلاص من قيود العادات والتقاليد القديمة، ويعنون بذلك العادات والتقاليد الإسلامية لا غيرها.

٢ ـ الدعوة إلى الاختلاط والتبرج والإباحية، وزج المرأة في ميادين ليست من اختصاصها، ممّا يترتب عليه مفاسد أخلاقية واجتماعية وسياسية واقتصادية لا حصر لها).

إلى أن قال: (والملاحظ بوضوح أيضاً أنّه بقدر ما تزداد هذه الحركات والمنظمات النسائية عدداً وقوة في مجتمع من المجتمعات بقدر ما يزداد معها فيه الترمل والتشرد والتحلل والميوعة، والزنا والدياثة، والمرض والقلق) ا.هـ[2].

---

(١) مجلة الدعوة المصرية عدد (٤٢) نقلاً من: المرأة المسلمة بين موضات التغيير وموجات التغرير: د. فؤاد آل عبد الكريم، ص٣٦٤.
(٢) خطر التبرج والاختلاط، لعبد الباقي رمضون ص٢٠٢ بتصرف.

ثامناً: الاحتلال الأجنبي:

دعونا أيها القراء الكرام نتنحى جانباً لندع رجال الاحتلال يتحدثون بأنفسهم عن أثر الاحتلال الأجنبي لبلاد المسلمين في بث الاختلاط وتدمير الأخلاق والقيم.

يقول: (ولفرد كانتول سميث): (إنّ من أهم أسباب حركة الحرية والإباحية التي تسود العالم الإسلامي، ومن أكبر عواملها نفوذ الغرب)[١].

ويقول (جان بول رو): (إنّ التأثير الغربي الذي يظهر في كلّ المجالات، ويقلب رأساً على عقب المجتمع الإسلامي لا يبدو في جلاء أفضل ممّا يبدو في تحرير المرأة)[٢].

لقد لعب الاحتلال الأجنبي دوراً حاسماً في إفساد المجتمع الإسلامي بصورة عامة، وإفساد المرأة المسلمة وتشجيعها على التحرير والاختلاط بصورة أخصّ.

فالاحتلال الأجنبي في حقيقته احتلال عقائد وأخلاق، قبل أن يكون احتلال أرض وثروات، ومن الأمثلة الواقعية المؤكدة لما ذهبنا إليه نسوق ما يلي:

ذكرت (روز اليوسف) في مذكراتها أنها طلبت معونة من الحاكم الإنجليزي إبّان الانتداب البريطاني لمصر فاشترط لإعطائها الإعانة المطلوبة أن تقوم بعرض مسرحيتها في الريف المصري كشرط رئيس للحصول عليها![٣].

وما حركة (تحرير المرأة) التي وضع بذرتها الأولى (رفاعة الطهطاوي) وسقاها بقيح كتاباته (قاسم أمين)، وما (تمزيق الحجاب وإحراقه) على يد المجرمة الماجنة (هدى شعراوي)، وما إقحام الفتاة المصرية في المدارس والجامعات المختلطة، وما إفساح المجال للمرأة المصرية لمزاحمة الرجل في

---

(١) التربية الإسلامية الحرة ص٢٦ ـ ٢٧ نقلاً من: العلمانية، للحوالي ص٥٩٦.
(٢) الإسلام في الغرب ص١٧٨.
(٣) قضية تحرير المرأة، لمحمد قطب ص٣٢، وسيأتي ص٧٠.

متجره ومصنعه ومكتبه، إلا بتخطيط ودهاء بريطاني خبيث إبّان احتلال الإنجليز لبلاد مصر!

ومن ذلك ما كان يلقاه (محمد عبده) داعية التحرر والتفرنج ورائد المدرسة العقلانية في مصر إبَّان الاحتلال البريطاني من تأييد وتشجيع عظيمين من قبل حكومة الاحتلال، وتلبية لكل مطالبه، وتمكين أنصاره من المناصب والوظائف الحكومية الكبرى.

يقول د. محمد محمد حسين: (وقد ظل أصدقاء محمد عبده وأنصار دعوته يكثرون بما يلقون من تشجيع الإنكليز الذين كانوا يمكنون لهم في إدارات الحكومة وفي مناصب الدولة الكبرى، وبما يجدون من تأييد الثقافة الحديثة التي تشدُ أزرها الصحف والمجلات والمدارس!

وظل خصومه ومعارضو دعوته يقلون ويضعفون بمناوأة الإنكليز لهم، ومحاربة أجهزة التعليم والثقافة لآرائهم، حتى أصبح اسم محمد عبده مقترناً في أكثر الأذهان بالإصلاح المستنير، وأصبح اسم معارضيه مقترناً بالتزمت وضيق الأفق المفسد لسماحة الإسلام!)(١)

تاسعاً: المنظمات الدولية:

كان للمنظمات الدولية أثر كبير في عملية الاختلاط وتكريسه في العالم الإسلامي، مستغلة نفوذها السياسي، وفلسفة العلاقات الدولية، والمنظمات الأممية، فقد عقدت الكثير من المؤتمرات واللقاءات وصدر عنها الكثير من التوصيات ومنها(٢):

جاء في اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة (١٣٩٩هـ ١٩٧٩م)(٣):

---

(١) الاتجاهات الوطنية ١/٣٥٣.

(٢) قضايا المرأة في المؤتمرات الدولية: د. فؤاد آل عبد الكريم ص٥٤٣.

(٣) حقوق الإنسان: محمود بسيوني (١/ ٩٨، ٩٧).

ـ (تتخذ الدول الأطراف جميع التدابير المناسبة للقضاء على التمييز ضد المرأة؛ لكي تكفل لها حقوقاً مساوية لحقوق الرجل في ميدان التربية؛ وبوجه خاص لكي تكفل ـ على أساس المساواة بين الرجل والمرأة ـ:

أ ـ شروطاً متساوية في التوجيه الوظيفي والمهني، والالتحاق بالدراسات، والحصول على الدرجات، وتكون هذه المساواة مكفولة في مرحلة الحضانة، وفي التعليم العام، والتقني، والمهني، والتعليم التقني العالي، وكذلك في جميع أنواع التدريب المهني.

ب ـ التساوي في المناهج الدراسية، وفي الامتحانات، وفي مستويات مؤهلات المدرسين، وفي نوعية المرافق والمعدات الدراسية.

ج ـ القضاء على أي مفهوم نمطي عن دور المرأة ودور الرجل في جميع مراحل التعليم بجميع أشكاله، عن طريق **تشجيع التعليم المختلط**، وغيره من أنواع التعليم التي تساعد في تحقيق هذا الهدف، ولا سيما عن طريق تنقيح كتب الدراسة، والبرامج الدراسية، وتكييف أساليب التعليم).

وجاء في المؤتمر الدولي للسكان والتنمية القاهرة (١٤١٥هـ ١٩٩٤م)(١):

ـ (ينبغي للبلدان أن تتخذ خطوات إيجابية؛ للإبقاء على البنات والمراهقات في المدارس، عن طريق بناء مزيد من المدارس المجتمعية، وتدريب المعلمين؛ كي يصبحوا أرهف حساً إزاء اختلافات الجنسين).

ـ وجاء في مؤتمر القمة العالمي للتنمية الاجتماعية ـ كوبنهاجن (١٤١٥هـ ١٩٩٥م)(٢):

ـ (نلتزم ـ أي: رؤساء الدول والحكومات المشاركين في هذا المؤتمر ـ بتعزيز وبلوغ أهداف توفير فرص حصول الجميع ـ بشكل منصف، على تعليم من نوعية جيدة، باذلين في ذلك جهوداً خاصة؛ لتصحيح أوجه اللامساواة

---

(١) الفصل الحادي عشر، (٨/١١) ص٨٤.

(٢) الفصل الأول، المرفق الأول، جيم، الالتزام (٦/ د، ح) ص٢٢، ٢٣.

المتصلة بالأوضاع الاجتماعية ـ ودون أي تمييز على أساس العرق، أو الأصل القومي، أو الجنس، أو السن، أو العجز ـ، كما نلتزم بتشجيع الاندماج الاجتماعي.

وتحقيقاً لهذه الغاية، سنقوم على الصعيد الوطني بما يلي:

اتخاذ تدابير ملائمة وإيجابية من أجل تمكين كافة الأطفال والمراهقين من متابعة الدراسة في المدارس وإتمامها، **وسد الفجوة القائمة بين الجنسين في التعليم الابتدائي، والثانوي، والمهني، والعالي.**

ـ وضع سياسات تعليمية محددة **تساوي بين الجنسين.**

ينبغي أن تعمل الحكومات على تحقيق المساواة والعدل الاجتماعي بواسطة ما يلي:

ـ توفير فرص متساوية للبنات للوصول إلى جميع مستويات التعليم ـ بما في ذلك التدريب غير التقليدي والمهني ـ، وكفالة اتخاذ تدابير للتصدي للحواجز الثقافية، والعملية المختلفة، التي تحول دون وصولهن إلى التعليم، بواسطة تدابير، من قبيل تعيين المدرسات، والعمل بنظام مرونة المواعيد، وغير ذلك من التدابير)[1].

وجاء في المؤتمر العالمي لعقد الأمم المتحدة للمرأة ـ كوبنهاجن (١٤٠٠هـ ١٩٨٠م)[2]:

ـ (تشجيع التعليم الحر والإجباري عن طريق سن القوانين للفتيان والفتيات في المرحلة الابتدائية، مع توفير المساعدة اللازمة **لإقامة تعليم مختلط** متى كان ذلك ممكناً وتوفير معلمين مدربين من **كلا الجنسين**، وتقديم التسهيلات للنقل والمبيت والإطعام عند الضرورة).

ـ (إتاحة فرص متكافئة للمرأة للوصول إلى جميع مستويات التعليم

---

(١) تقرير مؤتمر القمة العالمي للتنمية الاجتماعية: كوبنهاجن ١٩٩٥م: الفصل الرابع، جيم، الفقرة (٧٤ل)، ص٩٠.

(٢) تقرير الفصل الأول، الجزء الثاني، ثالثاً، باء، الفقرة (١٧٩)، ص٣٩.

العام، والتعليم المهني والتدريب على كافة أنواع المهن ـ بما في ذلك تلك المتاحة للرجال تقليدياً ـ)[1].

ـ (تدريب الموجهين والمعلمين لمساعدة الفتيات والفتيان في اختيار المهن حسب قدراتهم الشخصية، وليس بحسب الأدوار النمطية المرتبطة بالجنس)[2].

وجاء في المؤتمر العالمي لاستعراض وتقييم منجزات عقد الأمم المتحدة للمرأة: المساواة والتنمية والسلم ـ نيروبي (١٤٠٥هـ ١٩٨٥م)[3]:

ـ (وينبغي تشجيع الأخذ بطرائق جديدة في التعليم؛ للتدليل ـ بوضوح ـ على المساواة بين الجنسين. كما يجب أن تكون البرامج، والمناهج الدراسية، ومستويات التعليم والتدريب **واحدة بالنسبة للإناث والذكور**).

ـ (وينبغي فحص مناهج الدراسة في المدارس العامة والخاصة، واستعراض الكتب المدرسية وغيرها من المواد التعليمية، وإعادة تدريب العاملين في مجال التعليم، بقصد القضاء على كل القوالب النمطية التمييزية القائمة على الجنس في التعليم)[4].

ـ (يدعو المؤتمر كل الدول إلى النظر في اتخاذ التدابير الملائمة، سواء التشريعية، أو الإدارية، أو غيرها ـ بما في ذلك الضمانات المادية ـ، التي تستهدف تأمين ممارسة الفتيات ـ على نحو كامل ـ حق التعليم، وذلك عن

---

(١) تقرير المؤتمر العالمي لعقد الأمم المتحدة للمرأة: المساواة والتنمية والسلم، كوبنهاجن، ١٩٨٠م: الفصل الأول، الجزء الثاني، ثالثاً، باء، الفقرة (١٨١)، ص٣٩.

(٢) تقرير المؤتمر العالمي لعقد الأمم المتحدة للمرأة: المساواة والتنمية والسلم، كوبنهاجن، ١٩٨٠م: الفصل الأول، الجزء الثاني، ثالثاً، باء، الفقرة (١٨٦)، ص٣٩.

(٣) تقرير الفصل الأول، أولاً جيم، الفقرة (٨٣)، ص٣٥.

(٤) تقرير المؤتمر العالمي لاستعراض وتقييم منجزات عقد الأمم المتحدة للمرأة: المساواة والتنمية والسلم، نيروبي، ١٩٨٥م: الفصل الأول، ثانياً ـ جيم ـ الفقرة (١٧٣)، ص٦١.

طريق تحقيق المساواة في الحصول على كل أشكال التعليم)[١].

وحين أخفقت خططهم في تطويع الشعوب لما يأملونه من إسفاف مهين بشكل مرض لأحقادهم وكيدهم أخذوا يتباكون ويندبون حظهم العاثر، ويتواصون بمواصلة التضليل والمكر الخبيث!

فقد جاء في تقرير المؤتمر العالمي الرابع المعني بالمرأة، بكين (١٤١٦هـ ١٩٩٥م)[٢] ما نصه:

ـ (لا يزال التمييز في وصول البنات إلى التعليم مستمراً في العديد من المناطق؛ بسبب الأعراف، والزواج المبكر، والحمل المبكر، وانحيازها القائم على أساس الانتماء الجنسي، والتحرش الجنسي).

ـ (يؤدي افتقار المربين ـ على جميع المستويات ـ إلى الوعي بشؤون الجنسين، إلى تعزيز أوجه عدم الإنصاف القائمة بين الذكور والإناث ـ من خلال تعزيز الميول التمييزية ـ، كما أنه يقوض تقدير الفتيات لذواتهن)[٣]

ـ (اتخاذ إجراءات تضمن أن تتاح للمدرسات والأستاذات نفس الفرص التي تتاح للمدرسين والأساتذة، ونفس مركزهم، وذلك بالنظر إلى أهمية وجود معلمات على جميع المستويات، وتوخياً لجذب البنات للالتحاق بالمدارس، واستمرارهن في التعلم)[٤]

ـ (تعزيز المشاركة الكاملة والمتساوية للبنات في الأنشطة غير المدرسية، مثل الألعاب الرياضية، والأنشطة المسرحية، والثقافية)[٥].

---

(١) تقرير المؤتمر العالمي لاستعراض وتقييم منجزات عقد الأمم المتحدة للمرأة: المساواة والتنمية والسلم، نيروبي، ١٩٨٥م، الفصل السادس، المرفق الأول، ١ ص٢٤٨.

(٢) الفصل الرابع ـ باء، ٧١ ص٣٥.

(٣) تقرير المؤتمر العالمي الرابع المعني بالمرأة، بكين، ١٩٩٥م، الفصل الرابع، باء، ٧٤ ص٣٥.

(٤) تقرير المؤتمر العالمي الرابع المعني بالمرأة، بكين، ١٩٩٥م: الفصل الرابع، باء، ٨٣ (د) ص٤١.

(٥) تقرير المؤتمر العالمي الرابع المعني بالمرأة، بكين، ١٩٩٥م، الفصل الرابع، كاف، ٢٨٠ (د) ص١٤٨.



المبحث السادس

الوسائل المستخدمة لترويج الاختلاط وفرضه

◘ أولاً: تنحية الشريعة:

ظلت أحكام الشريعة الإسلامية كابوساً جاثماً على صدور أعداء الإسلام على اختلاف مللهم ونحلهم، وبقيت عائقاً صلباً أمام تنفيذ مؤامراتهم ومخططاتهم ضد أمة الإسلام، ولذا سعوا جاهدين إلى تقويض شريعة الله بكل وسيلة ممكنة وتعطيل أحكامها الفذة بكل خبث ودهاء.

ولعب الاحتلال الأجنبي وعملاؤه دوراً تاريخياً في تنحية الشريعة في كل الأقطار المحتلة، أو الخاضعة لنفوذهم بعد سلسلة من التشويه المتعمد لكل ما يمت للإسلام بصلة!

ولم يبق من الشريعة الإسلامية ـ بمرور الزمن ـ إلّا نزرٌ يسيرٌ مما يُسمَّى بأحكام الأحوال الشخصية والتي لم تسلم هي الأخرى من البتر والتشويه حتى لتكاد تكون حبراً على ورق!

بل إنّها قد عطلت تماماً في بعض البلاد العربية، وصدرت الأنظمة الرئاسية القاضية بمعاقبة من يتزوج أكثر من واحدة أو يطلق امرأته في غير المحكمة الوضعية!

يقول الشيخ عبد الرحمٰن الدوسري رَحِمَهُ اللهُ: (ومن مخاطر طواغيت اليهود والنصارى عملهم على إبطال حكم الشريعة، وتعطيل حدود الله ـ وإن وردت في كتبهم التي بأيديهم ـ وإقامتهم قوانين مبنية على الفسق والدياثة، تعتبر الاتصال الجنسي ضرورة بدنية لا حكم لله فيها؛ لأنهم أبعدوا الدين عن الحكم، وما حملاتهم على أحكام الأحوال الشخصية إلا محاولة للقضاء على

ما تبقى من أحكام الله)[١].

ويقول: د. سفر الحوالي: (ولقد عمت الفوضى الأخلاقية في العالم الإسلامي من أقصاه إلى أدناه على تفاوت في ذلك، وتولى الجيل الذي ربّاه المستعمرون تربية جيل جديد أكثر مسخاً وانحلالاً، وحوربت أحكام الله على يد أبطال الاستقلال أكثر ممّا حوربت بأيدي المستعمرين) ثم نقل عن (جاب بول رو) قوله: (في تركيا سنة ١٩٢٩م صدر قانون مدني على غرار قانون (نوشاتيل) المدني السويسري فحرّم تعدد الزوجات، وقضى على الحجاب والحريم ونظرة الطلاق، وفي برهة وجيزة جعل من المرأة التركية شقيقة المرأة السويسرية وصنوها)[٢].

وفي تونس: (أعلن بورقيبة عدة قرارات هي بمثابة ثورة اجتماعية جديدة سنة ١٩٥٦م، كان المقصود بهذه الثورة منع تعدد الزوجات وجعل السن الدنيا لزواج الفتاة الخامسة عشر، ثم تحرير المواطنين والمواطنات الذين تخطوا العشرينات من عمرهم من موافقة الوالدين إذا ما أرادوا عقد الزواج، وفي نفس الوقت أعلن بورقيبة بأن الطلاق لا بد من أن يخضع للمحاكم)[٣].

ويقول الأستاذ الشيخ محمد قطب:

(ففي البلاد غير الإسلامية التي أغار عليها (الاستعمار)[٤] لم يتعرض الاستعمار لعقائد أهلها ولا عاداتهم، لم يتعرض للهندوكيين في الهند ولا للبوذيين في جنوب شرق آسيا، ولا للوثنيين في أفريقيا، أما في البلاد الإسلامية فكان الأمر على خلاف ذلك.. فكانت هناك حربٌ شرسة ضد الإسلام، توجهت أول ما توجهت إلى تنحية الشريعة، وفرض القانون الوضعي

---

(١) صفوة الآثار والمفاهيم في تفسير القرآن العظيم (٥/ ٢٨٩).

(٢) العلمانية: سفر الحوالي ص٦٤١.

(٣) الإسلام في الغرب ص١٨١ نقلاً من كتاب العلمانية للحوالي ص٦٤٢.

(٤) الشيخ محمد قطب ـ حفظه الله ـ لا يرتضي هذه التسمية ويعتبرها موهمة ويرى أنّ المُسمى الحقيقي للغزو الأجنبي هو: الاحتلال راجع «العلمانية والإسلام» ص١١٠.

بالحديد والنار. . . ثم بيّن الشيخ ـ وفقه الله ـ السبب الرئيس الذي لأجله حرص الاحتلال الأجنبي على وجه الخصوص تنحية الشريعة عن الحكم في ديار المسلمين فيقول: بـ (هل تعجب إذاً من بدئهم حملتهم ضد الإسلام بتنحية الشريعة الإسلامية؟!

إن كانوا يريدون تنصير المسلمين ـ وقد حاولوا ذلك في مبدأ الأمر حتى يئسوا ـ فهل يمكن ذلك في وجود الشريعة التي تطبق حدّ الردة على المرتد الذي يبدل دينه؟

وإن كانوا يريدون نشر الفاحشة، وقد أدركوا ذلك وفعلوه فهل يمكن ذلك في وجود الشريعة التي تطبق حدّ الزنا؟!

وإن كانوا يريدون نشر الخمر والمجاهرة بها ـ وقد أرادوا ذلك وفعلوه ـ فهل يمكن ذلك في وجود الشريعة التي تطبق حدّ الخمر؟!

وإن كانوا يريدون نشر إغراء المرأة بخلع حجابها، وخروجها بعد ذلك سافرة كاسية عارية، فضلاً عن تجريدها من حيائها الفطري على الشواطئ التي تختلط فيها كتل اللحم العريان ـ وقد أرادوا ذلك وفعلوه ـ فهل يمكن أن يحدث ذلك في وجود الشريعة التي تعاقب على هذه الأمور كلها عقوبات رادعة؟!)[1].

○ ثانياً: استغلال التعليم:

وتم استغلال التعليم لترويج الاختلاط من عدة جوانب:

١ ـ العبث بالمناهج الدراسية:

للمناهج الدراسية أثرُها البالغ، وخطورتُها الفائقة سلباً أو إيجاباً على الأجيال والناشئة، فبقدر ما تتضمنه تلك المناهج من العقيدة الصافية، والقيم السامية، والأخلاق الفاضلة، تكون الآثار مفرحة، والنتائج مبهجة، والثمرات يانعة!

---

(١) الإسلام والعلمانية، للشيخ محمد قطب ص١١١، ١١٢.

وبقدر ما تكون المناهج خاوية من العقيدة النقية والقيم الفاضلة والأخلاق الحميدة، تكون الآثار والنتائج غاية في الانحطاط والتهتك والانحلال!

ولذا حرص الأعداء على العبث بالمناهج الدراسية أشد الحرص، وبذلوا غاية الوسع والطاقة في تشويه تلك المناهج، وتجريدها من كل العقائد السليمة، والثوابت الراسخة، وتفريغها من كل القيم والأخلاق، والآداب والسلوك الحسن.

وممّا يهمنا في موضوعنا هنا الجوانب التالية:

١ ـ تهميش عقيدة الإيمان بالله واليوم الآخر:

لقد خلت معظم مناهج التعليم في العالم الإسلامي من أي اهتمام بقضية التوحيد، والإيمان بالله واليوم الآخر، إذ لا ذكر لأنواع التوحيد الثلاثة، ولا أدنى إشارة إلى أركان الإيمان الستة، ولا تأصيل لعقيدة البعث والنشور، والجزاء والحساب، والجنة والنار!

فينشأ الطالب مضطرباً في عقيدته، متأرجحاً في توحيده متذبذباً في إيمانه فلا يُعظم ربه ومولاه، ولا يخشى حسابه وجزاءه، ولا يخاف عقابه أو يرجو ثوابه؛ فيستغرق دنياه في لهو وعبث، ومجون وخلاعة!

وأشدُّ من هذا خُلو المَناهج الدراسية من المواد الدينية بتاتاً في معظم الدول الإسلامية إمعاناً في تضليل الأجيال، وتجفيف منابع التدين!

٢ ـ خُلُو المَنَاهِجِ من القِيَمِ الفَاضِلَةِ والأَخْلاقِ الحَمِيدَةِ:

لقد خلت معظم المناهج الدراسية، سواء في التعليم العام أو الجامعي من القيم الفاضلة التي تغرس في نفوس الناشئة والشباب حبّ العفة، والشرف، والأمانة والاستقامة، والغيرة، والمروءة، بل على النقيض تماماً اشتملت تلك المناهج على التهوين من الاختلاط بين الجنسين عبر المناهج المشتركة، والموضوعات المُخْجلة، والمشاهد الفاتنة، والصور الجريئة، والمضامين الهابطة.

ففي مادة الآداب مثلاً، يُجبر التلاميذ على حفظ أبيات أبي نواس، ونزار قباني، وأمثالهما من شعراء الإباحية والفاحشة، كما لا تخلو هذه المواد (الأدبية!) من قصص ماجن محورها الحب والصداقة بين الجنسين ومضمونها اللقاءات المحرمة، والزيارات المتكررة والخلوات الآثمة!

ناهيك عن الصور والرسومات التي لا تخلو منها تلك المقررات الدراسية، ومعظمها لفتيان وفتيات بملابس مثيرة، ومناسبات شتى وأوضاع مُخلة!

يُضافُ لما سبق العديدُ من الدروس الجنسية المكثفة تحت غطاء الثقافة الجنسية (الرشيدة!) وفيها دروس صريحة في تعليم ممارسة الجنس، وفنون تجاوز معضلة الحمل، وما يعرف بـ (الجنس الآمن).

٣ ـ إغْلاقُ المَدَارسِ الدينية أو تطويرُها:

وُجد في بعض البلاد الإسلامية بعض المدارس والمعاهد الدينية التي كان لها أثر عظيم في تدين الناشئة ـ رغم تحفظنا على بعض مناهجها ـ إلا أنّ تلك المدارس والمعاهد التابعة لجامعات عريقة كالأزهر في مصر والزيتونة في تونس وغيرها أخذت في الانحسار شيئاً فشيئاً بفعل سياسة التضييق والتغريب، وأما البقية الباقية من تلك المدارس فظلت خاوية على عروشها أجساداً بلا أرواح بفعل سياسة تجفيف المنابع، وتفريغ المناهج من مضامينها السامية النبيلة.

يقول د. سفر الحوالي: (ورأى أذيال الغرب، وكذلك المتحررون من علماء الأزهر أنّ الوسيلة المثلى للخروج من الأزمة هي تطوير الأزهر، أي أن يفقد رسالته، في سبيل الاحتفاظ بوجوده. وصدرت القوانين من سنة ١٩٣٦م حتى سنة ١٩٦٢م بشأن تطوير الأزهر، واستطاع دعاة اللادينية أن يدخلوا تاء التأنيث على الجامع الأزهر وبذلك تحول من وكر لثقافة العصور الوسطى إلى مركز ثقافي في عصر مدني)[١].

---

(١) العلمانية: سفر الحوالي ص٦٠٢، والمقصود بإدخال تاء التانيث على جامع الأزهر أي: تحويره إلى جامعة الأزهر وبينهما فرق وأي فرق؟!

ويقول الأستاذ محمد قطب: (وحقيقة أنّ «التعليم الديني» الذي كان قائماً يومئذٍ، لم يكن هو الصورة الصحيحة للتعليم الديني كما ينبغي أن يكون، ولم يكن يُخرّج المسلم الحق الذي يعرف حقيقة دينه ويمارسه على وعي وبصيرة، كما أنّه كان خلواً من العلوم الكونية التي كانت تشكل جزءاً أساسياً منه يوم كان المسلمون في الأندلس وغيرها من بلاد الإسلام هم المتعلمين حقاً في الأرض.....

ولكن الغزو الصليبي الذي أغلق المعاهد الدينية أو جفف منابعها أو تركها قائمة ولكن شبه مهجورة وحول مجرى التعليم بعيداً عنها كما فعل الاحتلال البريطاني في مصر تجاه الأزهر، لم يفعل ذلك من أجل تصحيح مسار التعليم، وجعله أداة مفيدة للأمة تخرجها من تخلفها وضعفها إلى القوة والتقدم...

بل فعل ذلك بدافع من الحقد الصليبي للقضاء على الصبغة الدينية التي تميز المسلمين، ودفع المسلمين دفعاً في تيار التغريب الذي تَنْبَهِمُ فيه شخصيتهم. ويؤدي بهم إلى الضياع، وإن تعلموا من العلم بعض القشور!)[1].

٣ ـ المَدارِسُ العَالميةُ:

سعى الاحتلال الأجنبي العسكري إلى فرض نظم التعليم الغربية في كل البلاد الإسلامية المحتلة لتحقيق أهدافه المعروفة من بث التعاليم والأفكار، والمناهج الكافرة وتلقينها أبناء المسلمين، وكان الاحتلال ـ بمكره وخبثه ـ يضفي على تلك المدارس والجامعات التي أنشأها لهاتيك الأغراض مهابة وإجلالاً ويُقدّم مزايا وإغراءات تدفع الأسر إلى إرسال أبنائها إلى تلك المدارس طمعاً بتلك المزايا، ورغبة في المفاخرة والوجاهة!

حتى إذ ما نالت الدول العربية والإسلامية استقلالها الصوري بقيت تلك المدارس والمعاهد والجامعات الأجنبية إما بأسمائها الأصلية أو بأسماء

---

(١) العلمانيون، لمحمد قطب ص١١٤.

جديدة، وتحت مبررات مختلفة، وظهرت المدارس الأجنبية التي هي مدارس صليبية نصرانية، وماسونية صهيونية، ووثنية صنائمية في الكثير الأغلب حيث حوت مناهجها كفريات لا حدود لها تحت غطاء التسامح الديني وبحجة حرية الفكر، وبزعم أنها قاصرة في إطارها العام وقاعاتها الدراسية على أبناء الوافدين الأجانب!

بيد أنّ إقبال كثير من أبناء المسلمين على الدخول في تلك المدارس إمّا علناً أو خفاءً، ساهم في تضليل الناشئة عقائدياً وفكرياً وخلقياً وسلوكياً!

وأي غرابة في ذلك؟! ما دامت المناهج الدراسية من ألفها إلى يائها مصنوعة في دهاليز السفارات الأجنبية، ومفصلة وفق المعتقد السائد عند اليهود والنصارى الوثنيين!

يقول الشيخ العلّامة عبد الرحمٰن الدوسري رحمه الله: (إرادة أعداء الله أولياء الشيطان من اليهود وتلاميذهم في كليات التربية الماسونية، والجامعات الأمريكية ومن سار على منوالهم فإنهم يزينون للناس طرائق إضلال وإفساد مغضبة لله ومبعدة عن صراطه المستقيم في الأصول والفروع، وفي العقيدة والأخلاق، يزينون لأولاد المسلمين محبة الكفار وموالاتهم ورفدهم، وإسنادهم، والأخذ عنهم والتلقي منهم باسم الوطن الفلاني، والقومية الفلانية، ورفض المسلمين، والتخلي عنهم إذا لم ينتسبوا لذلك وهذا غاية الكفر.

ويُزينون لأولاد المسلمين **اختلاط الجنسين** في الدراسة والعمل كما يُزينون التبرج والتهتك وإظهار المفاتن وطرح الحياء، وإباحة الشهوة الجنسية باسم الصداقة وإطلاق الغرائز دون وازع ديني أو أخلاقي..)[1].

ويذهب الدكتور بكر أبو زيد رحمه الله إلى اعتبار المدارس الأجنبية أول شرارة في إذكاء فتنة الاختلاط فيقول: (ولهذا فإنّ أهل الإسلام لا عهد لهم باختلاط نسائهم بالرجال الأجانب عنهن، **وإنما حصلت أول شرارة قُدحت للاختلاط على أرض الإسلام من خلال المدارس الاستعمارية الأجنبية العالمية**

---

(١) صفوة الآثار والمفاهيم في تفسير القرآن العظيم: (٥/ ٢٥٨).

التي فُتحت أول ما فتحت في بلاد الإسلام في لبنان)[١].

ولنعرض الآن شهادة أحد الغربيين أنفسهم واعترافه بما تلعبه المدارس والمعاهد الاجنبية من دور خطير في إشاعة الفجور والأخلاق السافلة في مجتمعات المسلمين.

يقول (ولفر كانتول سميث): (وقد حازت قَصْب السبق في هذا المضمار تلك المعاهد الثقافية التي قامت بتربية جيل بأكمله على النمط الغربي الحديث، وكان ممّا صدّره الغرب إلى العالم الإسلامي تلك الأفكار المتعددة الجديدة التي تقع في الأهمية بمكان، والاتجاهات العقلية الدقيقة، والميول الحديثة التي كان في نشرها أوفر نصيب لنمط التعليم الحديث، ويفوقها في ذلك تأثير معاهد الغرب الحقوقية والسياسية، والاجتماعية الجديدة ونفوذها الزائد)[٢].

٤ ـ رياض الأطفال:

تُعدُّ رياضُ الأطفال إحدى أخطر الوسائل المساعدة على نشأة الاختلاط في المجتمعات الإسلامية بصورة تدريجية، وتكاد تكون الوسيلة الوحيدة التي لا يتنبه إلى خطرها خاصّة الناس فضلاً عن عامتهم!

ففي رياض الأطفال يختلط الذكور بالإناث لعدة ساعات كلّ يوم برعاية (معلمات) يبذلن غاية الوسع والطاقة في تجرئة الأطفال ذكوراً وإناثاً على التأقلم سوياً والاشتراك معاً في اللعب، والأكل والشرب بحيث يعتاد الجميع منذ نعومة أظفارهم على عدم النفرة من الجنس الآخر، فضلاً عن ذلك المخزون الهائل من الانطباعات الذهنية التي ستحتل مساحة ذات بال في أذهان الأطفال يتم استدعائها في الحال مهما تقدم هؤلاء في السن، ومن الجدير بالذكر أنّ رياض الأطفال، لا تمانع في قبول الأطفال أحياناً إلى سن

---

(١) حراسة الفضيلة ص٨٢. وللشيخ كتاب مستقل في هذا الموضوع بعنوان: (المدارس العالمية.. تاريخها ومخاطرها).

(٢) التربية الإسلامية الحرة ص٣٤.

السادسة، وفي ذلك ما فيه من الآثار السيئة التي لا تخفى!

وأخطر ما في هذه (الرياض) أنّه لا توجد ثمة قيود على لباس الأطفال ذكوراً وإناثاً ولا على حجم الطفل وطوله وعرضه أو هدوئه وشقاوته!

يقول د. بكر أبو زيد: (ولا بد من التنبيه هنا إلى أنّ دعاة الإباحية لهم بدايات تبدو خفيفة، وهي تحمل مكايد عظيمة، منها:

في وضع لبنة الاختلاط، يبدؤون بها من رياض الأطفال، وفي برامج الإعلام وركن التعارف الصحفي وتقديم طاقات ـ وليس باقات ـ الزهور من الجنسين في الاحتفالات!)[(١)].

ثم عقب الشيخ كلامه بتنبيه مهم فقال:

(تنبيه:

إذا كان الاختلاط بين الجنسين في رياض الأطفال مرفوضاً؛ لأنّه ليس من عمل المسلمين على مدى تاريخهم الطويل في تعليم أولادهم في الكتاتيب وغيرها ولأنه ذريعة إلى الاختلاط فيما فوقها من مراحل التعليم **فالدعوة إلى الاختلاط في الصفوف الأولى من الدراسة الابتدائية مرفوضة من باب أولى فاحذروا أن تخدعوا أيها المسلمون!**

وهكذا.. من دواعي كسر حاجز النفرة من الاختلاط بمثل هذه البدايات التي يستسهلها كثير من الناس.

فليتق الله أهل الإسلام في مواليهم، وليحسبوا خطوات السير في حياتهم وليحفظوا ما استرعاهم الله عليه من رعاياهم والحذر من التفريط والاستجابة لفتنة الاستدراج إلى مدارج الضلالة، وكلُّ امرئ حسيب نفسه) ا.هـ[(٢)].

٥ ـ البعْثَاتُ الخَارِجِيَّةُ:

كانت البعثات الخارجية إلى بلاد الغرب على وجه الخصوص بقصد الدراسة والتدريب المزعوم أحد أهم الأسباب الخطيرة التي جرت على بلاد

---

(١)(٢) حراسة الفضيلة ص٨٦ ـ ٨٧.

المسلمين الويلات والشرور؛ فغالب العائدين من هناك عادوا بغير القلوب والعقول التي ذهبوا بها!

لقد عادوا بقلوب النصارى وعقولهم، وتقمصوا شخصياتهم وأفكارهم، وتبوأ كثير منهم مناصب حساسة في بلدانهم؛ فأفسدوا البلاد وأهانوا العباد!

وأبسط الأمثلة: رفاعة الطهطاوي الذي ذهب عالماً أزهرياً، وعاد داعيةً فرنسياً فألف كتابه سيء الذكر (تخليص الإبريز في تلخيص باريز).

وفيه دعا الأمة الإسلامية إلى الاقتداء بالفرنسيين، حتى في إنشاء المسارح والملاهي، وزعم أن الرقص المشترك بين الذكور والإناث على الطريقة الغربية أناقة وقوة وليس فسقاً![١]

لقد كان الابتعاث بالفعل صدمة حضارية للمبتعثين لتلك الديار فمنهم من أدركته رحمة الله فأفاق منها، ومنهم من تزلزلت أركانه، وتهدهد بنيانه من أثرها الرهيب وإعصارها القاصف!

يقول الدكتور زهير السباعي يصف واقعه حين كان مبتعثاً: (كل شئ من حولي غريب وجديد ومثير، ويأتي على رأس القائمة اختلاط الطلاب بالطالبات، شيء لم آلفه ولم أعرفه من قبل، أصابني بصدمة حضارية لبثت زمناً قبل أن أفيق منها)[٢].

يقول (ولفرد كانتول): (وقد سافر كثير من الشباب المسلم إلى الغرب، واطلعوا على روح أوربا وقيمها، وأعجبوا بها إلى أبعد حدّ، وينطبق هذا بخاصة على الطلاب الذين درسوا في جامعات أوروبا بعدد لم يزل يزداد مع الأيام، وهم الذين سببوا استيراد كثير من أفكار الغرب وقيمه إلى العالم الإسلامي)[٣].

---

(١) الإسلام والحضارة الغربية: محمد محمد حسين ص٣٦.
(٢) أيام من حياتي: د. زهير السباعي ص٣٥ نقلاً من: منهج التيسير المعاصر، لعبد الله الطويل ص٢٧٩.
(٣) التربية الإسلامية الحرة ص٣٦.

يقول جان بول سارتر ـ الإباحي والوجودي الفرنسي ـ: (كنا نحضر رؤساء القبائل، وأولاد الأشراف، والأثرياء والسادة من أفريقيا وآسيا، ونطوف بهم بضعة أيام في أمستردام ولندن والنرويج، وبلجيكيا وباريس، فتتغير ملابسهم ويلتقطون بعض أنماط العلاقات الاجتماعية الجديدة، ويرتدون السترات، والسراويل، ويتعلمون منا طريقة جديدة في الرواح والغدو، والاستقبال والاستدبار، ويتعلمون لغاتنا وأساليب رقصنا وركوب عرباتنا، وكنا ندبر لبعضهم أحياناً زيجة أوروبية، ثم نلقنهم أسلوب الحياة على أثاث جديد، وطرز جديدة من الزينة، واستهلاك أوربي جديد، وغذاء أوربي.

كنا نضع في أعماق قلوبهم الرغبة في (أوربة) بلادهم، ثم نرسلهم إلى بلادهم، وأي بلاد؟!

بلاد كانت أبوابها مغلقة دائماً في وجوهنا، لم نكن نجد منفذاً إليها، كنا بالنسبة لها رجساً ونجساً وخناً، كنا أعداء يخافون منّا، وكأنّهم همج لم يعرفوا بشراً، لكنا بمجرد أن نصيح من أمستردام أو برلين أو بلجيكا أو باريس قائلين: (الإخاء البشري) نرى أن رجع أصواتنا يرتد من أقاصي أفريقيا، أو من الشرق الأوسط أو الأدنى أو الأقصى أو شمال أفريقيا!

ثم إنّنا كنّا واثقين من أنّ هؤلاء المفكرين، لا يملكون كلمة واحدة يقولونها غير ما وضعنا في أفواههم، ليس هذا فحسب بل إنهم سُلبوا حقّ الكلام من مواطنيهم، هذا هو دور المفكر الذي يتشكل بالشكل الأوروبي، ويلعبه في الدول الإسلامية، دور (دليل الطريق) للاستعمار في البلاد التي لم يكن يعرفها أو يعرف لغاتها، وهو (السوس) الذي عمل في الشرق من أجل تثبيت هذه المادة الثقافية، والاقتصادية والأخلاقية، والفلسفية، والفكرية المسماة للاستعمار الغربي داخل هذه الأشجار الورقية الأصلية، هذا هو السوس الذين كنا قد صنعناه وسميناه بالمفكرين، كانوا عالمين بلغاتنا، وكان قُصارى همهم، ومنتهى أملهم أن يصبحوا مثلنا، في حين أنهم أشباهنا وليسوا مثلنا، إنهم نخروا من الداخل ثقافة أهليهم، وأديانهم القومية التي تصنع الحضارات، ومثلهم وأحاسيسهم وأفكارهم الجميلة، وأصالتهم الأخلاقية

والإنسانية تحت أي شعار؟! باسم مقاومة الخرافات أو مكافحة الرجعية، أو الوقوف ضد السلفية)[١].

ثالثاً: وسائل الإعلام:

وذلك من خلال وسائله المتنوعة وهي:

١ ـ التلفاز:

ساهم التلفاز مساهمة فاعلة للغاية في ترويج الفساد بكافة صوره، وبشكل سريع ومذهل، وبتأثير لا يخطر على بال، كما ساهم بصورة أخص في الدعاية إلى الاختلاط بين الجنسين عبر الأفلام والتمثيليات المعروضة بشكل يومي، وكان لانتشار أجهزة التلفاز بأسعار زهيدة ودخولها معظم البيوت وعرضها لكل القيم والأفكار والآراء الوافدة بشكل مؤثر جذاب بالصوت والصورة عبر مشاهد (فكاهية) تارة (ودرامية) تارة أخرى..

نقول: كان لكل ذلك أثره العجيب في سرعة استجابة الناس لتلك البرامج وقبولهم لأهدافها ومراميها!

لذا حرص المفسدون على إدخال التلفاز كلّ بيت؛ ليتم لهم إنجاز المخططات المرسومة، وإفساد أكبر قدر ممكن من الناس.

يقول الأستاذ محمد قطب: (ولا نعجب من حرص جمال عبد الناصر[٢] على توصيل الكهرباء إلى الريف المصري، وإلى الصعيد خاصة عن طريق توليد الطاقة من السد العالي ليشاهد الريفيون التلفزيون وحرصه كذلك ـ في حربه مع اليمن ـ على إدخال التلفزيون إلى اليمن!!)[٣].

قلنا: وكذا صنع (بوش) حين احتل أفغانستان حيث شحنت آلاف (التلفزيونات) إلى بلاد الأفغان، ووزعت بالمجان، وشُيّدت المحطات الأرضية والفضائية لبث كلّ هابط وسافل من البرامج والأفلام الداعرة!

---

(١) المنبوذون في الأرض نقلاً من: دفاع عن ثقافتنا، لجمال سلطان ص٥٤.

(٢) هو الرئيس المصري الأسبق توفي سنة (١٩٧٠م).

(٣) قضية تحرير المرأة: محمد قطب ص٣٦.

٢ ـ الإذاعة:

وهكذا لعبت الإذاعة دوراً مماثلاً في الترويج للاختلاط عبر برامجها المُعدّة بعناية فائقة لإفساد الأجيال، ولو لم يكن منها وفيها إلا ذلك الاشتراك المقصود في تقديم البرامج المتنوعة بين المذيعين والمذيعات حيث يتبادل (الزميل) مع زميلته الأدوار في قراءة الأخبار، واستعراض البرامج اليومية وسط هدير من المغازلات الكلامية، والابتسامات الماكرة والضحكات الآثمة.

وقد كان العمل الإذاعي هو نقطة البدء للمشاركة الإعلامية النسائية لاقتصاره على الصوت دون الصورة ممّا جعل اقتناع بعض الأسر (المحافظة) على مشاركة بناتهن في العمل الإذاعي سريعاً، ومن ثم تدرجن إلى الظهور التلفزيوني، وبعده الفضائي بشكل مذهل وسريع، فاختلطن بالرجال وكن طلائع الاختلاط في نطاقه الأعم، وأصبحن قدوات سيئات لبنات جنسهن من البراعم الصغيرات والمراهقات الجاهلات!

٣ ـ الصحف والمجلات:

وأما الصحافة فحدث ولا حرج عن دورها الضخم في الدعوة للاختلاط عبر وسائل عديدة منها:

أ ـ طابور طويل من الكتاب المتفرنجين المفتونين إذ لا يكاد يمر يوم واحد إلا وعشرات المقالات تُسوّد بها صفحات الجرائد داعية إلى اقتفاء خطى الغرب الكافر حذو القذة بالقذة، واستيعاب كل ما لدى القوم من الأخلاق والقيم المنحطة، وعلى رأسها: تحرر النساء من الدين والعفة والشرف، وبلا ريب سيكون الاختلاط أهون مطالبهم والحالة ما ذكر!

ومن تلك الكتابات التي يدعو أصحابها إلى الاختلاط:

ـ يقول أحدهم: (المطلوب هو أن يتم السماح للسيدات بدخول كل المحلات وإلغاء تلك اللوحة التي تلمح إلى مفهوم يكاد يكون عنصرياً حيال النساء، وتتنافى مع روح الإسلام والانفتاح الفكري والمرحلة الجديدة التي

يقبل عليها العالم برمته)[١].

ـ تقول إحدى الكاتبات: (الاختلاط أصبح من الضروريات، لأنه من السخف أن نمنع الاختلاط في الجامعة ونسمح به في جميع المجالات الخارجية، فالفتاة الجامعية ستعمل في وسط الرجال في مكاتب الحكومة والشركات بعد تخرجها، لهذا يجب أن نُعدها لتواجه العملية)[٢].

ـ تقول إحداهن: (إن الحجاب سينتهي بعد قرن من الزمان، وإن المرأة سوف تسير في الشارع وتجلس في المقهى، ليس في لندن أو باريس وإنما في الرياض لترشف القهوة، وتنبأت أن تكون صاحبة المقهى امرأة وأنه سيكون هناك سينما وممثلات ومخرجات، وأن النساء سوف ترتاد النوادي كغيرهن. ثم قالت: فلماذا لا نسرع إلى تلك الحياة)[٣].

وباختصار شديد نادت إلى تغيير أوضاع المرأة السعودية وإلحاقها بركب الحضارة الغربية!

ـ وتقول أخرى: (إلى أختي السعودية أختي الغالية فتاة بلادي بكل اعتزاز وتقدير أسطر لك بعض الكلمات على هذه الصفحات ـ وبعد ثناء عاطر عليها قالت صاحبة المقال ـ: لكن يا عزيزتي لِمَ أنت سلبية بعض الشيء، فأنت ولله الحمد تملكين العقل الراجح والتفكير السليم وتعرفين كيف تنتقين الكلمات المناسبة في الوقت المناسب، ولكني أحب أن أراك بين أخواتك العربيات أكثر شجاعة تناقشين بجرأة العرب وتتحدثين برقة الأنوثة، غاليتي أخرسي كل صوت يقول بأن الفتاة السعودية رجعية أو دلوعة أو مغرورة. . . . إلخ، أخرسيه بأدلتك القطعية وبراهينك القوية وحماسك الطاغي. عزيزتي من خلال احتكاكي بك أشهد أنك الفتاة المثالية فلماذا تجعلي مثاليتك في دائرة نفسك فقط، لماذا لا تخرجي من قوقعة الذاتية عندك التي تُغلف حياتك؟ لماذا تحبسين جبروت ثقافتك بين جدران عالمك المنفرد؟!

(١) عكاظ عدد (١٣١٦٢) ٢ رجب ١٤٢٣هـ.
(٢) مجلة العربي عدد ١٢٣.
(٣) جريدة الرياض في ٢٦/ ٣/ ١٣٩٨هـ.

ثقي يا غاليتي من أنه لا بد من تبادل الآراء بين الشباب من الجنسين، والصحافة فتحت لك هذا الباب على مصراعيه، فلنلتف أنا وأنت وهو حول مائدة المناقشة، نجتمع فيه فتية وفتيات لطرح مشاكلنا وعرض الحلول لها، لنستعرض آراءنا ولنستفيد من تجارب بعضنا، فأبرزي أفكارك عن طريق قلمك وأوضحي لمن يجهلون أمرك، من تكون الفتاة السعودية، واعرفي كيف تعبرين عن نفسك وذاتك بالطريقة المؤدبة المقنعة التي تصور الحقيقة في أكمل صورة، أختك سمراء الجزيرة)[١].

ب ـ ركن التعارف الصحفي بين الأطفال، وبدأت تظهر في الآونة الأخيرة بشكل ملحوظ.. فتلتقط الصور بين الفتيان والفتيات جميعاً.. والناس يقولون: هؤلاء صغار!

والصغار سيصبحون غدا كباراً وقد اعتادوا اللعب مع الفتيات مما يوجد شعوراً بعدم استنكار الاختلاط القاتل للعفاف والحياء.

ج ـ إظهارهم لصور مختلطة بين رجال ونساء من بلدان اشتهرت بالحجاب ونبذ الاختلاط كالمملكة السعودية، وبعض الدول الخليجية، سواء كان ذلك من المسؤولين أم من عامة الشعب.

د ـ نشر القصص والمسرحيات على نطاق واسع من أجل تحطيم التعاليم الإسلامية التي تمنع الاختلاط وتنفر من الفاحشة والتحلل الخلقي.

وهكذا، من دواعي كسر حاجز النفرة من الاختلاط، بمثل هذه البدايات، التي يستسهلها كثير من الناس.

يقول الأستاذ الشيخ محمد قطب: (إنّ الصحافة ـ سواء اللبنانية النصرانية المارونية، أو المصرية التي يشرف عليها من يحملون أسماء إسلامية قد تابعت قضية المرأة باهتمام ملحوظ وحرصت على تغذية المعركة بالوقود الدائم الذي لا يفتر، كما حرصت على متابعة الفتاة الجامعية وهي تشق طريقها (الصاعد) الذي تدوس كل المقدسات لكي تصل إلى (النور).

---

(١) مجلة اليمامة العدد ٤٤٣ في ٢/٢/١٣٩٧هـ.

وكان من بين ما حرصت عليه تلك الصحافة والمجلات الأسبوعية بصفة خاصة إبراز (الروح الجامعية).

ولا يتبادر إلى ذهن أحد أنّ المقصود بالروح الجامعية هو روح البحث العلمي والتعمق في أخذ الأمور وعدم التسرع، في إصدار الأحكام حتى يتثبت الباحث من أنّ لديه من الدلائل ما يسند الحكم الذي وصل إليه...

إنما الروح الجامعية هي ممارسة الاختلاط في الجامعة بين البنين والبنات، ومقدار ما يقع في هذه الممارسة من تحرر وانطلاق وانعتاق من سجن التقاليد البالية التي تفصل شقِّي المجتمع بعضهما عن بعض، وتصنع بينهما الحواجز التي تعيق الأمة كلها عن التقدم والارتقاء!!)[1].

٤ ـ القَنَواتُ الفَضَائِيَةُ:

فوجئ العالم الإسلامي مع مطلع العقد الثاني من هذا القرن بثورة فضائية، وعاصفة مارقة حارقة من البث العالمي المباشر عبر مئات القنوات المتلفزة من أنحاء العالم حيث ظلت على مدار الدقيقة والساعة تبث كلّ ثقافات وأخلاق ومجون أعداء الدين وعقائده وقناعاته.

وقد تلقفت الشعوب المسلمة كعادتها ذلك الإسفاف البغيض، وتلك الثقافات المريبة، وذاك الإفساد المتعمد فكانت النتيجة هذه الفوضى الأخلاقية العارمة وذلك الانحلال والفساد العريض!

وما برحت البرامجُ المختلطة واللقاءات بين الجنسين تشكل قطب الرحى لمعظم المعروض فضائياً، بل جاوز الأمر كلّ تصور حين شرعت قنوات عربية ببث برامج من نوع (ستار أكاديمي) الشهير الذي تلخصت أهدافه بتصوير مجموعة من الشُبّان والفتيات العرب، وهم يسكنون بيتاً واحداً، ويمارسون مقدمات الفاحشة في لقطات حية تعرض للجماهير المضللة والله المستعان.

ومن العجب تفاعل الجمهور مع تلك البرامج بشكل يفوق الوصف،

---

(١) قضية تحرير المرأة ص٦٥.

وبرهان ذلك تلك الأعداد الهائلة من الاتصالات الهاتفية لمركز عرض البرنامج مشجعة ومتنافسة في اختيار (نجم) البرنامج ممّا يدل بكل تأكيد على ما وصلت إليه بعض الشعوب المسلمة من انحطاط أخلاقي مهين يندى له الجبين وتتفطر له الكبد!.

ولذا لا عجب حين نقرأ في الإحصاءات الطبية العالمية ظهور (٨٣٠٠٠) حالة أيدز جديدة في عام ١٤٢٤هـ في ما يسمى بالشرق الأوسط في مقابل (٤٥٠٠٠) حالة في أمريكا و(٣٠٠٠٠) حالة في أوروبا الغربية[١].

أي أنّ المنطقة العربية فاقت أمريكا وأوروبا مجتمعتين فأي شيء تدّل عليه هذه الحقيقة المرة؟!

لا شك أنها تدل على ما ذكرناه قبل قليل من حجم الإسفاف الذي وصل إليه بعض الشباب العربي المسلم!

٥ ـ الدعاية والإعلان:

يقول الشيخ عبد الله التليدي في المرأة المتبرجة ص٣٩: (والأمر لم يبق قاصراً على المرأة العارية المتبرجة، التي تجوب الشوارع غادية رائحة بل أصبحت صورة هذه العارية وسيلة لترويج السلع والمشتريات، فقلما تجد كتاباً أو مجلة أو جريدة إلا وتغلّفه، وتتصدر صفحته الأولى صورة في منتهى العُري والعهر والخلاعة، والأمر نفسه، تجده في المتاجر والمكتبات والإدارات والطائرات.

وقد حرصت شركات الدعاية والإعلان على كسب المعلنين بطريق إقحام المرأة مختلطة بالرجال في أوضاع فاتنة مثيرة، حاسرة الوجه والشعر، وبادية الذارعين والساقين، وفي أحيان كثيرة متأبطة ذراع عشيقها يعلوهما المرح والضحك غاديين أو رائحين إلى مقاصد مشبوهة!

وقد تطورت الأساليب الدعائية والإعلانية لتصبح ذات برامج ومناهج

---

(١) مجلة بث (عدد: ٧) محرم ١٤٢٤هـ.

تخصصية في المعاهد والجامعات تزدحم بأفكار لا حدود لها من التخريب والإفساد، والدعاية إلى تحرر النساء وخلطهن بالرجال والله المستعان!!

رابعاً: الفن:

استغل دعاة الاختلاط وسيلة الفن لترويجه بين الناس من خلال ما يلي:

١ ـ إنشاء الملاهي الليلية ودور السينما:

انتشرت الملاهي الليلية ودُور السينما في طول العالم الإسلامي وعرضه لتقوم بأقذر دور وأسوأ مهمة عرفتها الأخلاقيات السافلة في تاريخ البشرية..

ففي تلك الملاهي والدور تمارس الفواحش علناً بدءاً من عروض الرقص العاري ومروراً باحتساء كؤوس الخمر المترعة وانتهاء بممارسة السفاح في زوايا وسراديب تلك الأماكن الخبيثة!

وأمام شبابيك التذاكر تزدحم الجماهير اللاهثة خلف المتعة الحرام في طوابير طويلة لها أول وليس لها آخر، وقد تأبط الشباب أذرعة عشيقاتهم من الماجنات الخليعات حيث لا حسيب ولا نكير، فتلك الأماكن الموبوءة تحرس بقوة النظام، وصلابة القانون!

وبمرور الزمن، وقوة الدعاية أصبحت تلك الأماكن أمراً معتاداً مألوفاً لدى الجميع. وعَبْرَ عروض السينما يُعوِّد الشَّبابُ والشابات على إقامة العلاقات المحرّمة فضلاً عن الاختلاط العابر أو المستديم في أركان المجتمع الكبير!

فلا غرو إذاً أن تكون تلك الملاهي والدور السينمائية أمضى وسائل إفساد الأمة، وإغراقها في أتون الممارسات السافلة، والتي سيكون الاختلاط بجانبها فضيلة وخُلق رفيع!.

وفي بلد صغير كالبحرين توجد عشرات دور السينما تعرض أفلامها إلى الفجر، ليتعلم الناس من خلالها فنون العهر وألوان الفساد!

وفي (عمّان) عاصمة الأردن أكثر من ٣٠٠ ملهى ليلي وهو ما يفوق ملاهي (لاس فيجاس الأمريكية)!

وفي عمّان أيضاً أنشئت أخيراً أكبر مدينة ملاهي متنقلة في العالم تم إحضارها من بيروت[١].

٢ ـ المسرح:

يقول الأستاذ محمد قطب: كتبت (روز اليوسف) في مذكراتها وكانت تقوم بالتمثيل على المسرح قبل اشتغالها بالصحافة وإصدارها مجلتها التي تحمل اسمها ـ كتبت تقول: (إنها طلبت إعانة لمسرحها من الحكومة، وكانت مصر إذ ذاك خاضعة للنفوذ البريطاني المباشر فنصحها المندوب السامي البريطاني ـ وهو الحاكم الحقيقي في مصر في ذلك الحين ـ أن تذهب إلى الريف وتعرض مسرحيتها هناك فإن فعلت ذلك نالت الإعانة في الحال.. والهدف واضح.. فالريف المصري في ذلك الوقت (مسلم) في عمومه محافظ على بقايا من الدين والأخلاق ومحافظ بشدة على التقاليد المستمدة من الإسلام ـ بصرف النظر عما غشاها في بعض الجوانب من الانحرافات ـ ومن أشد ما يحافظ عليه الريف من التقاليد وفي الصعيد خاصة ـ: قضية الحجاب وقضية العفة عامة من التبذل والانحلال والانفلات، وبقاء الريف على هذه الصورة عقبة ولا شك أمام المخططين فالريف هو معظم مصر ولن يؤتي المخطط ثماره كاملة إن فسدت العاصمة وحدها وبقي الريف سليماً حتى ولو في محيط التقاليد فإن هذا يطيل الأمر على المخططين ويستنفذ من وقتهم وجهدهم شيئاً غير قليل![٢]

قلنا: ولا يزال المسرح في عالمنا الإسلامي ينتج على قدم وساق عشرات المسرحيات الداعرة المفسدة للدين والقيم والأخلاق ولا همّ لكتابها وممثليها إلا إخراج المرأة المسلمة من شريعة ربها وتعبيدها للشيطان، والنفس والهوى!

وليس ذلك بغريب ما دام كُتَّاب المسرحية لدينا هم: نجيب محفوظ

---

(١) وكالة الأنبياء الأردنية، بترا موقعها على الشبكة.

(٢) قضية تحرير المرأة ص٧١.

وإحسان عبد القدوس ويوسف السباعي وكفاك من شر سماع أسماء هؤلاء المنحرفين!

٣ ـ الغناء والطرب:

يقول الشيخ الصابوني: (إذا كان القرآن يمنع المرأة أن تتلاين في كلامها مع الرجال الأجانب لئلا يطمع فيها الفساق والفجار، فكيف بمن تثير الكوامن والشجون بالغناء الماجن الذي كله ميوعة وانحلال وتختلط فيه أصوات المغنين مع المغنيات في الحفلات الساهرة الداعرة وتنقله الإذاعات ثم تسمع بعض أدعياء العلم يحبذون هذه الحجة أن صوت المرأة ليس بعورة)[١]

قلنا: وقد أنشأت العديد من معاهد الفن والموسيقى، والطرب والغناء في كثير من بلاد المسلمين؛ لتخريج الأفواج الجديدة والدماء الشابة؛ لتواصل مسيرة تخدير الأمة وإلهائها عن أهدافها السامية، وقيمها الثابتة ودينها الحنيف.

حيث شكّلت أغاني الحب والغرام، وألحان العشق والهيام جُلّ الإنتاج (الغنائي) العريق!

ولقد انخدعت بعض الفتيات المسلمات وجرين خلف تلك الأصوات النشاز، وملن إلى حياة الترف والمجون، وأقمن الصداقات مع الخِلّان والعُشَّاق، وساد الاختلاط المشؤوم بين الذكور والإناث في أقبح صوره، وأسوأ أوضاعه!

ولقد تسابق المطربون والمطربات في غزو استوديوهات التسجيل لتسجيل ماجن غنائهم وطربهم ومن ثم تسويقه عبر شركات التسويق المتخصصة؛ لتشنيف أسماع الجماهير العطشى لكلمات الغزل والعهر ولا حول ولا قوة إلا بالله!

---

(١) صفوة التفاسير: محمد الصابوني (٢/ ٥٢٤).

• خامساً: الأدب الخليع، والروايات الهابطة:

ظلت دور النشر والمطابع من أمثال (الهلال) و(الأهرام) و(تهامة)، (الساقي) و(العودة) و(رياض الريس) ومجلة (الأديب) و(العربي) و(اليمامة) و(الشرق) و(أبو لو) و(اليسار العربي) و(فصول) وغيرها، تسطر يومياً مئات الروايات والقصص الخليع وجامعها المشترك البراءة من الدين الإسلامي والسخرية من شرائعه والدعوة الصريحة إلى الإباحية، والاختلاط بين الجنسين، وقد تصدرت روايات (نجيب محفوظ) و(إحسان عبد القدوس) وأشعار (نزار قباني) و(أدونيس) النتاج العفن لتلك الدور والمجلات الخبيثة!

وشكّلت تلك الروايات الهابطة والخليعة قطب الرحى للسينما العربية، والمسلسلات اليومية المذاعة عبر الفيديو والتلفاز وغيرها.

وللقارئ الكريم ـ إن شاء ـ أن يطالع رواية (بيت سيء السمعة) (خان الخليلي) (فضيحة في القاهرة) (أولاد حارتنا) وكلها لنجيب محفوظ.

ويقرأ كذلك: في (بيتنا رجل) (أنا حُرَّة) (الوسادة الخالية) (العذراء والشعر الأبيض) (أبي فوق الشجرة) (بئر الحرمان) وكلها مجموعات قصصية إباحية لإحسان عبد القدوس وتحولت جميعها إلى أفلام سينمائية

ويقرأ أيضاً (شهرزاد) (الأيدي الناعمة) (عصفور من الشرق) للكاتب المسرحي توفيق الحكيم.

وكما أسلفنا فقد تحولت كثير من الروايات والقصص الخليع إلى مسرحيات وأفلام سينمائية تشترك فيها النساء الخليعات بجوار الرجال الخونة، ويقدمون للمشاهد المسلم، خلاصة المجون والفسوق والعبث الأخلاقي اللئيم!

ومن عجب تسويغ بعض (الشيوخ!) لمشاركة النساء في التمثيل بجانب الرجال؛ فقد أفتى يوسف القرضاوي بجواز ممارسة النساء لفن التمثيل فقال: (ولاشتراك المرأة في التمثيل عدد من الضوابط أهمّها:

١ ـ أن يكون اشتراكها ضرورياً!

٢ - أن تظهر بلباس الإسلام ولا تضع المساحيق!

٣ - أن يراعي المُخرج والمُصوِّر عدم إبراز مفاتنها والتركيز عليها في التصوير!

٤ - أن تتفوه بالكلام الحسن وتبعد عن الفاحش!)[١].

● سادساً: التَرْجَمَةُ الانتقائيةُ:

نشطت حركة الترجمة في العالم الإسلامي، نشاطاً ملموساً وقام الكثيرون بنقل الثقافة الغربية إلى اللغة العربية، بشكل لافت للأنظار، وكم كان هذا الأمرُ مبهجاً لو اقتصرت الهمم على نقل النافع المفيد من علوم الطب والصيدلة، والهندسة، والتقنية لكن الذي تُرجم بالفعل هو الأدب الأوروبي بشتى أنواعه وبما اشتمل عليه من إسفاف خلقي وانحراف سلوكي.

ممّا يشعر الباحث المتأمل أنّ هناك انتقاءً مقصوداً لما يُسمح بترجمته وللأسف الشديد!

يقول الدكتور سفر الحوالي: (وقد قال أحد المستشرقين: إنّ في القاهرة مائتي مطبعة وسبع عشرة تصدر ما معدله كتاب أو نشرة واحدة في اليوم) ثم يستدرك موضحاً أنّ (أكثرية ما يصدر هو ترجمات للقصص الغربية، وهذا يعطينا الدليل على مدى ما وصلت إليه الهجنة، فإن أمة تتجه إلى القصص الغرامية في وقت هي أحوج ما تكون فيه إلى ترجمة العلوم التطبيقية والأخذ بأسباب النهضة لجديرة بهذا الوصف)[٢].

وها هي الترجمات الحرفية الدقيقة للروايات الأجنبية والقصص الخليع، والأدب الماجن التي تكرس حبّ الفاحشة بين الجنسين تملأ رفوف المكتبات التجارية، بل والمكتبات الجامعية، وتشغل جلّ محاضرات (الأدب الإنجليزي) وغيره من الآداب الوافدة التي أصبحت تخصصات معترف بها في جامعاتنا

---

(١) مجلة المجتمع عدد ١٣١٩ نقلاً من: منهج التيسير المعاصر، للطويل ص١٧٠.

(٢) العلمانية ص٥٩٨.

يتسابق إليها الطلاب والطالبات فلا تسل بعد ذلك عن الآثار الخلقية المتدنية لدى الأجيال وأقلها التوقان العاصف للاختلاط لدى الجنسين، والتهوين من خطورته وسوء عاقبته!

◌ سابعاً: المشاركات السياسية والوفود الاقتصادية:

وكان من وسائل إشاعة الاختلاط الدعوة إلى إعطاء المرأة ما يُسمّى بحقوقها السياسية والتي كانت بمثابة جسر العبور إلى نزع الحجاب ونبذ الحياء والاختلاط السافر بالرجال الأجانب..

وقد تدرجت النساء المسلمات في مشاركتهن السياسية حتى وصلن إلى أعلى المناصب في السفارات لدى الدول الأجنبية وتقلدن مناصب عليا في المنظمات الدولية!

يقول د. فؤاد عبد الكريم: (أصبح حقل الدبلوماسية المصرية حافلاً بالموظفات من النساء، بعد أن صارت هناك امرأة دبلوماسية بين كل ستة رجال، الأمر الذي بات معه الرجال يخشون من احتكار النساء للوظائف الدبلوماسية!

وفقاً لإحصاءات وزارة الخارجية المصرية، فإنّ النسبة في ازدياد مستمر، فقد التحق بالسلك الدبلوماسي مؤخراً (١٥) امرأة مقابل (٢١) رجلاً فقط، وهي النسبة الأعلى من نوعها منذ نحو نصف قرن، الأمر الذي يفسر بأنّه يشكل تقدماً نسائياً مقابل تراجع الرجال في هذا المضمار..)[١].

وأما الوفود الاقتصادية فقد تتابعت الرحلات الخارجية لما يُسمّى بـ(سيدات الأعمال) حيث سافرن إلى دول عربية وآسيوية متبرجات متهتكات لعقد مؤتمرات سخيفة لا طائل من ورائها سوى تكريس التبرج والخلاعة وتحدي شريعة الله في أرضه، واستفزاز مشاعر الغيورين من أبناء الإسلام، وتقديم قرابين الولاء والطاعة لصُنّاع القرار في الغرب، من خلال إظهار التوافق التام في الأفكار والسلوك الخليع!

---

(١) المرأة المسلمة ص٣٢.

الفصل الثاني

حكم الاختلاط وأدلته

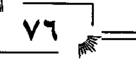
ويتضمن المباحث التالية:

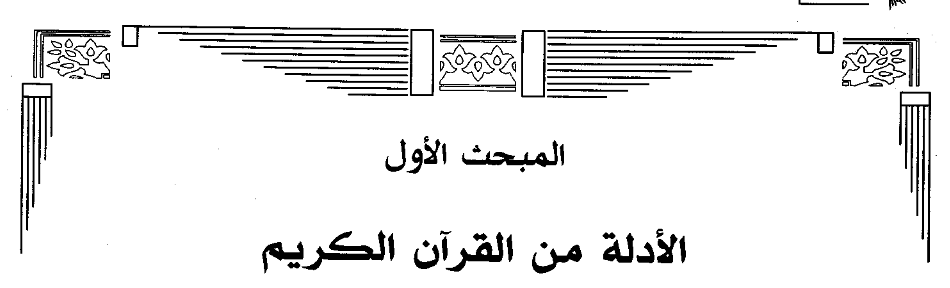
المبحث الأول: الأدلة من القرآن الكريم

المبحث الثاني: الأدلة من السنة النبوية.

المبحث الثالث: قاعدة سد الذرائع.

المبحث الرابع: أدلة النظر الصحيح.





المبحث الأول

الأدلة من القرآن الكريم

١ ـ **قال الله تعالى:** ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وجه الدلالة:

هذه الآية تأمر نساء النبي ﷺ، وعموم نساء الأمة بالقرار في البيوت، وأنّه هو الأصل في حقهن، إلا أن هذا لا يمنع خروجهن عند الحاجات العارضة لهن أو أداء الواجبات المنوطة بهن.

فإنّ الذي أمرهن بالقرار في البيوت هو الذي أمرهن بأن يخرجن لأداء الحج والعمرة، وشهود صلاة العيد ثيبات وأبكاراً. وهو الذي أمر نبيه ﷺ أن يقول: «**لا تمنعوا إماء الله مساجد الله**»[(١)].

بيد أن خروجهن من بيوتهن لا بدّ أن يكون بضوابط شرعية وعلى رأسها: الحجاب الشرعي السابغ للجسد بلا تبرج بزينة، أو تكسر في مشية، أو تطيب في ثوب، أو خضوع في قول!

مع الحذر الأكيد من تبرج الجاهلية الجهلاء، والملة العرجاء، وما كانت عليه من اختلاط النساء بالرجال بلا حياء ولا حشمة.

قال القرطبي: (في هذه الآية الأمر بلزوم البيت، وإن كان الخطاب لنساء النبي ﷺ فقد دخل فيه غيرهن بالمعنى، هذا لو لم يرد دليل يخص جميع النساء، فكيف والشريعة طافحة بلزوم النساء بيوتهن، والانكفاف عن الخروج منها إلا لضرورة)[(٢)].

---

(١) رواه البخاري (٩٠٠) ومسلم (٤٤٢) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٢) تفسير القرطبي (١٤/١٧٩).

۞ ٢ ـ قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّۚ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

وجه الدلالة:

هذه الآية في غاية الصراحة نهياً وردعاً وزجراً عن الاختلاط، فإذا كان سؤال المتاع لا بد أن يكون من وراء حجاب مانع لمجرد النظر، فكيف يسوغ الاختلاط والجلوس على مقاعد متجاورة في المدارس والجامعات، وأماكن العمل في الدوائر والوزارات؟!

وقد بيّن الله تعالى الحكمة من فرض الحجاب في هذه الآية الشريفة، وأنّ ذلك أطهرُ لقلوب السائلين والمسؤولات، وذلك عند السؤال العارض العابر!

ويُفهم من ذلك أنّ عدم الحجاب فساد للقلوب ونجاسة لها فكيف إذا صاحب عدم الحجاب اختلاط دائم، ومجون عارم؟!

قال العلّامة محمد الأمين الشنقيطي: (ويفهم من مفهوم المخالفة المعروف في الأصول بدليل الخطاب في الآية، أنّ الاختلاط وعدم الاحتجاب، أنجس وأقذر لقلوبكم وقلوبهن)[1]

وقال سيد قطب: (فلا يقل أحدٌ غير ما قال الله. لا يقل أحد إن الاختلاط، وإزالة الحُجُب، والترخص في الحديث واللقاء والجلوس والمشاركة بين الجنسين أطهر للقلوب، وأعفُّ للضمائر، وأعون على تصريف الغريزة المكبوتة، وعلى إشعار الجنسين بالأدب وترقيق المشاعر والسلوك.. إلى آخر ما يقوله نفر من خلق الله الضعاف المهازيل الجهال المحجوبين لا يقل أحدٌ شيئاً من هذا والله يقول: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّۚ﴾ [الأحزاب: ٥٣] يقول: هذا عن نساء النبي الطاهرات أمهات المؤمنين، وعن رجال الصدر الأول من صحابة رسول الله ﷺ ممن لا تتطاول إليهن وإليهم الأعناق!

وحين يقول الله قولاً، ويقول خلقٌ من خلقه قولاً؛ فالقول لله سبحانه

---

(١) حكم الاختلاط: الشنقيطي ص٧١.

وكل قول آخر هراء، لا يردده إلا من يجرؤ على القول بأن العبيد الفانين أعلم بالنفس البشرية من الخالق الباقي الذي خلق هؤلاء العبيد، والواقع العملي الملموس يهتف بصدق الله، وكذب المدعين غير ما يقوله الله)[1].

۞ ٣ ـ قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور: ٣٠ ـ ٣١].

وجه الدلالة:

قال العلّامة محمد الأمين: (ومن الأدلة القرآنية على ذلك ـ أي: على تحريم الاختلاط ـ أنّ الله تعالى أمر كلّ واحدٍ من الجنسين بغض البصر عن الآخر، وبيّن أنّ ذلك الأدب السماوي أزكى لهم، أي: أطهر من الريبة، وهدّد من لم يمتثل للأمر من الجنسين بأنه خبير بما يصنع، لا يخفى عليه منه شيء، وذلك في قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾. فانظر قوله: ﴿ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾ تجده يتضمن أدباً سماوياً فيه غاية المحافظة على الفضيلة من أقذار الريبة، وانظر قوله تعالى: ﴿خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ فإنّه تهديد عظيم لمن لم يغض طرفه بل تركه يتمتع بما حرّمه الله، ثم قال تعالى: ﴿وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ .... إلى آخر الآيات.

وفيها تصريح الله ـ جلّ وعلا ـ بأمره كلاً من الجنسين بغض الطرف عمّا لا يحل له من الآخر، وأتبع قوله: ﴿يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ بقوله: ﴿وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ فبدأ بغض البصر قبل الأمر بحفظ الفرج؛ لأنّ النظر بالبصر هو

(١) في ظلال القرآن: سيد قطب (٥/٢٨٧٨).

السبب في الزنا بالفرج؛ لأنّ النظر بريد الزنا، فقد يمتع الرجل عينه بالنظر إلى امرأة جميلة فيستولي حبها على قلبه فيدفعه ذلك إلى الفاحشة، ولا سيما في هذا الزمان الذي نُزعت فيه خشية الله من القلوب.

وانتشر فيه الفساد والإباحية، فلا تكاد ترى من يغض بصره حياء من الله، وخوفاً منه إلا من شاء الله، ومن القليل النادر ـ نعوذ بالله من الخذلان، وطمس البصيرة ـ.

وقد بيّن مسلم بن الوليد الأنصاري ـ في شعره ـ سوء عاقبة النظر المحرّم بقوله:

كسبتُ بقلبي نظرةً لتسرُهُ   عيني فكانتْ شقوةً ووبالاً

وإذا تأملت هذه الآداب السماوية المذكورة في هذه الآية، علمت أنّ دعاة السفور والاختلاط يعارضونها بفلسفة شيطانية يكمن من ورائها ضياع الشرف والعفاف، ويتحصل بسببها ذهاب الأعراض، وتدنيس الفرش، واختلاط الأنساب!

وإيضاحه أنّ من يدعو إلى اجتماع الطالبات في عنفوان شبابهن ونضارة حُسنهن حال كونهن في أزياء إفرنجية مغرية مثيرة، مع كونهن في غاية التصنع والتجمل، مع الشباب الذي تشتعل فيهم نار الغريزة والشهوة بمقتضى شبابهم وميلهم الطبعي الجبلي إلى التمتع بالنساء، والحال أنه لا وازع من دين ولا مروءة يزع الذكور عن الإناث ولا الإناث عن الذكور حسب التقاليد المتبعة، والجميعُ مجتمعون في محل واحد ينظر كل فريق منهم إلى ما يدعو إلى الفتنة من جمال الآخر، فكأنّه يقول لهم: إنّي مهدت لكم وسهلت لكم كل طريق إلى ارتكاب ما لا ينبغي، وإشباع الغرائز بطريق غير مشروعة مدنسة للأعراض والفُرُش والأنساب، وكأن الشيطان يقول لأولئكم: قولوا للمؤمنين لا يغضوا أبصارهم ولا يحفظوا فروجهم، وقولوا للمؤمنات كذلك، وهذا وإن لم يصرحوا به فهو معنى ما فعلوا من الأسباب المفضية له كما لا يخفى على كل منصف)[١].

---

(١) حكم الاختلاط ص٧١.

وقال العلّامة المحقق ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وهكذا أمر الله المؤمنات بغض البصر وحفظ الفرج، وعدم إبداء الزينة إلا ما ظهر منها، وأمرهن الله بإسدال الخمار على الجيوب المتضمن ستر رأسها ووجهها، لأنّ الجيب محل الرأس والوجه.

فكيف يحصل غضُّ البصر وحفظ الفرج، وعدم إبداء الزينة عند نزول المرأة ميدان الرجال، واختلاطها معهم في الأعمال؟!

والاختلاطُ كفيل بالوقوع في هذه المحاذير، وكيف يحصل للمرأة المسلمة أن تغض بصرها، وهي تسير مع الرجل الأجنبي جنباً إلى جنب بحجة أنها تشاركه في الأعمال أو تساويه في جميع ما يقوم به؟!)[1].

٤ ـ يقول سبحانه: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ١٦٨].

ويقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ [النور: ٢١].

وجه الدلالة:

قال ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره (١/ ٥٦٣): (وخطوات الشيطان، يدخل فيها سائر المعاصي المتعلقة بالقلب، واللسان والبدن.

ومن حكمته تعالى، أن بين الحكم، وهو: النهي عن اتباع خطوات الشيطان.

والحكمة هي: بيان ما في المنهي عنه، من الشر المقتضي، والداعي لتركه فقال: ﴿وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ﴾ أي: الشيطان ﴿يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ أي: ما تستفحشه العقول والشرائع، من الذنوب العظيمة، مع ميل بعض النفوس إليه. ﴿وَالْمُنكَرِ﴾ وهو: ما تنكره العقول ولا تعرفه.

فالمعاصي التي هي خطوات الشيطان، لا تخرج عن ذلك. فنهى الله عنها العباد، نعمة منه عليهم، أن يشكروه ويذكروه؛ لأن ذلك، صيانة لهم عن التدنس بالرذائل والقبائح).

---

(١) مجلة البحوث (٦) ص٣٠٠.

وتقول الأستاذة بدرية العزاز تعليقاً على الآية السابقة: (هذا سبيل الشيطان مع بني الإنسان لا يأمرهم بمعصية صغرت أم كبرت إلا ويرسم لها خطواتها حتى يسهل إتيانها!

لذا فإن الشيطان يثير في نفس الفتاة عن زميلها أنه حسن النية، كما أنكِ حسنة النية فيمن يتحدث إليكِ، فمن الذوق النظر إلى وجهه منعاً للإحراج، وإذا ما تكرر هذا الموقف، وحدثت الألفة من الطرفين زال معها التكلف والوحشة، وهنا ينتقل الشيطان إلى الخطوة التالية خطوة المسامرة والتبسم بمناسبة وبغير مناسبة معللاً بأن ذلك يعد كذلك من الذوق والمجاملة، فإذا ما تلامست الأيدي وطرب لها القلب كان ذلك مؤذناً للشيطان أن يصرخ عالياً بأن المكان غير مناسب، والوقت ضيق فلا بد من إعداد المكان وتهيئة الوقت بحجة أن مجلساً يجمعهما منفردين وأنفع لطرح قضايا العمل أو الدراسة، فما أن يبادر الرجل بهذا الطرح حتى توافقه المرأة وتكون هذه الخطوة الرابعة للشيطان.

وبعدما يألف الطرفان هذه المجالس المنفردة. مجالس مناقشة أمور وقضايا العمل أو الدراسة ـ يأتي الشيطان ثانية ليهمس بأن من الأجدر أن يحول مجرى الحديث إلى الحديث عن الحب ومشاعره الفياضة، وكل يبث للآخر مكنونات قلبه، ثم يحدث ما لم يكن في حسبان المرأة وتصورها؛ لأنها تعتقد دائماً بأن الأمر لا يعدو لحظات من السعادة تأنس بها في محادثة شخص يعجبها منطقه وكلامه، لتعود ثانية إلى مواصلة السير في درب الحياة، ولكن الأمر ليس ذاته عند الرجل، فالرجل وبحسب تكوينه الفطري لا يكتفي بهذا القدر من العواطف والمشاعر، وإنما لا بد له من الممارسة الفعلية حتى يشبع نهمه، وهنا تستيقظ المرأة على المأساة التي لم تكن تدور في خلدها، ولم تطرأ على ذهنها، وكانت تستبعدها كلية، تفيق لترى الخطوة الأخيرة! بل الكارثة العظيمة قد حلت بها وحولتها إلى كومة من البؤس والشقاء، فالعار يناديها، والفضيحة تصم أذنيها، فلا رفيق يؤانسها، ولا صاحب يهون عليها مصابها، لقد ضاعت وأضاعت، وفقدت كل شيء بعدما كانت تملك كل شيء.

ويخرج الرجل كأن لم يخض تلك التجربة، وكأن لم يعش تلك اللحظات، يلومها كما يلومها الجميع، ويعيرها كما يعيرها الآخرون، ثم

يتركها تعاني وتعاني، ولعلها قد تعتقد بأن في فكرة الانتحار سبيلها إلى الخلاص مما هي فيه من معاناة، ونهاية لشقائها، وما درت المسكينة أنها ساعية إلى تكملة حلقات شقائها فبالانتحار تغدو قاتلة نفسها.

هذه خطوات الشيطان حين يزين المنكر والفحشاء والباطل عموماً، يزينها ويرسمها كخطوات سهلة هينة كما لو أن أحداً لن يطلع عليها ولن يكشف مكنونها، هذه أمانٍ يلقيها الشيطان في نفس من ضعف من العباد أمام نفسه وهواه. يقول الله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحشر: ١٦، ١٧][١].

٥ ـ قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٦].

وجه الدلالة:

ـ قال ابن العربي رحمه الله في تفسيره (١/ ٢٧٠): (ويحتمل أن تريد بها أنها امرأة فلا تصلح لمخالطة الرجال فهذا فرق بين الرجل والمرأة؛ أن المرأة لا تصلح في مخالطة الرجال والاحتكاك المستمر بين الرجل والمرأة).

ـ وقال الرازي في تفسيره (٨/ ٢٧): (الرابع: أن الذكر لا يلحقه عيب في الخدمة والاختلاط بالناس وليس كذلك الأنثى. والخامس: أن الذكر لا يلحقه من التهمة عند الاختلاط ما يلحق الأنثى).

٦ ـ قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ [غافر: ١٩].

وجه الدلالة:

أن الله تعالى وصف العين التي تسرق النظر إلى ما لا يحل النظر إليه من النساء بأنها خائنة، فكيف بالأعين التي تنظر بكل جسارة وجرأة للنساء في المكاتب والمدارس والجامعات المختلطة؟

وقد فسرها ابن عباس رضي الله عنهما وغيره هو: الرجل يدخل على أهل البيت بيتهم

---

(١) المرأة ماذا بعد السقوط، لبدرية العزاز ص٧٩ وما بعده.

وفيهم المرأة الحسناء، أو تمر به فإذا غفلوا لحظ إليها، فإذا فطنوا غض، فإذا غفلوا لحظ فإذا فطنوا غض وقد اطلع الله من قلبه أنه ود لو اطلع على فرجها[(١)].

۞ ٧ ـ **يقول الله تعالى**: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾ [آل عمران: ١٤].

وجه الدلالة:

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره: (قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ بدأ بهن لكثرة تشوف النفوس إليهن؛ لأنهن حبائل الشيطان وفتنة الرجال.

قال رسول الله ﷺ: «**ما تركت بعدي فتنة أشد على الرجال من النساء**»[(٢)]. ففتنة النساء أشد من جميع الأشياء. . .ولأنهن قد خلقن من الرجل؛ فهمتها في الرجل، والرجل خلق فيه الشهوة وجعلت سكناً له؛ فغير مأمون كل واحد منهما على صاحبه)[(٣)].

قال ابن كثير في تفسيره: (فبدأ بالنساء لأن الفتنة بهن أشد كما ثبت في الصحيح أنه ﷺ قال: «**ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء**»)[(٤)].

وقال الطاهر بن عاشور: (الميل إلى النساء مركوز في الطبع، وضعه الله تعالى لحكمة بقاء النوع بداعي طلب التناسل؛ إذ المرأة هي موضع التناسل، فجعل ميل الرجل إليها في الطبع حتى لا يحتاج بقاء النوع إلى تكلف ربما تعقبه سآمة، وفي الحديث: «**ما تركت بعدي فتنة أشد على الرجال من فتنة النساء**» ولم يذكر الرجال لأن ميل النساء إلى الرجال أضعف في الطبع، وإنما تحصل المحبة منهن للرجال بالإلف والإحسان)[(٥)].

۞ ٨ ـ **قوله تعالى**: ﴿أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ﴾ [النور: ٣١].

---

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ١٣٧).
(٢) رواه البخاري ورقمه (٤٨٠٨) ومسلم (٢٧٤٠).
(٣) تفسير القرطبي (٤/ ٢٩).
(٤) تفسير ابن كثير (١/ ٣٥٢).
(٥) التحرير والتنوير (٣/ ٧٢١).

أولاً: المراد بغير أولي الإربة:

قال ابن عباس: هو المغفل الذي لا شهوة له. وقال مجاهد: هو الأبله. وقال عكرمة: هو المخنث الذي لا يقوم ذكره. قال ابن كثير: وكذلك قال غير واحد من السلف[(١)].

ثانياً: وجه الدلالة:

إذا كان هذا في حال هذا النوع من الناس؛ فكيف بالرجال الأسوياء. وقد روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رجل يدخل على أزواج النبي ﷺ مخنث فكانوا يعدونه من غير أولي الأربة فدخل النبي ﷺ يوماً وهو عند بعض نسائه وهو ينعت امرأة قال: إذا أقبلت أقبلت بأربع، وإذا أدبرت أدبرت بثمان، فقال النبي ﷺ: «لا أرى هذا يعرف ما ههنا لا يدخلن عليكم فحجبوه»[(٢)]..

٩ ـ قوله تعالى: ﴿أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النور: ٣١].

وجه الدلالة:

قال ابن كثير رحمه الله: (يعني لصغرهم لا يفهمون أحوال النساء وعوراتهن من كلامهن الرخيم وتعطفهن في المشية وحركاتهن؛ فإذا كان الطفل صغيراً لا يفهم ذلك فلا بأس بدخوله على النساء، فأما إن كان مراهقاً أو قريباً منه بحيث يعرف ذلك ويدريه ويفرق بين الشوهاء والحسناء، فلا يمكن من الدخول على النساء، وقد ثبت في الصحيحين عن رَسُولِ الله ﷺ أنه قَالَ: **«إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ»** قالوا: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَرَأَيْتَ الْحَمْوَ؟ قَالَ: **«الْحَمْوُ الْمَوْتُ»**).

١٠ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢].

وجه الدلالة:

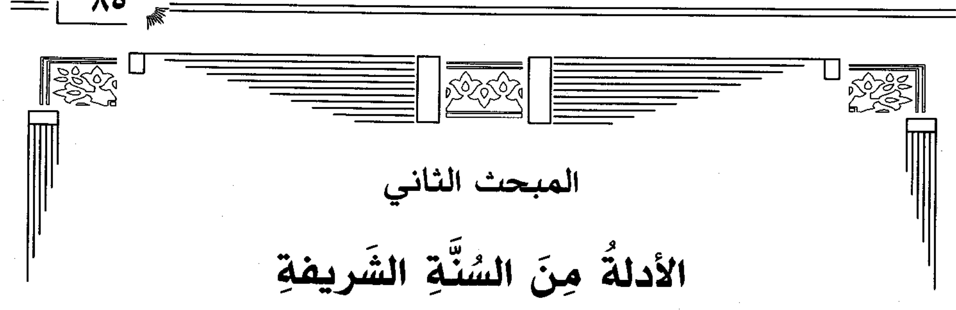
يقول سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله: (فالدعوة إلى نزول المرأة في الميادين التي تخص الرجال أمر خطير على المجتمع الإسلامي، ومن أعظم آثاره الاختلاط الذي يعتبر من أعظم وسائل الزنا الذي يفتك بالمجتمع ويهدم قيمه وأخلاقه)[(٣)].

---

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٤٨). وانظر: تفسير البغوي (٦/ ٣٣).

(٢) رواه مسلم (٢١٨١).

(٣) الموقع الرسمي لسماحة الشيخ على الشبكة.



المبحث الثاني

الأدلةُ مِنَ السُنَّةِ الشَريفةِ

١ ـ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ**» فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَرَأَيْتَ الْحَمْوَ؟ قَالَ: «**الْحَمْوُ الْمَوْتُ**»(١).

وجه الدلالة:

قلنا: هذا حديث صحيح صريح في منع الاختلاط لا يتطرق إليه الشك صحة ومعنى بصيغة تحذيرية بليغة: (إياكم) وذلك لما في الدخول على النساء، فضلاً عن طول الاختلاط بهن والمُكْثِ بينهن من المفاسد الجمّة والآفات العظيمة ـ التي سنذكر طرفاً منها في مبحث قادم ـ إن شاء الله ـ.

قال العلّامة محمد الأمين رَحِمَهُ اللَّهُ: (فقد صدّر النبي ﷺ كلامه في هذا الحديث بصيغة التحذير التي هي (إياكم والدخول على النساء)، وهو تحذير شديد نبوي من الاختلاط بهن، ثم لمّا سأله الأنصاري عن قريب زوجها يدخل عليها، عبّر ﷺ عن دخوله عليها بالموت، والموت هو أفظع حادث يقع في الإنسان بالدنيا كما قال الشاعر:

والموتُ أعظمُ حادثٍ ... ممّا يمرُّ على الجبلّة

والجبلّةُ: الخَلْقُ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٤] فتأملوا قوله ﷺ في دخول قريب الزوج على زوجته:

الحمو: الموت لتدركوا أنّ اختلاط الرجال الأجانب بالنساء الأجنبيات أنّه هو الموت!

---

(١) رواه البخاري ورقمه (٥٢٣٢) ومسلم (٢١٧٢) من حديث عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الظاهر أنّه ﷺ إنّما سمّاه موتاً لأنّه يؤدي إلى فاحشة الزنى وهي إماتة للفضيلة والشرف والدين فهو موت ديني أعظم من الموت الحسي بمفارقة الروح للبدن.. وبما ذكرنا يتضح أنّ الدعوة إلى الاختلاط والسفور دعوة إلى الموت ولم يسمه النبي ﷺ موتاً إلّا لشدة ضرره وعظم خطره!)[(١)].

وقال العلّامة بكر أبو زيد رحمه الله: (....ومن الأحكام: تحريم دخول الرجال على النساء، حتى الأحماء ـ وهم أقارب الزوج ـ فكيف بالجلسات العائلية المختلطة، مع ما هنّ عليه من الزينة، وإبراز المفاتن والخضوع بالقول والضحك؟)[(٢)].

۞ ٢ ـ وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال ﷺ: **«مروا أبناءكم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر، وفرّقوا بينهم في المضاجع»**[(٣)].

وجه الدلالة:

قال العلّامة ابن باز رحمه الله: (وإنّما أمر ﷺ بالتفريق بينهم في المضاجع، لأنّ قرب أحدهما من الآخر في سنّ العاشرة وما بعدها وسيلة لوقوع الفاحشة بسبب اختلاط البنين والبنات، ولا شك أنّ اجتماعهم في المرحلة الابتدائية كلّ يوم وسيلة لذلك..)[(٤)].

وإذا كان نبينا ﷺ قد أمر بالتفريق بين الأبناء الذين هم من أب وأم واحدة، والذين لن يكونوا غائبين عن أنظار والديهم، وملاحظتهم، فكيف بالأبناء المتباعدين نسباً ووطناً، وفي بعد تام عن مراقبة القائمين على المدارس المختلطة الذين ـ ربما كانت ـ شيوع الفاحشة بين أبناء المجتمع هدفاً مأمولاً لديهم؟!

۞ ٣ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: **«إِنَّ اللهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنْ الزِّنَا أَدْرَكَ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ، فَزِنَا الْعَيْنِ النَّظَرُ، وَزِنَا اللِّسَانِ**

---

(١) حكم الاختلاط ص٧٥. (٢) حراسة الفضيلة ص٨٥.
(٣) رواه أبو داود (٤٩٥) وقال النووي في المجموع (٣/ ١٠): «إسناده حسن».
(٤) الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ ابن باز رحمه الله.

الْمَنْطِقُ، وَالنَّفْسُ تَمَنَّى وَتَشْتَهِي وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِك كُلَّهُ وَيُكَذِّبُهُ»[١].

وجه الدلالة:

قال العلّامة الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ: (ولا يخفى أنّ الطلبة والطالبات في وقت الاجتماع للدروس، وفي الفُسح التي بين الدروس وفي المنتزهات ومواضع السباحة في المساء ومواضع المذاكرة تزني عيونهم وألسنتهم وأيديهم، وأنّ فروجهم وقت إمكان الفرص لا تُكذب ذلك، وإنما تصدقه لعدم الوازع الديني، وعدم العقوبة الرادعة عن ذلك)[٢].

قلنا: فإذا كان الاختلاط سبباً مباشراً في زنا الأعين والألسن بنظراتها الآثمة وعباراتها الماجنة، فهل يبيح أحد الاختلاط بعد ذلك وهذه نتائجه المخجلة المريبة؟!

٤ ـ عن أُمّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ: (أَنَّ النِّسَاءَ فِي عَهْدِ رَسُولِ الله ﷺ كُنَّ إِذَا سَلَّمْنَ مِنْ الْمَكْتُوبَةِ قُمْنَ وَثَبَتَ رَسُولُ الله ﷺ وَمَنْ صَلَّى مِنْ الرِّجَالِ مَا شَاءَ اللهُ فَإِذَا قَامَ رَسُولُ الله ﷺ قَامَ الرِّجَالُ)[٣].

٥ ـ وعَنْ أُمّ سَلَمَةَ أيضاً رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: (كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا سَلَّمَ قَامَ النِّسَاءُ حِينَ يَقْضِي تَسْلِيمَهُ وَيَمْكُثُ هُوَ فِي مَقَامِهِ يَسِيراً قَبْلَ أَنْ يَقُومَ، قَالَ الراوي ـ وهو الزهري ـ: نَرَى وَاللهُ أَعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ لِكَيْ يَنْصَرِفَ النِّسَاءُ قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُنَّ أَحَدٌ مِنْ الرِّجَالِ)[٤].

وجه الدلالة من الحديثين:

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ في «فتح الباري» (٢/٣٣٦) في فوائد الحديث: (وفيه: اجتناب مواضع التهم وكراهية مخالطة الرجال للنساء في الطرقات فضلاً عن البيوت).

---

(١) رواه البخاري ورقمه (٥٧٧٤) ومسلم (٤٨٠١).

(٢) حكم الاختلاط ص٧٨.

(٣) رواه البخاري ورقمه (٨٦٦).

(٤) رواه البخاري ورقمه (٨٧٥).

وللداعية الكبير أبي الأعلى المودودي رَحِمَهُ اللهُ كلام موجز ونفيس في هذا الشأن إذ يقول: (فالدين الذي لا يسمح باختلاط الجنسين للعبادة في مواضعها، هل لأحد أن يتصور عنه أن يبيح الاختلاط بينهما في الكليات والمكاتب والمجالس والنوادي الساهرة؟!!)[١].

٦ ـ عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«لَوْ تَرَكْنَا هَذَا الْبَابَ لِلنِّسَاءِ»** قَالَ نَافِعٌ: فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ ابْنُ عُمَرَ حَتَّى مَاتَ[٢].

وجه الدلالة:

ما أوضح هذا الدليل لمن أمعن النظر على حرمة الاختلاط وتنفير الشارع منه؛ فقد خصص النبي ﷺ باباً خاصاً في مسجده الشريف لدخول النساء وخروجهن حذراً من مخالطة الرجال، مع كونهن قادمات للعبادة، ومن تأتي منهن اليوم قد لا تأتي غداً.

ومع كونهن كذلك متحجبات بمروطهن كالغربان كما صح بذلك الحديث، فكيف يسوغ الجلوس والعمل على مقاعد الدراسة وخلف المكاتب ووسط دهاليز المؤسسات والدوائر والوزارات؟!

قال العلّامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ: (بل وصنع ـ أي: الشارع الحكيم ـ الوسائل للمحافظة على حالة التباعد، وعدم الاختلاط بين الجنسين عند الخروج من المسجد والدخول إليه، فمن ذلك أنه أفرد في المسجد باباً خاصاً للنساء يدخلن ويخرجن منه لا يخالطهن ولا يشاركهن فيه الرجال)[٣].

٧ ـ بوّب البخاري رَحِمَهُ اللهُ ـ (باب سرعة انصراف النساء من الصبح، وقلة مُقامهن في المسجد).

عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: (كُنَّ نِسَاءُ الْمُؤْمِنَاتِ يَشْهَدْنَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ

---

(١) تفسير سورة النور: ص١٥٧.

(٢) رواه أبو داود (٥٧١) قال الألباني: «صحيح على شرط الشيخين». من هامش: المرأة المسلمة: البنا ص١٥، ١٦.

(٣) حاشية الألباني على المرأة المسلمة: البنا ص١٦.

صَلَاةَ الْفَجْرِ مُتَلَفِّعَاتٍ بِمُرُوطِهِنَّ ثُمَّ يَنْقَلِبْنَ إِلَى بُيُوتِهِنَّ حِينَ يَقْضِينَ الصَّلَاةَ لَا يَعْرِفُهُنَّ أَحَدٌ مِنْ الْغَلَسِ)(١).

وفي رواية للنسائي: (فَكَانَ إِذَا سَلَّمَ انْصَرَفْنَ مُتَلَفِّعَاتٍ بِمُرُوطِهِنَّ فَلَا يُعْرَفْنَ مِنْ الْغَلَسِ)(٢).

وجه الدلالة:

قلنا: فأي شيء يدل عليه هذا الحديث؟ وأي شيء يدل عليه تبويب الإمام البخاري غير عناية الشارع وحرص نساء السلف على ابتعادهن عن الرجال، وعدم اختلاطهن بهم حتى في أنزه الأماكن وأشرف الأوقات، وعند أداء أعظم العبادات خلف سيد ولد آدم عليه الصلاة والسلام؟!

قال ابن حجر في الفتح (٢/ ٣٥١): (قوله: باب سرعة انصراف النساء من الصبح) قيد بالصبح؛ لأنّ طول التأخير فيه يفضي إلى الإسفار فناسب الإسراع، بخلاف العشاء فإنه يفضي إلى زيادة الظلمة، فلا يضر المكث).

٨ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«خَيْرُ صُفُوفِ الرِّجَالِ أَوَّلُهَا وَشَرُّهَا آخِرُهَا وَخَيْرُ صُفُوفِ النِّسَاءِ آخِرُهَا وَشَرُّهَا أَوَّلُهَا»**(٣).

وجه الدلالة:

قلنا: إذا كان شر صفوف النساء في المساجد أولها مع كونهن قدمن للصلاة والعبادة، فكيف الحال حين تختلط أنفاس الرجال والشباب بأنفاس النساء والفتيات عبر المقاعد المتلاصقة في قاعات الدراسة أو خلف المكاتب وداخل ورش المصانع وخطوط الإنتاج؟!

قال النووي في «شرح مسلم» (٤/ ١٥٩): (أما صفوف الرجال فهي على عمومها فخيرها أولها أبداً، وشرها آخرها أبداً. أما صفوف النساء، فالمراد

---

(١) رواه البخاري ورقمه (٥٧٨)، ومسلم (٦٤٥).

(٢) رواه النسائي ورقمه (١٣٦٢). بإسناد صحيح. والغلس: قال ابن الأثير في النهاية ص٦٧٥: (الغلس: ظلمة آخر الليل إذا اختلط بضوء الصباح).

(٣) رواه مسلم ورقمه (٤٤٠).

بالحديث: صفوف النساء اللواتي يصلين مع الرجال، وأما إذا صلين متميزات لا مع الرجال، فهن كالرجال، خير صفوفهن أولها، وشرها آخرها، والمراد بشرّ الصفوف في الرجال والنساء: أقلها ثواباً وفضلاً، وأبعدها من مطلوب الشرع، وخيرها: بعكسه.

وإنّما فضّل آخر صفوف النساء الحاضرات مع الرجال لبعدهن من مخالطة الرجال ورؤيتهم، وتعلق القلب بهم عند رؤية حركاتهم، وسماع كلامهم، ونحو ذلك وذمّ أول صفوفهن لعكس ذلك والله أعلم).

وقال الشوكاني رَحِمَهُ الله: (قوله: **«وخير صفوف النساء آخرها»** إنما كان خيرها لما في الوقوف فيهِ من البعد عن مخالطة الرجال)(١).

قال الألباني رَحِمَهُ الله: (هذا كله في حالة العبادة والصلاة التي يكون فيها المسلم والمسلمة أبعد ما يكون عن وسوسة الشيطان وإغوائه)(٢).

٩ ـ عن مالك بن ربيعة الساعدي رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ وَهُوَ خَارِجٌ مِنْ الْمَسْجِدِ فَاخْتَلَطَ الرِّجَالُ مَعَ النِّسَاءِ فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ لِلنِّسَاءِ: **«اسْتَأْخِرْنَ(٣) فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكُنَّ أَنْ تَحْقُقْنَ الطَّرِيقَ عَلَيْكُنَّ بِحَافَّاتِ الطَّرِيقِ(٤)، فَكَانَتْ الْمَرْأَةُ تَلْتَصِقُ بِالْجِدَارِ حَتَّى إِنَّ ثَوْبَهَا لَيَتَعَلَّقُ بِالْجِدَارِ مِنْ لُصُوقِهَا بِهِ»**(٥).

وجه الدلالة:

قلنا: وهذا الحديث واضح الدلالة في الزجر عن الاختلاط كغيره من الأدلة السابقة، فإذا كان الاختلاط بين الرجال والنساء ممنوعاً حتى في

---

(١) نيل الأوطار (٣/ ١٨٤).
(٢) حاشية الألباني على المرأة المسلمة، للبنا ص١٣.
(٣) استأخرن: أي: تأخرن وتمشين في جانب الطريق.
(٤) أن تَحْقُقْنَ: أي: تتوسطنّ.
(٥) رواه أبو داود ورقمه (٥٢٧٢). وسكت عنه المنذري وله شاهد عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: (ليس للنساء وسط الطريق) رواه ابن حبان في صحيحه رقم (١٩٦٩). والحديث حسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة حديث رقم (٨٥) (٢/ ٥٣٧).

الطرقات حال الانصراف من الصلاة مع النبي ﷺ، فكيف يكون الاختلاط مباحاً في المكاتب والمدارس والجامعات؟!

١٠ ـ عن عَبْد الرَّحمنِ بْنِ عَابِسٍ قَالَ: (سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ قِيلَ لَهُ: أَشَهِدْتَ الْعِيدَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: نَعَمْ وَلَوْلَا مَكَانِي مِنْ الصِّغَرِ مَا شَهِدْتُهُ حَتَّى أَتَى الْعَلَمَ الَّذِي عِنْدَ دَارِ كَثِيرِ بْنِ الصَّلْتِ فَصَلَّى ثُمَّ خَطَبَ ثُمَّ أَتَى النِّسَاءَ وَمَعَهُ بِلَالٌ فَوَعَظَهُنَّ وَذَكَّرَهُنَّ وَأَمَرَهُنَّ بِالصَّدَقَةِ فَرَأَيْتُهُنَّ يَهْوِينَ بِأَيْدِيهِنَّ يَقْذِفْنَهُ فِي ثَوْبِ بِلَالٍ ثُمَّ انْطَلَقَ هُوَ وَبِلَالٌ إِلَى بَيْتِهِ)[١].

وجه الدلالة:

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: (قوله: (ثم أتى النساء) يشعر بأن النساء كنّ على حدة من الرجال غير مختلطات بهم.

قوله: (ومعه بلال) فيه: أنّ الأدب في مخاطبة النساء في الموعظة أو الحكم أن لا يحضر من الرجال إلا ما تدعو الحاجة إليه من شاهد ونحوه، لأنّ بلالاً كان خادم النبي ﷺ، ومتولي قَبْضَ الصدقة، وأما ابن عباس فقد تقدم أن ذلك اغتفر له بسبب صغره)[٢].

قال أبو الطيب: (وفيه: أنّ النساء إذا حضرن صلاة الرجال ومجامعهم، يكنَّ بمعزل عنهم خوفاً من فتنة أو نظرة أو فكر ونحوه)[٣].

١١ ـ وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: (سَمِعْتُهُ يَقُولُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَامَ فَبَدَأَ بِالصَّلَاةِ ثُمَّ خَطَبَ النَّاسَ بَعْدُ فَلَمَّا فَرَغَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ نَزَلَ فَأَتَى النِّسَاءَ فَذَكَّرَهُنَّ وَهُوَ يَتَوَكَّأُ عَلَى يَدِ بِلَالٍ وَبِلَالٌ بَاسِطٌ ثَوْبَهُ يُلْقِي فِيهِ النِّسَاءُ صَدَقَةً، قُلْتُ لِعَطَاءٍ: أَتَرَى حَقّاً عَلَى الْإِمَامِ الْآنَ أَنْ يَأْتِيَ النِّسَاءَ فَيُذَكِّرَهُنَّ حِينَ يَفْرُغُ، قَالَ: إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ عَلَيْهِمْ وَمَا لَهُمْ أَنْ لَا يَفْعَلُوا)[٤].

---

(١) رواه البخاري ورقمه (٩٢٤). (٢) فتح الباري (٢/ ٤٦٦).
(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود (٣/ ٤٩١)
(٤) رواه البخاري ورقمه (٩٦١) ومسلم (٨٨٥).

وفي رواية مسلم: (يُجلس الرجال بيده)[١]. وذلك كي لا يختلطوا بالنساء.

وجه الدلالة:

قال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وفيه أيضاً: تمييز مجلس النساء إذا حضرن مجامع الرجال؛ لأنّ الاختلاط ربما كان سبباً للفتنة الناشئة عن النظر أو غيره)[٢].

۞ ١٢ ـ عن عائشة أم المؤمنين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: يا رسول الله نرى الجهاد أفضل العمل أفلا نجاهد؟ قال: «**لا، لكن أفضل الجهاد: حج مبرور**»[٣].

وجه الدلالة:

لك أن تتأمل أيها القارئ الكريم كيف لم يحبذ الشارع تمكين النساء من الجهاد في سبيل الله، مع كونه ذروة سنام الإسلام وشدة حاجة الأمة إليه، وما ذلك إلا حفاظاً عليهن، وإبعاداً لهنّ عن مجامع الرجال والاختلاط بهم.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وإنما لم يكن الجهاد واجباً عليهن، لما فيه من مغايرة المطلوب منهن من الستر ومجانبة الرجال، فلذلك كان الحج أفضل لهنّ من الجهاد)[٤].

۞ ١٣ ـ وعن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «**إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ عَلَى الطُّرُقَاتِ**». فَقَالُوا: مَا لَنَا بُدٌّ إِنَّمَا هِيَ مَجَالِسُنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا. قَالَ: «**فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا الْمَجَالِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا**». قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ؟ قَالَ: «**غَضُّ الْبَصَرِ وَكَفُّ الْأَذَى وَرَدُّ السَّلَامِ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيٌ عَنْ الْمُنْكَرِ**»[٥].

وجه الدلالة:

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقد أشار النبي ﷺ إلى علة النهي: من التعرض للفتن، والإثم بمرور النساء وغيرهنّ، وقد يمتد نظرٌ إليهنّ أو فكرٌ فيهنّ أو ظنّ

---

(١) رواه مسلم ورقمه (٨٨٤).
(٢) نيل الأوطار (٣/ ٣٧٥).
(٣) رواه البخاري ورقمه (١٥٢٠).
(٤) فتح الباري (٦/ ٧٦).
(٥) رواه البخاري ورقمه (٢٤٦٥) ومسلم (٢١٢١).

سوء فيهنّ، أو في غيرهنّ من المارين)[١].

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: (وقد اشتملت على معنى علة النهي عن الجلوس في الطرق: من التعرض للفتن بمرور النساء الشوابّ، وخوف ما يلحق من النظر إليهن من ذلك، إذ لم يمنع النساء من المرور في الشوارع لحوائجهن، ومن التعرض لحقوق الله وللمسلمين مما لا يلزم الإنسان إذا كان في بيته..)[٢].

١٤ ـ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ جَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَتْ: (يَا رَسُولَ اللهِ ذَهَبَ الرِّجَالُ بِحَدِيثِكَ فَاجْعَلْ لَنَا مِنْ نَفْسِكَ يَوْماً نَأْتِيكَ فِيهِ تُعَلِّمُنَا مِمَّا عَلَّمَكَ اللهُ، فَقَالَ: **«اجْتَمِعْنَ فِي يَوْمِ كَذَا وَكَذَا فِي مَكَانِ كَذَا وَكَذَا»** فَاجْتَمَعْنَ فَأَتَاهُنَّ رَسُولُ الله ﷺ فَعَلَّمَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَهُ اللهُ)[٣].

وجه الدلالة:

قال بدر الدين العيني رَحِمَهُ اللهُ: (قوله: «غلبنا عليك الرجال» معناه: أن الرجال يلازمونك كل الأيام ويسمعون العلم وأمور الدين ونحن نساء ضعفة لا نقدر على مزاحمتهم؛ فاجعل لنا يوماً من الأيام نسمع العلم ونتعلم أمور الدين)[٤].

وهذا يدل على اختصاصهن بمجلس ويوم لا يخالطهن فيه الرجال، وإذا كان رسول الله ﷺ لم يخلط بين النساء والرجال في مجلس حديثه وتعليمه، فما بال أقوام يهونون أمر الاختلاط في المدارس والجامعات في عصر يموج فتناً ويضطرب محناً وقد رقت الديانة وقل الوازع الديني بشكل مخيف؟!

١٥ ـ وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: **«مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ»**[٥].

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٤/ ١٤٢).
(٢) فتح الباري (١١/ ١١).
(٣) رواه البخاري ورقمه (٧٣١٠) ومسلم (٢٦٣٤).
(٤) عمدة القاري (٢/ ١٣٤).
(٥) رواه البخاري ورقمه (٢٩٨) ومسلم (٨٠).

وجه الدلالة:

أن المرأة قادرة على التأثير على عقل الرجل الحازم وقلبه ومشاعره، ولا ريب أن الاختلاط يهيء الطرفين للوقوع في هذا المحذور.

١٦ ـ عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمُ امْرَأَةً»**[١].

وجه الدلالة:

قال الإمام البغوي رحمه الله في شرح السنة: (اتفقوا على أن المرأة لا تصلح أن تكون إماماً ولا قاضياً؛ لأن الإمام يحتاج إلى البروز لإقامة أمر الجهاد والقيام بأمور المسلمين، والقاضي يحتاج إلى البروز لفصل الخصومات، والمرأة عورة لا تصلح للبروز، وتعجز لضعفها عند القيام بأكثر الأمور)[٢].

١٧ ـ ترجم البخاري رحمه الله لكيفية طواف النساء مع الرجال فقال: (باب طواف النساء مع الرجال) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله شارحاً الترجمة: (أي: هل يختلطن بهم أو يطفن معهم على حدة بغير اختلاط أو ينفردن؟)[٣] ثم ساق البخاري رحمه الله بسنده إلى ابنِ جُرَيْجٍ أَخْبَرَنَا قَالَ: (أَخْبَرَنِي عَطَاءٌ إِذْ مَنَعَ ابْنُ هِشَامٍ النِّسَاءَ الطَّوَافَ مَعَ الرِّجَالِ قَالَ: كَيْفَ يَمْنَعُهُنَّ وَقَدْ طَافَ نِسَاءُ النَّبِيِّ ﷺ مَعَ الرِّجَالِ، قُلْتُ: أَبَعْدَ الْحِجَابِ أَوْ قَبْلُ؟ قَالَ: إِي لَعَمْرِي لَقَدْ أَدْرَكْتُهُ بَعْدَ الْحِجَابِ، قُلْتُ: كَيْفَ يُخَالِطْنَ الرِّجَالَ؟ قَالَ: لَمْ يَكُنَّ يُخَالِطْنَ كَانَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها تَطُوفُ حَجْرَةً مِنَ الرِّجَالِ لَا تُخَالِطُهُمْ، فَقَالَتِ امْرَأَةٌ: انْطَلِقِي نَسْتَلِمْ يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَتِ: انْطَلِقِي عَنْكِ وَأَبَتْ، يَخْرُجْنَ مُتَنَكِّرَاتٍ بِاللَّيْلِ فَيَطُفْنَ مَعَ الرِّجَالِ وَلَكِنَّهُنَّ كُنَّ إِذَا دَخَلْنَ الْبَيْتَ قُمْنَ حَتَّى يَدْخُلْنَ وَأُخْرِجَ الرِّجَالُ وَكُنْتُ آتِي عَائِشَةَ أَنَا وَعُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ وَهِيَ مُجَاوِرَةٌ فِي جَوْفِ ثَبِيرٍ قُلْتُ: وَمَا حِجَابُهَا؟ قَالَ: هِيَ فِي قُبَّةٍ تُرْكِيَّةٍ لَهَا غِشَاءٌ وَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهَا غَيْرُ ذَلِكَ وَرَأَيْتُ عَلَيْهَا دِرْعاً مُوَرَّداً)[٤].

---

(١) رواه البخاري ورقمه (٤٤٢٥).
(٢) شرح السنة (٥/ ٣٢٢).
(٣) فتح الباري (٣/ ٥٦١)
(٤) رواه البخاري ورقمه (١٦١٨) من حديث عطاء رضي الله عنه.

وجه الدلالة:

قال الحافظ ابن حجر بعد أن ترجم لابن هشام ـ وهو إبراهيم بن هشام بن عبد الملك ـ: وظاهر هذا أنّ ابن هشام: أول من منع ذلك[١].

لكن روى الفاكهي من طريق زائدة عن إبراهيم النخعي قال: (نهى عمر ﷺ أن يطوف الرجال مع النساء قال: فرأى رجلاً معهن فضربه بالدرة)[٢].

قال الحافظ ﷺ: وهذا ـ إن صح ـ لم يعارض الأول؛ لأن ابن هشام منعهن أن يطفن حين يطوف الرجال مطلقاً، فلهذا أنكر عليه عطاء، واحتج بصنيع عائشة، وصنيعها شبيه بهذا المنقول عن عمر.

قال الحافظ موضحاً قول عطاء: (وقد طاف نساء النبي ﷺ مع الرجال).

قال: أي: غير مختلطات بهم.

وقال عند قول عطاء: (إذا دخلن البيت قمن) والمعنى: (إذا أردن دخول البيت وقفن حتى يدخلن حال كون الرجال خارجين منه).

١٨ ـ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ ﷺ قَالَتْ: (شَكَوْتُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ أَنِّي أَشْتَكِي، فَقَالَ: «**طُوفِي مِنْ وَرَاءِ النَّاسِ وَأَنْتِ رَاكِبَةٌ**» فَطُفْتُ وَرَسُولُ الله ﷺ يُصَلِّي إِلَى جَنْبِ الْبَيْتِ وَهُوَ يَقْرَأُ بِالطُّورِ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ)[٣].

وجه الدلالة:

قال ابن عبد البر ﷺ: (وفي هذا الحديث أيضاً من الفقه أن النساء في الطواف يكن خلف الرجال كهيئة الصلاة)[٤].

وقال النووي عند شرحه لهذا الحديث: (إنما أمرها ﷺ بالطواف من وراء الناس لشيئين:

---

(١) أي: أول من منع أن يطوف النساء في وقت الرجال، وقد بين عطاء أنه يجوز للنساء أن يطفن وقت طواف الرجال ولكن منفصلات عنهم.

(٢) أخبار مكة (١/ ٢٥٢).

(٣) رواه البخاري ورقمه (١٦١٩) ومسلم (١٢٧٦).

(٤) التمهيد (١٣/ ١٠٠).

* أحدهما: أن سنة النساء التباعد عن الرجال في الطواف.

* والثاني: أن قربها يُخاف منه تأذي الناس بدابتها، وكذا إذا طاف الرجل راكباً، وإنما طافت في حال صلاة النبي ﷺ ليكون أستر لها وكانت هذه الصلاة صلاة الصبح والله أعلم)[١].

وقال الحافظ ابن حجر: (وفيه: جواز الطواف للراكب إذا كان لعذر، وإنما أمرها أن تطوف من وراء الناس؛ ليكون **أستر لها** ولا تقطع صفوفهم أيضاً ولا يتأذون بدابتها)[٢].

١٩ ـ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان، وأقرب ما تكون من وجه ربها وهي في قعر بيتها»**[٣].

وجه الدلالة:

قال الطيبي رحمه الله: (والمعنى المتبادر: أنها ما دامت في خدرها لم يطمع الشيطان فيها وفي إغواء الناس، فإذا خرجت طمع وأطمع؛ لأنها حبائله وأعظم فخوخه)[٤].

وقال المنذري رحمه الله: (فيستشرفها الشيطان؛ أي: ينتصب ويرفع بصره إليها ويَهمُّ بها؛ لأنها قد تعاطت سبباً من أسباب تسلطه عليها، وهو خروجها من بيتها)[٥].

٢٠ ـ عن أُمّ حُمَيْدٍ امْرَأَةِ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ (أَنَّهَا جَاءَتْ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي أُحِبُّ الصَّلَاةَ مَعَكَ، قَالَ: **«قَدْ عَلِمْتُ أَنَّك تُحِبِّينَ**

---

(١) شرح صحيح مسلم (٩/ ٢٠). (٢) فتح الباري (٣/ ٤٨١).

(٣) رواه الترمذي في سننه في (أبواب الرضاع)، الباب رقم (١٨) برقم (١١٨٣)، وقال: «حديث حسن صحيح غريب» ٢/ ٣١٩. وقال كل من الهيثمي، والمنذري: «رواه الطبراني في الأوسط من حديث عبد الله بن عمر، ورجاله رجال الصحيح». انظر: مجمع الزوائد (٤/ ٣١٤)، والترغيب والترهيب (١/ ٣٠٤).

(٤) فيض القدير، للمناوي (٦/ ٢٦٦).

(٥) الترغيب والترهيب (١/ ٣٠٦).

الصَّلَاةَ مَعِي، وَصَلَاتُكِ فِي بَيْتِكِ خَيْرٌ لَكِ مِنْ صَلَاتِكِ فِي حُجْرَتِكِ، وَصَلَاتُكِ فِي حُجْرَتِكِ خَيْرٌ مِنْ صَلَاتِكِ فِي دَارِكِ، وَصَلَاتُكِ فِي دَارِكِ خَيْرٌ لَكِ مِنْ صَلَاتِكِ فِي مَسْجِدِ قَوْمِكِ، وَصَلَاتُكِ فِي مَسْجِدِ قَوْمِكِ خَيْرٌ لَكِ مِنْ صَلَاتِكِ فِي مَسْجِدِي» قَالَ: فَأَمَرَتْ فَبُنِيَ لَهَا مَسْجِدٌ فِي أَقْصَى شَيْءٍ مِنْ بَيْتِهَا وَأَظْلَمِهِ فَكَانَتْ تُصَلِّي فِيهِ حَتَّى لَقِيَتْ اللهَ ﷻ)[1].

وجه الدلالة:

فهذه الصحابية امرأة صالحة تقية ذات خلق ودين، ومع ذلك بيَّن لها ﷺ في أي الأماكن تكون صلاتها فيه أفضل وأتقى، وذكر لها على الترتيب الأماكن التي يتميز بعضها عن بعض في الخير، وهي: بيتها، والمراد به هنا: المكان الذي تكون فيه المرأة أكثر ستراً وبعداً عن أعين الناس، وهو مكان مبيتها مع زوجها الذي لا يراها فيه أحد سواه، ثم حجرتها ـ ويظهر من الحديث أنها أقل من البيت ستراً وصوناً، وبعد حجرتها: دارُها، وهي: التي تكون فيه بعيدةً عن أنظار الرجال الأجانب، وبعدَ الدار: مسجدُ قومها؛ لأنه أقربُ المساجد إلى سكنها، والنزول إليه لا يقتضي منها السير كثيراً، فاستشراف الشيطان لها فيه أقل في المساحة والزمن، وبعد مسجد قومها: يأتي مسجدُهُ ﷺ، وهو أبعد فتضطر معه إلى السير لمسافة أطول، وحينئذ يكون استشراف الشيطان لها أطول مدة وأشد تمكيناً، ولذا نصحها ﷺ بالصلاة في بيتها؛ لأنه أشد الأماكن ستراً لها وبعداً عن مخالطة الرجال الأجانب، ومنه يتبين حرص النبي ﷺ على صيانة المرأة إلى هذا الحد الذي ليس وراءه ما بعده؛ لأنه مدرك لما ينتج عن خروجها من بيتها من أخطار على الفرد والأسرة والمجتمع.

وإذا كان خروج المرأة الصالحة التقية للصلاة مع رسول الله ﷺ في

---

(١) رواه أحمد (٦/ ٣٧١) وابن خزيمة (١٦٨٩)، وقال الحافظ في الفتح (٢/ ٣٥٠): «إسناده حسن». وقال الألباني في صحيح الترغيب ص٣٤٠: «حسن لغيره».

مسجده أقل استحباباً من صلاتها في بيتها، فما القول في خروج النساء إلى الأندية وميادين الدراسة والعمل وساحات السياسة ومسيرات الاحتجاج؟!!

٢١ ـ عن عروة بن الزبير، عن عائشة؛ أنها أخبرته؛ أن أفلح، أخا أبي القعيس، جاء يستأذن عليها. وهو: عمها من الرضاعة. بعد أن أنزل الحجاب. قالت: فأبيت أن آذن له. فلما جاء رسول الله ﷺ أخبرته بالذي صنعت. فأمرني أن آذن له علي[١]..

وجه الدلالة:

لو كان الاختلاط جائزاً لسمحت عائشة رضي الله عنها بدخول أفلح أبي القعيس عليها فدل هذا على حرمة الاختلاط.

قال العيني رحمه الله: (وفيه: أنه لا يجوز للمرأة أن تأذن للرجل الذي ليس بمحرم لها في الدخول عليها، ويجب عليها الاحتجاب منه، وهو **كذلك إجماعاً** بعد أن نزلت آية الحجاب، وما ورد من بروز النساء فإنما كان قبل نزول الحجاب، وكانت قصة أفلح مع عائشة بعد نزول الحجاب، كما ثبت في الصحيحين)[٢].

٢٢ ـ وعَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ قَالَتْ: أُمِرْنَا أَنْ نُخْرِجَ الْحُيَّضَ يَوْمَ الْعِيدَيْنِ وَذَوَاتِ الْخُدُورِ، فَيَشْهَدْنَ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَدَعْوَتَهُمْ، وَيَعْتَزِلُ الْحُيَّضُ عَنْ مُصَلَّاهُنَّ، قَالَتِ امْرَأَةٌ: يَا رَسُولَ اللهِ إِحْدَانَا لَيْسَ لَهَا جِلْبَابٌ؟ قَالَ: «**لِتُلْبِسْهَا صَاحِبَتُهَا مِنْ جِلْبَابِهَا**»[٣].

٢٣ ـ وأخرجه الترمذي بلفظ: كَانَ ﷺ يُخْرِجُ الْأَبْكَارَ وَالْعَوَاتِقَ وَذَوَاتِ الْخُدُورِ وَالْحُيَّضَ فِي الْعِيدَيْنِ، فَأَمَّا الْحُيَّضُ فَيَعْتَزِلْنَ الْمُصَلَّى وَيَشْهَدْنَ دَعْوَةَ الْمُسْلِمِينَ، قَالَتْ إِحْدَاهُنَّ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا جِلْبَابٌ، قَالَ: «**فَلْتُعِرْهَا أُخْتُهَا مِنْ جَلَابِيبِهَا**»[٤].

---

(١) رواه مسلم (١٤٤٥).
(٢) عمدة القاري (١٣/ ٢٠٢).
(٣) رواه البخاري (٣٥١).
(٤) رواه الترمذي (٥٣٩) وقال: «حسن صحيح». والعواتق: جمع عاتق وهي الشابة أول =

وجه الدلالة من الحديثين:

دل الحديثان على منع النساء من الاختلاط بالرجال من وجهين:

١ ـ أن من شأن العواتق والمُخدَّرات عدم البروز إلا فيما أذن لهن فيه[١].

٢ ـ قول المرأة: يا رسول الله إحدانا ليس لها جلباب. يدل على قلة خروج المرأة من بيتها في ذلك العصر، وإلَّا لو كان خروجهنَّ كثيراً فهل يعقل ألَّا تجد المرأة جلباباً تستتر به؟!

وما قلة خروجهن الا تحاشياً للفتنة وللاختلاط مع الرجال، وما يجره ذلك على المجتمع من ويلات وشرور والله المستعان.

٢٤ ـ وعَنْ عَبْد اِلله بن عمر رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: **«كُلُّكُمْ رَاعٍ فَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ.. وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ.. أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»**[٢].

وجه الدلالة:

أن النبي ﷺ اعتبر قرار المرأة في بيتها وعدم البروز والاختلاط بالرجال هو الأصل الأصيل في دائرة عملهن؛ وما عداه استثناء.

بل حتى نصوص القرآن الكريم كانت دائماً تنسب البيوت للنساء مع أن البيوت في الغالب ملك للأزواج، فمن ذلك: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ﴾.

فجملة الآيات والأحاديث دلت على المكان الطبيعي للمرأة، وأنه لا يتجاوز أسوار بيتها ففيه سكنها ومملكتها، وفيه أمنها واستقرارها، وسلامتها من الفتن والشرور ومضايقة الرجال لها وقطع أطماعهم بها.

= ما تدرك، وقيل: هي الجارية التي قد أدركت وبلغت فخدرت في بيت أهلها ولم تتزوج، سميت بذلك لأنها عتقت عن خدمة أبويها ولم يملكها زوج بعد. قاله أحمد شاكر في تحقيقه على الترمذي (٢/ ٤١٩).

(١) عمدة القاري (٦/ ٣٠٢ ـ ٣٠٣)، فتح الباري شرح صحيح البخاري (٣/ ١٥٠).

(٢) رواه البخاري ورقمه (٢٥٥٤).

۞ ٢٥ ـ وعن علي بن أبي طالب ﷺ قال: (أما تغارون أن تخرج نساؤكم) ـ وقال هنَّاد في حديثه ـ: (ألا تستحيون أو تغارون، فإنَّهُ بلغني أن نساءكم يخرجنَّ في الأسواق يزاحمنَّ العلوج)[1].

وجه الدلالة:

في الأثر بيان ما كان عليه سلفنا الصالح من الغيرة على نسائهم ونساء المسلمين، وكيف استنكر عليٌّ ﷺ ما جرى من بعض حدثاء العهد بالإسلام من تهاون في خروج نسائهم إلى الأسواق ونحوها مع كثرة من فيها من الأعاجم.

ولا يسعنا أن نقول إلا: رحمك الله يا صاحب رسول الله ﷺ كيف لو رأيت زمننا هذا وما فيه من مخالطة النساء للرجال في كل مكان!؟

۞ ٢٦ ـ عن ابن عباس ﷺ قال: (لعن رسول الله زوارات القبور)[2].

وجه الدلالة:

لا شك أنَّ في زيارة المرأة للمقابر تذكراً للآخرة، وزهداً في الدنيا، وتعجيلاً للتوبة، ولكن منعت منه النساء صيانة لهنَّ عن الجزعِ والبكاء بحضرة الرجال، فضلاً عن رغبة الشارع الحكيم في تقليل دواعي خروجَ المرأة من بيتها ومخالطة الرجال، لما يترتبُ على ذلك من مفاسد.

وفي هذا إعمال وتأصيل لقاعدة سد الذرائع التي توافرت نصوص الكتاب والسنة على تقعيدها وترسيخها، في مقابل استماتة البعض في التهوين من شأنها ومحاولة تعطيلها!

وحتى الذين أجازوا للنساء زيارة المقابر، فقد منعوا ذلك إذا أدت زيارتهن للفتنة أو الاختلاط بالرجال، وخصّه بعضهم بالقواعد دون الشوابّ.

قال القرطبي رحمه الله في التفسير: (أما الشوابّ فحرام عليهن الخروج،

(١) أخرجه: أحمد (١/ ١٣٣). وإسناده حسن.
(٢) رواه ابن ماجه (١٥٧٥) قال الألباني: «حسن».

وأما القواعد فمباح لهن ذلك، وجائز لجميعهن ذلك إذا انفردن بالخروج عن الرجال)(١).

۝ ٢٧ ـ عن عمرة بنت عبد الرحمن، أنها سمعت عائشة ـ زوج النبي ﷺ ـ تقول: (لو أنّ رسول الله ﷺ رأى ما أحدث النساء؛ لمنعهن المسجد، كما مُنعت نساءُ بني إسرائيل. قال: فقلت لعمرة: أنساء بني إسرائيل منعن المسجد؟ قالت: نعم)(٢).

وجه الدلالة:

قال الحافظ ابن رجب في فتح الباري (٨/ ٧٣): تشير عائشةُ ﵂ إلى أن النبي ﷺ كان يرخص في بعض ما يرخص فيه حيث لم يكن في زمنه فسادٌ، ثم يطرأ الفساد ويحدث بعده، فلو أدرك ما حدث بعده لما استمر على الرخصه، بل نهى عنه؛ فإنه إنما يأمرُ بالصلاح، وينهى عن الفساد.

وشبيهٌ بهذا: ما كان في عهد النبي ﷺ وعهد أبي بكرٍ وعمر من خروج الإماء إلى الأسواق بغير خمارٍ حتى كان عمر يضرب الأمه إذا رآها منتقبةً أو مستترةً، وذلك لغلبة السلامه في ذلك الزمان، ثم زال ذلك وظهر الفساد وانتشر، فلا يرخص حينئذٍ فيما كانوا يرخصون فيه.



(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٢٠/ ١٧٠).
(٢) رواه مسلم ورقمه (٤٤٥).



المبحث الثالث

قاعدة سد الذرائع

إن أمر الوقاية وتدابيرها في الإسلام أمر أصيل، ويندرج تحت قاعدة (سد الذرائع)[١]، التي تقضي بإغلاق جميع السبل المؤدية إلى المحرم أو إلى الضرر، كما أنه يندرج تحت قواعد مثل:

أ ـ «درء المفاسد مقدم على جلب المصالح»[٢].

فكل ما يمكن أن يترتب عليه ضرر: يُحجم عنه ويمنع، مع عدم الالتفات إلى المصالح المرجوة من ورائه.

ب ـ «الدفع أقوى من الرفع»[٣].

بمعنى أن منع الشيء قبل وقوعه يُعد أقوى في التأثير في التعامل مع ذلك الشيء الضار مما لو انتظرنا أن يقع ثم نحاول بعد ذلك إزالته، هذا بالإضافة إلى كون الدفع ـ عن طريق الوقاية ـ يُعد أسهل وأيسر وأقل تعقيداً من الرفع لآثار الضرر الذي حلّ، وهذا قد يجر أضراراً ومفاسد أخرى معه، وهذا معنى قولهم: (الوقاية خير من العلاج) ولكن الفقه الإسلامي أسبق في ذلك.

أليس الأمر بغض البصر عن المحرمات وقاية من الوقوع فيها؟!!

أليس النهي عن خلوة الرجل بالمرأة وقاية من وقوع كليهما في الفاحشة؟!

---

(١) الموافقات في أصول الشريعة، للشاطبي (٣/ ٢٥٧ـ ٣٠٠).
قلنا: ذكر العلامة ابن القيم في كتابه (إعلام الموقعين) تسعة وتسعين دليلاً على قاعدة سد الذرائع

(٢) الأشباه والنظائر، للسيوطي ص١٧٩. (٣) المرجع السابق ص٥٦٠.

وهكذا يقال في الاختلاط، حيث ثبت أنّ الاختلاط بين الفتيان والفتيات يتناسب طردياً مع انتشار الفاحشة، ومن ثمّ انتشار الأمراض الخطيرة في المجتمع.

والتفريق بين الجنسين يُعد من قبيل سد الذرائع، وكأنّ المراد هنا أنّ الاختلاط ذريعة لإثارة الشهوات، وهذه ذريعة للزنا، والزنا من كبائر الذنوب أولاً، ومن أعظم أسباب العقوبات الإلهية المدمرة ثانياً، ثم هو ذريعة للأمراض الخطيرة ثالثاً وليس آخراً؛ فيجب سدُّ كلِّ هذه الذرائع.






المبحث الرابع

أدلة النظر الصحيح

إنّ من ينظر في آفة الاختلاط، ويتأمل في دوافعه وآثاره سيتبين له ما يلي:

أولاً: إنّ الدوافع الجسدية من القوة والعمق بحيث لا يشبعها تمكنها المجرد من الاختلاط، فالمرء لا يسدُّ جوع المعدة بشمٍّ رائحة الشواء بل يزيدها تلهفاً وتشهياً!

وما جوعةُ المعدة إلَّا كجَوْعةِ الجسد كلاهما مُلحةٌ دائمةٌ، وقد شاء لهما العليمُ الخبيرُ ـ سبحانه ـ الدوام، ولزوم الإشباع بالحلال، والنفس متى ما أمكن لها الحصول على ما تهوى وقلّ الوازع؛ سارعت إلى سدّ جوعتها ولو بالحرام عياذاً بالله.

ثانياً: إن عملية تجاور الرجل والمرأة واختلاطهما لا تخلو من أحد أمرين:

إما أن تؤدي إلى إثارة الشهوة بالجنسين وزيادة حدتها، أو يؤدي إلى إضعافها وكسر حدتها، فإن كان الاختلاط مؤدياً إلى تجاذب الذكر والأنثى على ما ركب في طبيعة كل منهما ولم تكن هناك حدود لهذا الاختلاط أو نظام مرسوم؛ تحول الأمر إلى فوضى لا ضابط لها..

وعند ذلك يشيع الأذى بين الناس بشيوع الأمراض، ويفسد المجتمع ويضطرب نظامه ويتمزق شمل جماعته، وتتكاثر الأحقاد والضغائن، بين المتنافسين والمتنافسات، والمتنازعين والمتنازعات على العشيق الواحد والعشيقة الواحدة!

وأما الفرض الثاني فهو أن يكون التجاور بين الرجال والنساء وكثرة

اللقاء بينهم وبينهن أفراداً وجماعات؛ موجباً لإضعاف التجاذب بخفوت صوت الشهوة الجنسية وإضعاف حدتها، أو تحويلها عن وجهتها على ما يزعمه الزاعمون من بعض الباحثين في علم النفس، الداعين إلى تهذيب الغريزة الجنسية أو التنفيس عنها، ومعنى هذا أن يجد كل من الذكور والإناث لذتهم في مجرد الاستمتاع بالحديث والنظر، وأن طول التقارب يولد في نفوسهم ونفوسهن شيئاً من الألفة لا تثور معه الرغبة عند رؤية الجنس الآخر، بله مع قربه منه وملاصقته له، وذلك كله أمر معقول ومحسوس يؤيده المنطق وتؤيده التجربة، لأن إلف النفس للشيء وتكرار اعتيادها إياه يضعف أثره فيها وكنتيجة لذلك سيبرز ما يسمى بالبرود الجنسي، وبالتالي فإن الإنسان يحتاج لكي يثور جنسياً إلى مناظر وأوضاع تخالف ما ألف. (ومحتوى تلك المناظر والأوضاع سيكون شذوذاً في أغلبه)[1].



(١) كتاب المجتمع العاري بالوثائق والأرقام ص٥ ـ ٩. نقلاً من: فلنكن صرحاء يا دعاة الاختلاط (ص١٩ ـ ٢٠).



الفصل الثالث

آثار الاختلاط

ويتضمن المباحث التالية:

المبحث الأول: آثاره على الدين.

المبحث الثاني: آثاره على المجتمع.

المبحث الثالث: آثاره على التعليم.

المبحث الرابع: آثاره على الرجل.

المبحث الخامس: آثاره على المرأة.

المبحث السادس: آثاره على الأسرة.

المبحث السابع: آثاره على الاقتصاد.

المبحث الثامن: آثاره على الصحة.



المبحث الأول

آثاره على الدين

من أخطر آثار الاختلاط، وأشدها فتكاً، وأسوأها مآلاً خطره على الدين الذي هو رأس مال المسلم وأغلى ما يمتلكه ويعتز به ومن ذلك:

١ ـ تسهيل طريق الوقوع فيما حرم الله، وعلى رأسها الزنا، وانتهاك العرض الحرام:

يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَاحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء: ٣٢].

يقول سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: (فالدعوة إلى نزول المرأة في الميادين التي تخص الرجال أمر خطير على المجتمع الإسلامي، ومن أعظم آثاره الاختلاط الذي يعتبر من أعظم وسائل الزنا الذي يفتك بالمجتمع ويهدم قيمه وأخلاقه)(١).

وقال أيضاً: (من المعلوم أن نزول المرأة للعمل في ميدان الرجال يؤدي إلى الاختلاط، وذلك أمرٌ خطير جداً، له تبعاته الخطيرة وثمراته المرة وعواقبه الوخيمة، وهو مصادم للنصوص الشرعية التي تأمر المرأة بالقرار في بيتها، والقيام بالأعمال التي تخصها في بيتها ونحوه، مما تكون فيه بعيدة عن مخالطة الرجال.

والأدلة الصريحة الصحيحة الدالة على تحريم الخلوة بالأجنبية وتحريم النظر إليها وتحريم الوسائل الموصلة إلى الوقوع فيما حرم الله، أدلة كثيرة محكمة قاضية بتحريم الاختلاط المؤدي إلى ما لا تحمد عقباه. منها: قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَوٰةَ

---

(١) الموقع الرسمي لسماحة الشيخ على الشبكة.

وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ [الأحزاب: ٣٣ ـ ٣٤] وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ﴾ [الأحزاب: ٥٣] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٩] وقال الله جل وعلا: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ﴾ إلى أن قال سبحانه: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

وقال ﷺ: «**إياكم والدخول على النساء**» يعني: الأجنبيات. قال رجال من الأنصار: أفرأيت الحمو؟ قال: «**الحمو الموت**».

ونهى الإسلام عن الخلوة بالمرأة الأجنبية على الإطلاق إلا مع ذي محرم، وعن السفر إلا مع ذي محرم، سداً لذريعة الفساد، وإغلاقاً لباب الإثم، وحسماً لأسباب الشر، وحماية للنوعين من مكايد الشيطان.

ولهذا صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء**».

وصح عنه أنه قال ﷺ: «**اتقوا الدنيا واتقوا النساء؛ فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء**».

وقال ﷺ: «**لا يخلون رجلٌ بامرأة فإن الشيطان ثالثهما**».

وهذه الآيات والأحاديث صريحة الدلالة في وجوب القرار في البيت، والابتعاد عن الاختلاط المؤدي إلى الفساد وتقويض الأسر وخراب المجتمعات، فما الذي يلجئنا إلى مخالفتها والوقوع فيما يغضب الله ويحل بالأمة بأسه وعقابه، ألا نعتبر فيما وقع في المجتمعات التي سبقت إلى هذا الأمر الخطير وصارت تتحسر على ما فعلت وتتمنى أن تعود إلى حالنا التي نحن عليها الآن؟

لماذا لا ننظر إلى وضع المرأة في بعض البلدان الإسلامية المجاورة كيف أصبحت مهانة مبتذلة بسبب إخراجها من بيتها وجعلها تعمل في غير وظيفتها؟

لقد نادى العقلاء هناك وفي البلدان الغربية بوجوب إعادة المرأة إلى وضعها الطبيعي الذي هيأها الله له وركبها عليه جسمياً ونفسياً وعقلياً، ولكن بعد ما فات الأوان)[١]..

وليس علماء الإسلام فقط هم الذين يؤكدون حتمية تفشي الزنا نتيجة الاختلاط، ولكن ها نحن ننقل عن عقلاء الغرب بعض ما شاهدوه بأعينهم وعايشوه بأنفسهم من مآسي الاختلاط وآثاره!

تقول الكاتبة الإنجليزية «الليدي كوك» محذرة من الاختلاط:

(على قدر كثرة الاختلاط تكون كثرة أولاد الزنا، وهاهنا البلاء العظيم على المرأة، لقد دلنا الإحصاء على أن البلاء الناتج من حمل الزنا يتعاظم ويتفاقم حيث يكثر اختلاط النساء بالرجال)[٢].

ومن تلك الأرقام والإحصاءات عن أضرار اختلاط النساء بالرجال أن ٧٠٪ إلى ٩٠٪ من الموظفات العاملات بمختلف القطاعات ارتكبت معهنَّ فاحشة الزنا.

و٥٠ ٪ ممن أجري معهنَّ استفتاء ممن يعملن في مجال الأمن تعرضنَّ لارتكاب فاحشة الزنا معهنَّ من قبل رؤسائهنَّ في العمل.

حتى الجامعات وأماكن التربية والتعليم لم تسلم من هذه الموبقات، فأستاذُ الجامعة يرتكب الفاحشة مع طالبته، والطلاب يفعلون ذلك مع الطالبات والمعلمات بالرضا أو الإكراه، وهذه الإحصاءات، وهذه الأرقام رغم ارتفاع معدلاتها فهي قبل أكثر من ربع قرن من الزمان فما الظن بالحال الآن؟![٣].

---

(١) الموقع الرسمي للشيخ على الشبكة.
(٢) نقلاً من المرأة بين الفقه والقانون لمصطفى السباعي ص١٩٠.
(٣) مجلة الدعوة العدد (١٧٨٣).

٢ - النظر إلى ما حرم الله تعالى:

جاءت النصوص الراسخة من الكتاب والسنة قاضية بتحريم إطلاق البصر فيما حرم الله، وملزمة الرجال والنساء بغض أبصارهم قطعاً لدابر الشر، وحسماً لمادة الفتنة ومن ذلك:

قول الله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [النور: ٣٠]، وقوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور: ٣١].

كما روى مسلم عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: (سَأَلْتُ رَسُولَ الله ﷺ عَنْ نَظَرِ الْفُجَاءَةِ فَأَمَرَنِي أَنْ أَصْرِفَ بَصَرِي)[١].

وروى أحمد وغيره عَنِ ابْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ لِعَلِيٍّ: **«يَا عَلِيُّ لا تُتْبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ فَإِنَّ لَكَ الْأُولَى وَلَيْسَتْ لَكَ الْآخِرَةُ»**[٢].

وكذلك ما روي عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: كُنْتُ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ وَعِنْدَهُ مَيْمُونَةُ فَأَقْبَلَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ أُمِرْنَا بِالْحِجَابِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«احْتَجِبَا مِنْهُ»** فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ أَلَيْسَ أَعْمَى لَا يُبْصِرُنَا وَلَا يَعْرِفُنَا؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«أَفَعَمْيَاوَانِ أَنْتُمَا أَلَسْتُمَا تُبْصِرَانِهِ»**[٣].

---

(١) رواه مسلم ورقمه (٤٠١٨).

(٢) رواه أحمد (٥/ ٣٥٣)، وأبو داود (٢١٤٩)، والترمذي (٢٩٢٧) وقال: «هذا حديث حسن غريب»، والحاكم (٢/ ٢١٢) وقال: «حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه». وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٩٥٣).

(٣) رواه أحمد (٦/ ٢٩٦)، وأبو داود (٤١١٢)، والترمذي (٢٩٢٨) وقال: «حديث حسن صحيح».

فمن آثار الاختلاط إذاً: مخالفة أمر الله بوجوب غض البصر عما حرّم سبحانه.

إذ لا يماري أحد أنه في ظل المجتمع المختلط؛ فإن الرجل سيبتلى بالنظر إلى المرأة، والمرأة ستبتلى بالنظر إلى الرجل مع أنهما مأموران بغض البصر، وكل ما تقدم من النصوص سيضرب بها عرض الحائط، ولن يلتفت إليها أحد في المجتمعات المختلطة، بل سيصبح تبادل النظرات، وتأمل المحاسن لدى الجنسين بعضهما لبعض أمراً مألوفاً بعد أن تبلد الشعور، وماتت الغيرة، وتوارى الحياء!

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ: (اعلم وفقك الله أن البصر صاحبُ خبر القلب، ينقل إليه أخبار المبصرات، وينقش فيه صورها، فيجول فيها الفكر، فيشغله ذلك عن الفكر فيما ينفعه من أمر الآخرة)[١].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: (والنظر أصل الحوادث التي تصيب الإنسان، فإن النظرة تولد خطرة، ثم تولد الخطرة فكرة، ثم تولد الفكرة شهوة، ثم تولد الشهوة إرادة، ثم تقوى فتصير عزيمة جازمة، فيقع الفعل لا بد، ما لم يمنع منه مانع)[٢].

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ: (ومعلوم أن النظر سبب الزنا فإن من أكثر من النظر إلى جمال امرأة مثلاً قد يتمكن بسببه حبها من قلبه تمكناً يكون سبب هلاكه، والعياذ بالله، فالنظر بريد الزنا)[٣].

٣ ـ مس المرأة للرجل والرجل للمرأة:

إذا حصل اختلاط الرجل بالمرأة في مكان العمل أو المصنع أو على مقاعد الدراسة فهل سيبقيان بلا مسيس وأدناه المصافحة؟!

الجواب: كلا، فهاذا يتنافى مع روح المجاملات ورومانسية العلاقات فإن تصافحا وقعا في الحرام.

---

(١) ذم الهوى (٧٣).
(٢) الجواب الكافي (٣٦٧).
(٣) أضواء البيان، للشنقيطي (٦/ ٢١٤).

وقد دلت النصوص الثابتة على تحريم مصافحة الرجال للنساء الأجنبيات ومنها:

١ ـ حديث عائشة رضي الله عنها قالت: (كانت المؤمنات إذا هاجرن إلى النبي ﷺ يمتحنهن بقول الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الممتحنة: ١٢]، قالت: من أقرَّ بهذا الشرط من المؤمنات فقد أقرَّ بالمحنة، فكان رسول الله ﷺ إذا أقررن بذلك من قولهن، قال لهن ـ رسول الله ﷺ: انطلقن فقد بايعتكن، لا والله ما مسَّت يدُ رسول الله ﷺ يدَ امرأة قط غير أنَّه يبايعهن بالكلام)[١].

قال ابن الجوزي رحمه الله: (وقد صح في الحديث أن النبي ﷺ لم يصافح في البيعة امرأة وإنما بايعهن بالكلام)[٢].

قال الحافظ العراقي رحمه الله: (وفيه: أنه ﷺ لم تمس يدُه قط يدَ امرأة غير زوجاته وما ملكت يمينه، لا في مبايعة، ولا في غيرها، وإذا لم يفعل هو ذلك مع عصمته وانتفاء الريبة في حقه؛ فغيره أولى بذلك، والظاهر أنه كان يمتنع من ذلك لتحريمه عليه؛ فإنه لم يُعدَّ جوازه من خصائصه)[٣].

٢ ـ حديث أُميمة بنتُ رقيقة قالت: (أتيت رسول الله ﷺ في نسوةٍ نبايعُه فقلنا: نبايعُك يا رسول الله، على أن لا نشرك بالله شيئاً، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيك في معروف، فقال رسول الله ـ ﷺ: **«فيما استطعتن وأطقتن»** قالت: فقلنا: اللهُ ورسولُه أرحمُ بنا من أنفسنا، هلمَّ نبايعك يا رسول الله فقال: **«إني**

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٨٧٩) ومسلم (٣٤٧٠).
(٢) زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي (٨/ ٢٤٤).
(٣) طرح التثريب، للعراقي (٧/ ٤٥).

لا أصافح النساء، إنما قولي لمائة امرأة كقولي لامرأة واحدة، أو مثل قولي لامرأة واحدة»[١].

قال الشنقيطي رحمه الله: (وكونه ﷺ لا يصافح النساء وقت البيعة دليل واضح على أن الرجل لا يصافح المرأة ولا يمس شئٌ من بدنه شيئاً من بدنها لأن أخف أنواع اللمس المصافحة فإذا امتنع منها ﷺ في الوقت الذي يقتضيها وهو وقت المبايعة دل ذلك على أنها لا تجوز وليس لأحد مخالفته ﷺ لأنه هو المشرع لأمته بأقواله وأفعاله وتقريره)[٢].

٣ ـ وعن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له»**[٣].

قال الألباني رحمه الله: (وفي الحديث وعيد شديد لمن مسَّ امرأة لا تحل له، ففيه دليل على تحريم مصافحة النساء؛ لأن ذلك ممَّا يشمله المسُّ دون شك وقد بلي بها كثير من المسلمين في هذا العصر، وفيهم بعض أهل العلم، ولو أنهم استنكروا ذلك بقلوبهم لهان الخطب بعض الشئ، ولكنهم يستحلون ذلك بشتى الطرق والتأويلات)[٤].

هذا غير التحرشات الجنسية، واللمسات والاحتكاكات التي تفرضها طبيعة العمل اليومي والأخذ والعطاء، والمجئ والذهاب وغير ذلك مما هو مشاهد ومعلوم!

---

(١) رواه النسائي (٤١١٠)، ومالك في الموطأ (١٥٥٦). وأحمد في المسند (٤٤١/٥٤) برقم (٢٥٧٦٩). وقال ابن كثير في (تفسيره ١٢٢/٨): «هذا إسناد صحيح».

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي (٢٥٦/٦).

(٣) قال المنذري في الترغيب (٢٦/٣): «رواه الطبراني والبيهقي ورجال الطبراني ثقات رجال الصحيح» وقال الألباني: «حسن صحيح». انظر: صحيح الترغيب (١٩١٠).

(٤) السلسلة الصحيحة (٢٢٦/٤٤٨/١).

٤ ـ خلوة المرأة بالرجل:

لقد أجمع العلماء على تحريم الخلوة بين الرجل والمرأة من غير المحارم وفيما يلي طرف منها:

قال النووي رحمه الله في شرحه على مسلم (١٤/ ١٥٣): (تحريم الخلوة بالأجنبية، وإباحة الخلوة بمحارمها **مجمع عليهما**).

وقال في (٩/ ١٠٩): (إذا خلا الأجنبي بالأجنبية من غير ثالث معهما فهو **حرام باتفاق العلماء**، وكذا لو كان معها من لا يُستحيى منه لصغره كابن سنتين وثلاث ونحو ذلك؛ فإنّ وجوده كالعدم).

وقال الشوكاني رحمه الله في «نيل الأوطار» (٦/ ١١٢): (والخلوة بالأجنبية **مجمع على تحريمها** كما حكى ذلك الحافظ في الفتح وعلى التحريم ما في الحديث من كون الشيطان ثالثهما).

إنَّ اختلاء الرجل بالمرأة في الأماكن المختلطة أمر متوقع لا شك فيه، فكثيراً ما تستدعي طبيعة العمل أو فلسفة التعليم المختلط أن يبقى الرجل والمرأة وحيدين في مكان ما، إما بسبب انشغال بقية الموظفين وانتقالهم من مكان لآخر، أو بسبب الغياب العارض أو المقصود وهنا تكون الخلوة المحرمة بكل ما ينجم عنها من سلبيات وآثار مدمّرة، ومن ذلك:

١ ـ تهيئة الجو المثير للغرائز، والمؤجج للشهوات ومن ثمّ توقع حدوث الفاحشة بنسبة عالية!

وفي قصة يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز ومحاولتها المستميتة لإيقاعه في حبائل مكرها لولا أن عصمه الله أعظم دليل لما نقول.

٢ ـ استشراء الفساد في أرجاء المجتمع واعتياد الناس رؤية وملاحظة حالات الخلوة بلا نكير.

٣ ـ فقدان الحياء وذبوله لدى المرأة، ولو بصورة متدرجة، ومن ثم سهولة استجابتها لنزوات الرجال الأشرار.

٤ ـ انعدام الثقة بين أفراد المجتمع حين يألف الناس الخلوة، وتصبح أمراً عادياً في حياتهم.

٥ ـ نشأة الأحقاد، ووقوع الثارات الدموية، والصراعات القبلية بين المحافظين ودعاة الفضيلة وبين الإباحيين وسماسرة الرذيلة.

٦ ـ تشويه صورة الإسلام عند الآخرين إذ لم يعد ثمة فرق بين سلوكيات الكفرة مع نسائهم، وسلوك من ينتسب للإسلام ممّن يمارس ذات العلاقات المشبوهة!.

٧ ـ تفكك الأُسر، وتشتت الأبناء فحين يختلي الزوج بنساء أجنبيات، وتختلي الزوجة برجال أجانب، تحصل الشكوك والوساوس، ومن ثَمَّ النزاعات الأسرية، التي تنتهي غالباً بالطلاق.

٨ ـ كثرة أولاد الزنا، ونشوء ظاهرة اللقطاء ـ عياذاً بالله ـ أمر متوقع، وآخذ بالازدياد بصورة مطردة مع زيادة حالات الخلوة في المجتمع

٥ ـ خضوع المرأة بالقول:

لقد نهى العليم الخبير بحكمته سبحانه النساء عن الخضوع بالقول وترقيق الكلام بحضرة الرجال الأجانب يقول تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [الأحزاب: ٣٢].

وذلك لما لتلك الأصوات الرخيمة، والعبارات المثيرة من الإجهاز السريع على قلوب الرجال، وطيش عقولهم وفي أماكن الاختلاط تضطر المرأة طوعاً أو كرهاً لترقيق صوتها وترخيم عباراتها عند الحديث مع زملائها ورؤسائها إذ إنَّ هذا هو أحد متطلبات العمل وفلسفة الأداء الإيجابي الدال على رقيها وبراعتها.

إنّ اعتياد بعض النسوة والفتيات الخضوع بالقول، وطمع بعض الرجال من مرضى القلوب فيهن، وافتتان آخرين بأصواتهن، كفيل بإرباك المنظومة الأخلاقية في المجتمع، وإقحامه في أتون الفواحش والرذائل، وتعريض عامة الناس إلى الفتنة العمياء، والردّة الصمّاء!

وقد رأينا كيف وقعت بعضُ المجتمعات ضحية تهتك النساء، وتخنث الرجال، فراجت الفاحشة، وانتشرت الرذيلة، وذهب الحياء، وقلّ الوقار.

إنَّ صوت المرأة في حدِّ ذاته مهما كان جاداً بعيداً عن الريبة والخضوع؛ مثير لشهوة ضعاف النفوس لئام الطبع، فكيف إذا صَاحبَ الصوتَ تغنجٌ وتكسرٌ ولينٌ وعذوبة؟!

إنّ الأثر حينئذ خطير، والمفسدة متحققة لا محالة، وأبرزها؛ افتتانُ الرجال بجمال الصوت ودلاله، فالغريزة في الذكور تجاه الإناث قابلة للهيجان عند أدنى مؤثر صادر عن المرأة حتى ولو كان خفق نعليها، فكيف إذا كان الصوت صادراً من حنجرة لعوب، ولسان ماكر؟!

٦ ـ التبرج بالزينة أمام الرجال الأجانب:

فإن الملاحظ على الأماكن التي يحدث فيها الاختلاط تجمل النساء وإبداء الزينة والمحاسن أمام الرجال الأجانب وهذا أمر محرم بذاته.

وقال الشوكاني رحمه الله: (التبرّج: أن تبدي المرأة من زينتها ومحاسنها ما يجب عليها ستره مما تستدعي به شهوة الرجل)[1].

وقال ابن عاشور رحمه الله: (التبرج: إظهار المرأة محاسن ذاتها وثيابها وحليها بمرأى الرجال)[2].

وقال السعدي رحمه الله عند قوله تعالى: (﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾ أي: لا تكثرن الخروج متجملات أو متطيبات، كعادة أهل الجاهلية الأولى، الذين لا علم عندهم ولا دين، فكل هذا دفع للشر وأسبابه)[3].

والله تعالى يقول: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣]. وقال تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [النور: ٣١].

---

(١) فتح القدير (٤/٣٤٨).

(٢) التحرير والتنوير (٢٢/١٢).

(٣) تيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المنان (٣/ ١٣٨٤).

فلا ريب إذاً أنَّ التبرج أمر محرم لا يجوز بحال، وكل ما نقلناه عن العلماء في معناه يدل على حرمته، وأنه من أفعال الجاهلية التي حذَّر الله تعالى من التشبه بها.

فالآية الكريمة نص صريح في النهي عن التبرج من جهة، وتشبيهه بأفعال الجاهلية من جهة أخرى، وقد قال نبينا ﷺ: **«من تشبه بقوم فهو منهم»**[(١)].

٧ ـ فقدان حلاوة الإيمان:

فمع كثرة رؤية النساء واختلاط الرجال بهن يقسو القلب، ويقلُّ الوازع فالذنوب لها أثرها الفعال في قسوة القلب وإحلال الظلمة فيه يقول النبي ﷺ: **«تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُوداً عُوداً فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ»**[(٢)].

فأين يجد الإنسان لذة العبادة وهو يرى في كل وقت امرأة جميلة؟! وأين يخشع المسلم في صلاته وهو يحادث كلّ ساعة امرأة متبرجة، ذات صوت رخيم ونظرات فاتنة، وحركات مريبة؟!.

فكل هذه الأمور السابقة مخالفات شرعية تأثر تأثيراً بالغاً على دين المسلم وإيمانه؛ فالمعاصي لها أثرها الوخيم في ضعف الإيمان نسأل الله تعالى السلامة والعافية.



(١) أخرجه أحمد (٢/ ٥٠ و٩٢)، وأبو داود برقم (٤٠٣١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. وصححه الألباني في الإرواء (٥/ ١٠٩).
(٢) رواه مسلم ورقمه (١٤٤) من حديث حذيفة رضي الله عنه.





المبحث الثاني

آثاره على المجتمع

الاختلاط له آثاره الخطيرة على المجتمع فمن تلك الآثار:

١ ـ انتشار المجون والخلاعة في المجتمع:

من الطبيعي المعتاد أنَّ المجون والخلاعة تظهران بوضوح في المجتمعات المختلطة، لأنها الأرضية الخصبة لنشوء الرغبات المحرمة، واستثارة الغرائز الكامنة، ومن المتوقع كثيراً انتشار بيوت البغاء، بل قد تتخذ حرفة تُجبى من ورائها أرباح باهظة.

تقول الصحفية الأمريكية (هيليان ستانبري) موجهة نصيحتها للمسلمات وأصحاب القرار في العالم الإسلامي:

ـ أنصح بأن تتمسكوا بتقاليدكم وأخلاقكم، امنعوا الاختلاط، وقيدوا حرية الفتاة، بل ارجعوا لعصر الحجاب، فهذا خير لكم من إباحية وانطلاق ومجون أوربا وأمريكا!

ـ امنعوا الاختلاط، فقد عانينا منه في أمريكا الكثير، لقد أصبح المجتمع الأمريكي مجتمعاً مليئاً بكل صور الإباحية والخلاعة، إن ضحايا الاختلاط يملئون السجون، إن الاختلاط في المجتمع الأمريكي والأوروبي، قد هدد الأسرة وزلزل القيم والأخلاق[1].

وقال جورج رائيلي: (والسبب الآخر الخطير الذي عمت لأجله الفوضى الجنسية في المجتمع أن النساء لا يزلن يتهافتن على الأشغال التجارية ووظائف المكاتب والحرف المختلفة، حيث تسنح لهن فرص الاختلاط

---

(١) شبكة نور الإسلام مقالة للدكتور محمد المسند.

بالرجال صباح مساء، وقد حط ذلك من المستوى الخلقي في الرجال والنساء)[١].

٢ ـ انتشار الأمراض النفسية في المجتمع:

إنَّ ضنك العيش، واضطراب الأنفس، ونشوء القلق لا يمكن أن يحصل كحصوله عند الإعراض عن أوامر المولى جلّ في علاه فهو القائل: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٤].

وأي إعراض أعظم من إباحة الاختلاط وترويجه وتمكين الناس منه في مدارسهم وجامعاتهم ومكاتبهم، فالله تعالى أمر النساء بالقرار في البيوت ونهاهن عن التبرج والخضوع أفلا يكون الاختلاط والحالة هذه التفاف فاضح على تلك التوجيهات الربانية المثلى؟!

يقول سيد قطب رحمه الله: (ولقد شاع في وقت من الأوقات أن الاختلاط تنفيس وترويح وإطلاق للرغبات الحبيسة، ووقاية من الكبت، ومن العقد النفسية!

ولكن هذا لم يكن سوى فروض نظرية رأيت بعيني في أشد البلاد إباحية وتفلتاً من جميع القيود الاجتماعية والأخلاقية والإنسانية ما يكذبها وينقضها من الأساس!

نعم شاهدت في البلاد التي ليس فيها قيد واحد على الكشف الجسدي والاختلاط الجنسي بكل صوره وأشكاله، أنَّ هذا كله لم ينته بتهذيب الدوافع الجنسية وترويضها، إنَّما انتهى إلى سعار مجنون لا يرتوي ولا يهدأ إلا ريثما يعود إلى الظمأ والاندفاع!!

وشاهدت الأمراض النفسية، والعقد التي كان مفهوماً أنها لا تنشأ إلا من الحرمان، وإلا من التلهف على الجنس الآخر المحجوب، شاهدتها بوفرة ومعها الشذوذ الجنسي بكل أنواعه ثمرة للاختلاط الذي لا يقيده قيد ولا يقف

---

(١) دستور الأسرة في ظلال القرآن، لأحمد فائز ص٢١٦.

عند حد. والتجارب المعروضة اليوم في العالم مصدقة لما نقول، وهي في البلاد التي بلغ الاختلاط فيها أقصاه أظهر في هذا وأوقع من كل دليل)[١].

٣ ـ ضياع الأمن وفقدان الاستقرار:

يعدُّ الأمن أهم متطلبات الحياة السعيدة، وبدونه تتحول الحياة كلها إلى جحيم وشقاء لا يطاق إذ لا معنى للحياة ولا طعم لها ولا مذاق حين يصبح المرء خائفاً ويمسي متوجساً فلا يأمن على نفس أو مال أو عرض أو ولد، ولسنا نأتي ببدع من القول حين نؤكد أنَّ الاختلاط بين النساء والرجال في أوساط الدراسة والعمل أهم مقوض للأمن، ومعول الهدم الأول لجدار الفضيلة والعفة واللذان بفقدهما تحلُّ النكبات وتضطرم نار الشهوات ومن ثم تقع الحروب والثارات.

تقول الصحفية الأمريكية (هيليان ستانبري): (إن ضحايا الاختلاط يملؤون السجون، إن الاختلاط في المجتمع الأمريكي والأوروبي، قد هدد الأسرة وزلزل القيم والأخلاق).

وقد نشرت مجلة الشهاب السورية رسالة لمراسلها في لندن يروي فيها عن مراسل جريدة (الديلي إكسبريس) في نيويورك: (أن ثلاثة آلاف طالب من جامعة كاليفورنيا قاموا بهجوم وحشي على بعض طالبات الجامعة وهن في غرف نومهن، وأضافت صحيفة الطلبة (الديلي كاليفورنيان) أن الطالبات قد ضُربن واعتُدي عليهن، وحُملن إلى خارج غرفهن وهن في مناماتهن وبعضهن عاريات، وقُلبت السرر، ورُميت الفرش من النوافذ)[٢].

ونشرت مجلة حياة، تحت عنوان: (في الهند باصات للنساء فقط) وفيها: (يقول المراقبون: إن إقدام سلطات المدينة على هذه الخطوة جاء في أعقاب سلسلة من الجرائم التي استهدفت النساء في دلهي خلال الشهور الأخيرة، وقد أصبحت النساء اللواتي يسافرن في الحافلات في مختلف المدن

---

(١) في ظلال القرآن (٤/ ٢٥١١) بتصرف.

(٢) مكانك تحمدي، لأحمد محمد جمال ص٩٠.

الهندية على دراية كاملة بالأخطار التي تنطوي عليها أسفارهن، وفي أعقاب هذه الجرائم أصبح يتعين على النساء الهنديات تحمل المضايقات التي يتعرضن لها خلال السفر، سواء الابتسامات أو المعاكسات من الرجال أو تعليقاتهم الفاحشة أو حتى اللمسات والتحرش الجسدي)[١].

وهذا ما تم أيضاً في مصر في محافظة الإسكندرية فقد طالب المجلسُ الشعبيُ المحلي لمحافظة الإسكندرية هيئةَ السكك الحديدية بأن يتم تخصيص عربتين في كل قطار من القطارات للنساء واشترط المجلس أن تكون العربتان وسط القطار، وليس في مقدمة القطار، ويقول الخبر أيضاً: وتجددت الدعوات الإسلامية في الآونة الأخيرة من الدعاة والعلماء بمطالبة الحكومة بتخصيص أتوبيسات للنساء فقط، وذلك بسبب ازدحام وسائل المواصلات العامة، وتعرضهن للتحرشات الجنسية في الزحام[٢].

٤ ـ كثرة العوانس في المجتمع:

وهي نتيجة طبيعية، فإذا انصرف الشباب عن الزواج، واستعاضوا بالخليلات والصديقات بدلاً عنه، فمن يتقدم لتلك الفتيات؟!

وهذا منذر بخطر كبير؛ لأن المرأة بطبيعة الحال تريد ما يريد الرجل فإذا لم تجده بالحلال فهي بين خيارين:

إما أن تصبر على قدر الله تعالى وتعف نفسها إلى أن يفرج الله كربتها أو ـ عياذاً بالله من ذلك ـ أن تسلك سبيل الحرام، وهذا الذي نخشى منه ومن عواقبه الوخيمة على الفرد والمجتمع.

ففي بداية الاختلاط في سوريا، وجد المصلحون أن الأسرة السورية ومشروع الزواج بدأ ينهار وبسرعة مذهلة.

فأجريت دراسة ميدانية ومسحية تبحث عن السبب الأول وراء العزوف

---

(١) مجلة حياة العدد (٣٤) صفر عام ١٤٢٤هـ.

(٢) موقع لها أون لاين: مقال بعنوان: (منع الاختلاط بين الرجال والنساء في القطارات). بتصرف

عن الزواج، وعن ارتفاع معدلات الطلاق، فوجدت أن السبب الأول وبالإجماع كان الاختلاط بين الجنسين في العمل!![1].

٥ ـ سقوط الأمم وانهيار الدول:

ومن الشواهد التاريخية على هذه الحقيقة انهيار حضارتي الرومان واليونان، يقول الدكتور السباعي رحمه الله:

(من المعلوم تاريخياً أن من أكبر أسباب انهيار الحضارة اليونانية تبرج المرأة ومخالطتها للرجال، ومبالغتها في الزينة والاختلاط، ومثل ذلك حصل تماماً للرومانيين؛ فقد كانت المرأة في أول حضارتهم مصونة محتشمة؛ فاستطاعوا أن يفتحوا الفتوح، ويوحدوا أركان إمبراطوريتهم العظيمة، فلما تبرجت المرأة وأصبحت ترتاد المنتديات والمجالات العامة وهي في أتم زينة وأبهى حلة؛ فسدت أخلاق الرجال، وضعفت ملكتهم الحربية، وانهارت حضارتهم انهياراً سريعاً)[2].

ويقول (ول. ديورانت) في كتابه (حياة اليونان): في أوج مدنية اليونان تبذلت المرأة، واختلطت بالرجال في الأندية والمراقص، فشاعت الفاحشة، حتى أصبح الزنا أمراً غير منكر، وغدت دور البغايا مراكز للسياسة والأدب[3].

إن أي دولة ـ مهما كانت قوية ومتماسكة وعظيمة ـ تشيع نظام الاختلاط بين الجنسين في العمل وفي الشوارع والمدارس والجامعات فإنها إلى الزوال لا محالة.. فالاختلاط طريق انتشار الزنا والخنا في المجتمع، ومن يروج له إنما يستعجل عقاب الله ومقته للمجتمع، فالله سبحانه يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ

---

(١) (لماذا يهربون من جنة الحياة الزوجية؟ مجلة جيش الشعب، العدد (١٠٣٩) تاريخ (٣٠ أيار ١٩٧٢م) ص٣٠.

(٢) المرأة بين الفقه والقانون ص١٨.

(٣) الشباب المسلم والحضارة الغربية، لحسن حسن سليمان. نقلاً من العفة ومنهج الاستعفاف، ليحيى العقيلي ص١٧. وانظر: سبل العفة، لمريم خميس ص٢٠ وما بعده.

أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ [النور: ١٩].

٦ ـ انتشار الأمراض الفتاكة:

لا ريب أنَّ انتشار الأمراض الفتاكة، وظهور أوبئة غير معروفة في سالف الزمان هو نتيجة حتمية لشيوع الاختلاط وما يترتب عليه من انتشار الفواحش، فالأمراض الخبيثة كالإيدز والزهري والسيلان وغيرها هي ثمرات، وآثار مخزية لتعري المجتمعات وانتهاك الأعراض!

إنَّ الإحصاءات تشير بأنَّ تسعين في المائة من أهالي القطر الأمريكي مبتلون بهذه الأمراض، ويعلم من دائرة المعارف البريطانية أنه يعالج في المستشفيات هناك مائتا ألف مريض بالزهري، ومائة وستون ألف مصاب بالسيلان. وقد اختص بهذه الأمراض الجنسية وحدها ستمائة وخمسون مستشفى[1].

يقول الدكتور الفرنسي المتخصص في جراحة الأمراض النسائية: (إن أغلب الأمراض الجنسية التي نعاني منها سببها الاختلاط غير المشروع بين الرجل والمرأة، ولو عدنا إلى أصول هذه المشكلة لوجدنا أن سببها تخلي المرأة والرجل عن حيائهما الذي وضعه الله في كل رجل وامرأة، وبخاصة، وبشكل كبير لدى المرأة، فالمرأة، بعد أن تخلت عن حيائها، وخالفت بذلك طبيعتها الإنسانية، راحت تختار الألبسة التي تكشف عن مفاتنها، فانتشرت الفتنة في المجتمع، وانتشرت الأمراض بعد ذلك) ويضيف قائلاً: (لا بد من التزام المرأة بلباس موحد على مدى الأزمان، لا تتغير مواصفات الحشمة فيه وإن تغيرت نوعيته)[2].

(١) كتاب القوانين الجنسية ص٢٠٤.

(٢) من أجل تحرير حقيقي للمرأة لمحمد رشيد العويد ص١٤٩ ـ ١٥٠.

٧ ـ كثرة إنجاب الأولاد غير الشرعيين:

نشر في مجلة العربي نقلاً عن صحيفة (سبكتيتر) الإنجليزية (أن عدد الأطفال غير الشرعيين في إنجلترا بلغ في عام واحد ثلاثة وستين ألف طفل)[١].

إن (إحصاءات عام ١٩٧٩م) تدق ناقوس الخطر، فعدد اللواتي يلدن سنوياً من دون زواج شرعي وفي سنة المراهقة لا يقل عن ستمائة ألف فتاة بينهن لا يقل من عشرة آلاف فتاة دون سن الرابعة عشرة من العمر، وإذا أضيف إلى ذلك عدد اللواتي يلدن بدون زواج بعد سن المراهقة فإن العدد الإجمالي يتجاوز المليون، ومعنى هذا أن الولايات المتحدة الأمريكية تستقبل مليون طفل سنوياً (من الزنا والسفاح)[٢].

٨ ـ كثرة عمليات الإجهاض:

نشر في مجلة العربي الصادرة في الكويت نقلاً عن بعض التقارير الرسمية أنه في العام الماضي بلغ عدد عمليات الإجهاض للطالبات في المدارس الثانوية وحدها ـ في أمريكا ـ مائتين وخمسين ألف عملية، وأن أكثر من ستين في المائة من اللواتي تزوجن ومنهن من هي دون التاسعة عشرة ذهبن إلى بيوت أزواجهن ليلة الزفاف وفي بطن كل منهن جنين لم يكتمل تكوينه ولا يعلم إلا الله من هو أبوه[٣].

٩ ـ سلبية الرجال تجاه ما يحدث للنساء:

سلبيات الرجال تجاه ما تتعرض له المرأة من مضايقات كان موضوع دراسة أعدتها الدكتورة إيمان قائد ـ أستاذة علم النفس بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ـ شملت الدراسة عينة من (٣٠٠) رجل وامرأة من

---

(١) الصارم المشهور، للشيخ حمود التويجري ص٨٥.
(٢) عمل المرأة في الميزان، لمحمد بن علي البار ص١٣٩.
(٣) نقلاً من الصارم المشهور ص٨٥.

مختلف الأعمار والطبقات الاجتماعية والثقافية، وكان الهدف منها إعطاء تفسير نفسي واجتماعي للحالة السلبية وعدم الاهتمام التي تظهر على الرجل عندما تتعرض المرأة للمعاكسات أو المضايقات من بعض الرجال.

وذكرت الدراسة أن (٨٦٪) من العينة يعترفون بوجود سلبية مفرطة عند الرجال، وأن (٧٨٪) يحملون المسؤولية للفتاة وليس للرجل، فيما يرى(٣٧٪) أن صورة المرأة في الإعلام هي السبب.

ويرى (٤٢٪) أن الناس لا يثقون في القانون، بينما يرى نحو (٤٥٪) أن انشغال كل إنسان بهمومه يجعل اهتمام الرجل بما تتعرض له المرأة يقل بشكل ملحوظ.

وتفسر الدكتورة إيمان، ضياع شهامة الرجل بعدة أسباب اجتماعية وتقول: (لا شك أن الجزء الأكبر من تفسير ما حدث يعود لقرار المرأة وسلوكها، فخروج المرأة ومزاحمتها المستمرة للرجل أشعره أنه لا فرق إذن بينه وبينها، ولذلك قد يسأل البعض نفسه: لماذا أقوم لها لتجلس في المركبة وهي تزاحمني كل يوم!!؟

وتضيف الدكتورة إيمان: مثلاً من خمسين سنة كان يصعد الواحد منا للمركبة فيجد امرأتين أو ثلاثاً أو ربما لا يجد، الآن نصف المركبة وربما أكثر من الفتيات والنساء، فلماذا يقوم الرجل لتجلس هي؟ أيضاً مسألة التبرج الفاحش والاختلاط واستهتار بعض الفتيات بملابسهن جعل بعض الشباب يعتقد خطأً في سلوك الفتاة ويحملها المسؤولية، وبالتالي لا يدافع عنها عند حدوث المشكلة.

ولعلاج هذه السلبية تؤكد الدكتورة إيمان على أهمية التربية الإسلامية قبل القانون والأخلاق وقبل العقاب، كذلك لا بد أن تكون البداية مع الأسرة ذاتها وعن طريق المرأة ذاتها، بحيث تغرس في أبنائها القيم والمبادئ الدينية مثل الإيثار والعفة والشهامة، وتغيير المنكر عند رؤيته، وحرمة الاختلاط المفتوح الذي يأكل الشهامة من النفوس)[١].

---

(١) صحيفة الوطن القطرية ـ ٢٨/ ٠٢/ ٢٠٠٤م.



المبحث الثالث

آثاره على التعليم

للاختلاط آثاره الخطيرة على تعليم الطلاب والطالبات وسلوكياتهم فمن تلك الآثار:

١ ـ تفكير كلا الجنسين بالآخر:

عندما يجلس الطالب بقرب الطالبة فإن جل تفكيره سيكون في الأساليب والطرق التي يكسب بها تلك الطالبة خاصة إذا كانت جميلة.

لقد نشرت مجلة (المصور) بتاريخ ٣٠ مارس ١٩٥٦م استفتاء أجرته بين طلبة الجامعات المصرية وطالباتها. جاءت نتيجته: (أن ٦٥٪ منهم قرروا أن تفكيرهم في الجنس الآخر أثناء الاختلاط يؤثر على دراستهم، إذ إن ثلاثة أرباع وقت فراغهم يضيع بحثاً عن الحب واللهو، لذلك يرون إنشاء جامعات خاصة بالبنات)[١].

وتقول (أسماء فهمي) التي كانت تعمل بوزارة المعارف بمصر على إثر رجوعها من رحلتها إلى أمريكا: (إن الأمريكيين يرون الآن أن الاختلاط يشغل الفتيات عن الجد والنشاط العلمي بالملابس والزينة وما إلى ذلك، مما لا يفكرون فيه عندما يفتقدون الفتيان)[٢].

وتقول (ديردر ماك كان) البالغة من العمر ١٥ عاماً: أنها تحب مدرسة الفتيات فقط التي تدرس فيها. وتضيف: كنا نشعر بالخوف عندما كان معنا أولاد، كان علينا أن نرتدي ملابس جميلة ونظهر أنيقات، إننا نشعر بالراحة

---

(١) مكانك تحمدي: محمد أحمد جمال ص٩١.

(٢) المرجع السابق ص٨٧.

أكثر الآن بوجودنا في محيط كله بنات[١].

٢ ـ تخنث الرجال واسترجال النساء:

فعندما يختلط الجنسان في المدارس والجامعات يأخذ كل جنس من صفات وأخلاق الآخر فيتخنث الرجال وتسترجل النساء!

يقول الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله: (إن من تشرف على تربيته النساء يلازمه أثر هذه التربية حياته كلها، يظهر في عاطفته، وفي سلوكه، في أدبه، إذا كان أديباً، ولا نبعد في ضرب الأمثال، فهاكم الإمام ابن حزم يحدثكم في كتابه العظيم الذي ألفه في الحب (طوق الحمامة) حديثاً مستفيضاً في الموضوع: خلق الله الرجال والنساء بعضهم من بعض، ولكن ضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب.

فمن طلب الرحمة والمودة واللذة والسكون والاطمئنان دخل من الباب، والباب هو الزواج، ومن تسور الجدار أو نقب السقف، أو أراد سرقة متعة ليست له بحق، ركبه في الدنيا القلق والمرض وازدراء الناس، وتأنيب الضمير، وكان له في الآخرة عذاب السعير)[٢].

٣ ـ انخفاض مستوى الذكاء والتحصيل العلمي:

أثبتت مجموعة من الدراسات والأبحاث الميدانية التي أجريت في كل من ألمانيا وبريطانيا انخفاض مستوى ذكاء الطلاب في المدارس المختلطة، واستمرار تدهور هذا المستوى، وذكرت خبيرة التربية الألمانية الدكتورة (شوستر): (أن توحد نوع الجنس في المدارس يؤدي إلى اشتعال المنافسة بين التلاميذ بعضهم البعض، وبين التلميذات بعضهن البعض، أما اختلاط الاثنين معاً فيلغي هذا الدافع، إضافة إلى أن الغيرة تشتعل بين أبناء الجنس الواحد إذا

---

(١) جريدة الوطن، العدد (٥٩٥).

(٢) ذكريات الشيخ علي الطنطاوي (٥/٢٦٨ ـ ٢٧١).

اختلط أبناء الجنسين)[١].

وهذه الحكومة البريطانية تعتزم تشجيع المدارس الحكومية المختلطة على إجراء دروس منفصلة للجنسين؛ من أجل تحسين مستويات التعليم لدى الصبيان، ويعتقد الوزراء البريطانيون أن الصبيان يحرزون نتيجة أفضل، إذا أقامت المدارس صفوفاً منفصلة للصبيان والبنات.

وتطالب الحكومةُ المدرسين بمحاولة إعادة إحياء الاهتمام الأكاديمي لدى الصبيان، باللجوء إلى وسائل مختلفة، وجعل أداء الصبيان له الأفضلية؛ وذلك بعد أن أظهرت نتائج الامتحانات الثانوية تراجع الصبيان خلف الفتيات؛ حيث حقق ٥٣,٢ ٪ من الفتيات في إنجلترا وويلز خمس نتائج جيدة ـ على الأقل ـ بالمقارنة مع ٤٢,٦٪ في الصبيان[٢].

كما حققت سبع مدارس فقط من بين ٧٥ مدرسة بريطانية أفضل النتائج خلال العام الأكاديمي (١٤١٢/ ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢/ ١٩٩٣م)؛ لأن هذه المدارس كانت مختلطة تضم بنين وبنات.

وهذه الأرقام المذهلة جعلت العديد من الأشخاص يفكرون بالرجوع إلى النظام التعليمي السابق، الذي كان قائماً على الفصل بين مدارس البنين والبنات، حتى بلوغ مستوى الجامعة.

وكمثال على هذا الاتجاه قرر مدير مدرسة (شفيلد) بمقاطعة (إيسكس) في بريطانيا ـ بعد أن لاحظ النتائج الجيدة التي حققتها المدارس غير المختلطة ـ قرر الفصل بين البنين والبنات ابتداء من العام الأكاديمي (١٤١٣/ ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣/ ١٩٩٤م) في مبان منفصلة.

وأكد مدير هذه المدرسة بأن كلاً من الجنسين سوف يحقق نتائج أفضل؛ حيث لن يكون هناك تشتيت للانتباه بوجود جنس آخر في غرفة الدراسة.

---

(١) إلى غير المحجبات أولاً، لمحمد سعيد مبيض ص٩١.

(٢) صحيفة الرياض، العدد (١١٤٤٧) بتاريخ ١٨/ ٧/ ١٤٢٠هـ، الموافق ٢٧/ ١٠/ ١٩٩٩م.

ويدرك مدير هذه المدرسة ـ كما تقول هذه الصحيفة ـ بأن قراره يجري في اتجاه معاكس لما يجري حالياً في المجتمع البريطاني.

وأضاف بأنه يعتقد أن العديد من الآباء يرغبون في فصل التعليم، وأنه يود أن يتيح لهم هذه الإمكانية، التي لا تعد شيئاً سهلاً في بريطانيا اليوم[1].

ولأجل ما سبق فقد دعت مديرة كلية (تشليتنهام) للنساء في بريطانيا[2]، بتفضيل التعليم غير المختلط الذي يدرس فيه الأولاد والبنات كل على حدة، كما جاء ذلك في مقال نشرته بصحيفة (التايمز) اللندنية، حيث قالت فيه: (إن على الآباء أن يأخذوا في اعتبارهم التعليم غير المختلط عند إلحاق بناتهم بالدراسة، وإن أكثر النساء نجاحاً اليوم هن اللائي تعلمن في مدارس مخصصة للبنات، وهناك أدلة متزايدة، منها: أن نتائج الامتحانات تدل على أن البنات والأولاد يحصلون على نتائج أفضل، إذا تعلم كل منهم على حدة)[3].

(كما طالبت (الحركة النسائية في ألمانيا الغربية) بعودة التعليم غير المختلط؛ حيث الفتيات يتعلمن أفضل بدون وجود الذكور.

وحسب دراسات أجريت في الولايات المتحدة، والسويد، وألمانيا، تبين أن اللواتي درسن في مدارس غير مختلطة أفضل من اللواتي درسن في مدارس مختلطة)[4].

٤ ـ ضعف الإبداع ومحدودية المواهب:

ففي دراسة أجراها معهد أبحاث علم النفس الاجتماعي في (بون) بألمانيا، تبين (أن تلاميذ وتلميذات المدارس المختلطة لا يتمتعون بقدرات

---

(١) صحيفة الرياض، العدد (٩٢٥٤) بتاريخ ١٠/٥/١٤١٤هـ. الموافق ٢٥/١٠/١٩٩٣م.

(٢) هي الأستاذة التربوية البريطانية (إينيد كاسل).

(٣) صحيفة المسلمون، العدد (٤١١) بتاريخ ٢٤/٦/١٤١٣هـ. الموافق ١٨/١٢/١٩٩٢م.

(٤) مجلة المجتمع، العدد (٩١٦) بتاريخ ٢٩/٧/١٤١١هـ.

إبداعية ومواهبهم محدودة وهواياتهم قليلة، وعلى العكس من ذلك تبرز محاولات الإبداع واضحة بين تلاميذ مدارس الجنس الواحد)[١].

والسبب في ذلك انشغال كل جنس بالآخر مما يلهيه عن الإبداع والابتكار.

وقال رئيس الاتحاد الوطني لطلبة جامعة الكويت محمد الرشيد: (إن الأبحاث العلمية أكدت أن الاختلاط بين الجنسين يؤثر سلبياً على تحصيل الطلبة دراسياً)[٢].

٥ ـ إعاقة التفوق الدراسي:

حيث أظهرت دراسة أجريت بمعهد (كيل) بألمانيا أن البنين عندما تم فصلهم عن البنات حققوا نتائج أفضل في شهادة الثانوية العامة، وارتفعت درجاتهم بنسبة تزيد أربع مرات عما كان الحال عليه عندما كان الفصل مختلطاً. وكذلك الأمر بالنسبة للبنات. وفي دراسة أخرى لمجلة (نيوزويك) الأمريكية أرقام وإحصاءات تفيد أنَّ الدارسات في الكليات النسائية (غير المختلطة) هن الأكثر تفوقاً ونجاحاً في الدراسة وفي حياتهن العملية بعدها.

وقد ثبت بعد التحقيق الذي أجرته مجلة (الاثنين) المصرية[٣]. أن الاختلاط في الجامعة مشغلة للفتيان والفتيات عن الدراسة الفعالة، والتحصيل العلمي[٤].

ويقول مراقبون إن المبالغة في السفور والاختلاط بين الشباب والفتيات على مقاعد الدراسة كان السبب الرئيس في تردي مستويات التعليم ومخرجاته على مستوى الجامعات المصرية[٥].

---

(١) جريدة الوطن الكويتية ١٢ يونيو٢٠٠٠م.
(٢) جريدة السياسة ٢ أكتوبر ٢٠٠١م.
(٣) يناير ١٩٥٦م نقلاً من: مكانك تحمدي ص٨٩.
(٤) مكانك تحمدي ص٨٩ ـ ٩٠.
(٥) موقع لها أون لاين على الشبكة العنكبوتية، عنوان المقال، مصر: نائب إخواني يطالب بمنع الاختلاط.

ونشرت صحيفة الرياض ما نصه (توجد حالة من الاستياء العام باتت تتزايد في المجتمع الفرنسي إزاء تواجد الذكور والإناث سوياً حيث تبين أن مثل هذا الأمر يؤثر بشكل كبير على التركيز بين الفتيان بصفة خاصة، لذا جرى في الوقت الحالي تجارب في إحدى الأكاديميات حيث يتم تنظيم الدروس الخاصة بالتربية الجنسية في شكل مجموعات غير مختلطة وذلك لتفادي الإحراج الذي قد ينجم عن الانزلاق اللفظي أو بسبب ما تثيره مثل هذه المواضيع من انزعاج طبيعي)[١].

أما جريدة المساء فقد نشرت ما مفاده: (وقد تبين من الإحصاءات أن الطالبات يتفوقن أكاديمياً في الكليات التي يقتصر فيها الدراسة على البنات وحدهن)[٢].

٦ ـ التحرشات الجنسية بالطالبات:

إذا كانت حالات الاغتصاب متزايدة في المدارس المختلطة، فهل يتصور أن تقل حالات التحرشات الجنسية بين الطلاب والطالبات من خلال الحركات أو الكلمات البذيئة أو عرض الصور الماجنة للإثارة أو نحو ذلك؟!

ولذا أصدرت جامعة (أكسفورد) نظاماً جديداً يعد الأقسى عقوبة والمعمول به في الجامعات البريطانية لمكافحة التحرش غير الأخلاقي داخل الجامعة، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على انتشار هذا الأمر في جامعاتهم المختلطة.

وقد بدأت هذه الجامعة العمل بقانون السلوك الجديد، بعد أن أوضح مسح أجري على عينة من الطلبة والطالبات أن الطالبات أكثر عرضة للتحرش من قبل الطلاب منه من قبل الأساتذة.

وكانت ٦ من كل ١٠ من ٤٠٠ طالبة شاركن في المسح قد ذكرن بأنهن تعرضن لتحرشات غير أخلاقية تتراوح بين النظرات غير المرغوب فيها، وبين التصرفات اللفظية وغير اللفظية.

---

(١) صحيفة الرياض ٢٧/٩/٢٠٠٣م.
(٢) صحيفة المساء ٢٩/١٠/٢٠٠٣م.

وسيكون الفصل من الجامعة العقوبة القصوى التي توقع على الطالب الذي يدان بتهمة التحرش، وأقامت الجامعة نظاماً استشارياً لتلقي شكاوى ضحايا التحرش داخل الجامعة.

وتفكر جامعة (كمبريدج) في اتخاذ خطوات مماثلة، بعد أن طالبت (لجنة إدارات الجامعات) بتبني سياسات حول التحرشات غير الأخلاقية، ووضع عقوبات رادعة[١].

وهذه التحرشات غير الأخلاقية ليست مقتصرة على المدارس الأوربية، بل هي ـ أيضاً ـ في المدارس الأمريكية: «فقد أوضحت دراسة بأن التحرشات غير الأخلاقية في مدارس الولايات المتحدة المختلطة، ربما تكون أكبر مما كان يتصوره الناس؛ حيث أوضحت مجلة (سفنتيز) الأمريكية[٢] التي أجرت الاستطلاع، أن أعداداً كبيرة من الفتيات يتعرضن لتحرشات غير أخلاقية ليست فقط في المدارس الثانوية، وإنما تبدأ ـ أيضاً ـ من المدارس الابتدائية؛ حيث يتعرضن لهذه المضايقات من التلاميذ الذكور، وكذلك من المعلمين!!.

وقالت المجلة بأن ما لا يقل عن ٨٩٪ من الفتيات المراهقات أوضحن بأنهن تعرضن لمعاملات غير مهذبة من زملائهن الطلاب.

وقالت فتيات المدارس المختلطة أن المضايقات غير الأخلاقية أصبحت الآن تحدث بشكل يومي للعديد من الفتيات، وأضحت سبباً في قلق البنات طيلة العام الدراسي.

وقالت كاتبة التقرير الأمريكية[٣]: (إنه أمر مفزع تماماً في اكتشاف حقيقة أن هذا السلوك غير الأخلاقي أصبح جزءاً لا يتجزأ من الحياة اليومية)[٤].

(وفي استفتاء في جامعة كاليفورنيا في بركلي عام ١٩٧٧م ظهر أن خُمس الطالبات قد تعرضن لنوع من الاعتداء الجنسي من الأساتذة والمشرفين على

---

(١) المرجع السابق.

(٢) صحيفة الرياض ـ العدد (٩١٥٠) بتاريخ ٢٦/ ١/ ١٤١٤هـ.

(٣) اسمها (نان أستين).

(٤) المرجع السابق.

الدراسات العليا)[١].

ونشرت جريدة الأخبار في عددها الصادر بتاريخ ١٥/ ٩/ ١٩٧٥م الخبر الآتي:

(نظام الاختلاط في المدارس سيتم إلغاؤه في مدينة مغاغة بمحافظة المنيا، قررت المنطقة التعليمية عزل الطلبة عن الطالبات في مدارس خاصة بكل جنس، اتخذ القرار بعد أن ضج الأهالي بالشكوى من المعاكسات التي يتعرض لها الطالبات.

بدأت المشكلة في مدرسة التجارة الثانوية التي كانت تسير على النظام المختلط، فبالرغم من وجود أخصائين اجتماعيين بالمدرسة فإن المشاكل كانت تحدث يومياً من جراء الاختلاط بين الطلبة والطالبات بالإضافة إلى معاكسات الطريق، فبدأت شكاوى أولياء الأمور تطالب بوضع حد لمتاعب الطالبات، وزادت الشكاوى حدة بعد أن امتدت المعاكسات لتشمل كل طالبات المدارس بالمدينة، وبحثت المنطقة التعليمية المشكلة فقررت القيام بعمل عزل بين الجنسين وقامت بإعداد مدرسة ثانوية للبنات تجمع الطالبات في الثانوي العام والتعليم التجاري الذي كان ملحقاً بالبنين.

كما خصصت مدرسة التجارة بنين بجوار الثانوي العام بنين، كما تقرر أن يمتد نظام منع الاختلاط ليشمل المرحلة الإعدادية في المستقبل، وقد قوبل القرار بجانب الارتياح من المواطنين)[٢].

٧ ـ اغتصاب الطالبات:

من أبرز الحقائق التي أظهرتها دراسة رابطة الجامعات الأمريكية للنساء انتشار جرائم الاعتداء الجنسي على الفتيات بشكل واسع من قبل الأساتذة والطلاب؛ فالإحصاءات تشير إلى أن واحدة من كل أربع طالبات تتعرض للاغتصاب.

---

(١) عمل المرأة في الميزان، لمحمد علي البار ص١٩١.

(٢) كتاب الاختلاط بين الجنسين، لسليمان الجربوع ص٤١.

وفي جامعة هارفارد قالت إحدى الباحثات في بحث نالت به درجة الدكتوراه: (إن الاغتصاب صار هيستيريا يعم السكن الجامعي، الأمر الذي جعل التيار الليبرالي الداعي إلى التحلل الأخلاقي يتراجع، مما دفع الكثير من الآباء والأمهات ـ الذين أصبحوا اليوم أكثر محافظة عن ذي قبل ـ إلى المطالبة بإيجاد فصول منفصلة لبناتهم لتحسين وضعهن العلمي وتحصينهن من العبث بهن.

إن أكثر حوادث الاغتصاب تحدث في المدارس المختلطة، حيث يترصدُ الذكورُ الإناثَ في دورات المياه، وهناك ملتقى النجاسات الحسية والمعنوية؛ ولأجل ذلك أصدرت إحدى المدارس في نيويورك بلاغاً عممته على جميع المدرسات والطالبات، حذرتهن فيه من الذهاب إلى دورات المياه منفردات؛ وذلك بعد أن تعددت حوادث الاعتداء عليهن من قبل الطلاب الذكور في المدرسة، وعلى إثر ذلك قامت صيحات تنادي بفصل الإناث عن الذكور)[١].

ويقول مسؤول شرطة مدينة (ستيت كولج) الجامعية الأمريكية، عن أماكن حوادث الاغتصاب في المدينة الجامعية: (إن المناطق الخطيرة في الجامعة غير محدودة، وأكثر الحوادث وقعت في أماكن السكن الداخلي، وفي غرف الدراسة، وفي مواقف السيارات، وتدل الإحصاءات على أن ٨٧ ٪ من المجرمين هم من أصدقاء وأقرباء الضحايا)[٢].

ولعل من أشهر حوادث الاغتصاب الجماعية في المدارس المختلطة الداخلية ما وقع في مدرسة (سان كيزيتو) بمنطقة (ميرو) وسط كينيا؛ حيث أقدم مئات من الطلاب على اقتحام المسكن الذي تقيم به الفتيات ـ اللاتي تتراوح أعمارهن ما بين (١٥ و١٨) عاماً ـ بعد منتصف الليل، وقاموا باغتصاب حوالي ٧١ طالبة، ولقيت ١٩ طالبة مصرعهن، وأصيبت ٧٥ طالبة من عدد الطالبات البالغ عددهن ٢٧١ طالبة.

---

(١) مجلة المجتمع الكويتية، العدد (٣٤٠) ٧/٦/ ١٤٠٠هـ ص١١.

(٢) أفول شمس الحضارة الغربية، لمصطفى فوزي غزال ص١٥٦.

وقد زار الرئيس الكيني هذه المدرسة، وأمر بإلقاء كل الأضواء على ما أسماه (الجريمة المجنونة)، بينما أغلقت هذه المدرسة لمدة غير محددة.

كما هاجم ـ قبل أشهر من هذه الحادثة ـ عدد من طلبة مدرسة (كيرياني) الواقعة ـ أيضاً ـ في (ميرو) خمس فتيات واغتصبوهن، قبل أن يشعلوا النار في المبنى[١].

ونشرت وكالة CNN (بأنه يدرس حالياً في مدينة (نيوجرسي) الأمريكية كيفية إجبار الطالبات على تعلم مقاومة الاغتصاب، وذلك بعدما كشفت دراسة بأن نصف الطالبات الجدد يتم اغتصابهن في الفصل الأول من الالتحاق بالدراسة، وهذا يدل على مدى الانحراف الذي أصاب المجتمعات الغربية، كما يدل على خطورة الاختلاط بين الجنسين حيث تم الاغتصاب في مراحل التعليم وفي أماكن العلم التي يفترض بها التجرد والموضوعية!!

وهذا الذي يحدث في أمريكا وهي كما يشاع عنها دولة من دول العالم الأول، والعالم المتقدم المتحضر التي تحترم حقوق الإنسان وترعى المساواة بين البشر، ولقد تزايدت في الآونة الأخيرة المطالبة بفصل الإناث عن الذكور، بل ذكرت تقارير صادرة عن منظمات حماية الطفولة أن سبب الانحراف هذا يرجع إلى فترة الطفولة حيث تتعرض الإناث إلى ثلاث مرات للاغتصاب أكثر من الأطفال الذكور.

حيث إن الجرائم الأخلاقية التي تحدث في الغرب اليوم نتيجة طبيعية للانحراف عن الفطرة البشرية؛ فالذكر يميل بطبعه إلى الأنثى والعكس صحيح، ولا يمنع من وقوع الجريمة كونهم في مجتمع تعليمي كالجامعة والمدرسة.

وجرائم الاغتصاب التي ارتفعت معدلاتها ارتفاعاً ملحوظاً في الآونة الأخيرة لم تقع في مجتمع يسود فيه الكبت ومنع الحريات بل تأتي في مجتمع يموج بالفوضى الخلقية والانفلات السلوكي والفكري ومع ذلك فمعدلات

---

(١) صحيفة الرياض، العدد (٨٤٢٥) الصادرة بتاريخ ٨/١/١٤١٢هـ.

الجريمة في تزايد مستمر)[١].

وقد وصل الاغتصاب حتى للمستويات العليا الذي يقال إنهم قد بلغوا مستوى من الإدراك والعلم وهي مرحلة الدكتوراه.

تقول (ديانا) الأستاذة المساعدة لعلم النفس في ولاية نيويورك والتي حصلت على درجة الدكتوراه بعد التضحية بعرضها لرئيسها المباشر، تقول: (وقد كنت أول امرأة تدخل إلى هذه الوظيفة، ولولا رضوخي ذلك لما كانت هناك امرأة في هذه الدرجة!)[٢].

ودعاة السفور والاختلاط يعرفون هذه الحقيقة ولكن يا ترى ما جوابهم على ذلك.

يقول الدكتور محمد إسماعيل المقدم: (لما وقعت فتنة الاختلاط بالجامعة المصرية، كان ما كان من حوادث يندى لها الجبين، ولما سئل طه حسين عن رأيه في هذا، قال: لا بد من ضحايا، ولكنه لم يبين بماذا تكون التضحية؟ وفي سبيل ماذا؟ لا بد من ضحايا؟!وأي ثمرة يمكن أن تكون أغلى وأثمن من أعراض المسلمين؟!)[٣].

٨ ـ التمييز على أساس الجنس:

ففي المدارس المختلطة يكون الاهتمام، وتكون الحظوة عند المعلمين ـ في الغالب ـ للطلاب على حساب الطالبات، وفرص المشاركة في الإجابات، والحصول على المنح، وغيرها من الأمور التي تأتي لصالح الطلاب. ونذكر هنا مثالين من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية، للتأكيد على هذا التحيز الجنسي.

---

(١) جريدة الوطن الكويتية ٢١ يناير ٢٠٠٠م. مقال كتبه الدكتور عبد الرحمٰن الجيران بتصرف يسير.
(٢) عمل المرأة في الميزان، ص١٩٢. وانظر: ما بعدها فقد ذكر عدة نماذج.
(٣) عودة الحجاب، لمحمد المقدم (٣/ ٥٩).

ففي بريطانيا: (أكدت باحثة في صحيفة التايم[١]، أن اعتماد الاختلاط بين الجنسين في المدارس ما هو إلا مؤامرة معادية للإناث، وذلك في دراسة أشارت فيها إلى عدة أمور، منها:

أ ـ أن المراقبة المنتظمة على المدرسين في الفصول المختلطة، أظهرت أنهم يعطون قدراً من الوقت والاهتمام لتلاميذهم الذكور، أكثر مما يعطونه للإناث.

ب ـ في المواد الرياضية والعلمية التي تتطلب استعمالاً مشتركاً للأجهزة، تبين أن الذكور يسيطرون على فرص استخدام الأجهزة، أكثر من الإناث اللاتي يجبرن على التفرج فقط. ويساعد على هذا ميل الإناث إلى الإذعان، وخوفهن من ازدراء الذكور لهن، أو بسبب قابليتهن لإشباع غرور الذكور.

ج ـ يلاحظ أن العائلات الآسيوية في بريطانيا، تصر على أن تدرس بناتها في مدارس غير مختلطة، استناداً إلى خلفيات دينية ـ حسب تعبير الباحثة ـ؛ لذا فإنه ليس من قبيل المصادفة أن تكون الفتيات الآسيويات، أفضل البنات درجات وخيرهن نتائج آخر العام الدراسي.

د ـ إن تجربة مدرسة (شيفلد) في مقاطعة (إيسكس) ـ التي لا يختلط فيها الطلاب من الجنسين ـ، تعتبر تجربة مشرفة، ومع نجاحها فقد هاجمها (الاتحاد الوطني للمعلمين)، الذي قال: إن المدرسة تسهم في إيجاد مناخ مصطنع لا يتواءم وطبيعة المجتمع البريطاني.

ثم تؤكد هذه الباحثة إدانتها للمدارس المختلطة، وتقول: (إن المدارس غير المختلطة أقدر على استخراج الذكاء والفطنة من البنات والبنين، وتريحهم من التكلف التافه في الاختلاط)[٢].

وفي الولايات المتحدة: (يواجه الأولاد والبنات توقعات متناقضة حول

---

(١) اسمها: (جانيت ديلي).

(٢) صحيفة المسلمون، العدد (٤٨٠) بتاريخ ٤/١١/١٤١٤هـ، الموافق ١٥/٤/١٩٩٤م.

موضوع تشجيعهم للرياضيات، أو ممارسات الألعاب الرياضية، أو على تعلم الحاسب الآلي، ولكنهم يختلفون ـ أيضاً ـ في كمية ونوعية التعليم الذي يتلقونه في المدارس العامة، وذكر التقرير ـ الذي صدر عن دراسة أجريت على (٣٠٠٠) طالبة من كل أنحاء أمريكا حول هذا الموضوع في عام (١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م) ـ أن الأولاد والبنات يدخلون المدارس العامة متساوين تماماً من حيث القدرات، ولكن البنات يظهرن متأخرات ١٢ عاماً عن زملائهن من الأولاد الذين معهن في نفس الفصل الدراسي، في الرياضيات والعلوم، وحتى على احترام الذات!. وأضاف التقرير يقول: إن الأولاد الذكور يسترعون انتباه مدرسيهم أكثر من البنات، وأن إمكانية حصولهم على منح دراسية جامعية أكثر من اللائي يتساوين معهم في الدرجات العلمية، أو أحسن منهن بقليل.

فقد أشار هذا التقرير إلى أن الاحترام الذاتي لدى البنات انخفض بحوالي (٤٠٪) فيما بين مرحلتي التعليم الابتدائي والتعليم العالي، مقارنة بنسبة انخفاض(٢٠٪) لدى الأولاد.

كما أشار هذا التقرير إلى أن البنات يتلقين اهتماماً من مدرسيهن أقل بصورة واضحة مما يتلقاه الأولاد. فالمدرسون ـ مثلاً ـ ينصتون عندما يصيح الأولاد في المدارس الابتدائية والمتوسطة بصوت عال، وبلا استئذان، ولكنهم ـ في المقابل ـ يوجهون اللوم للبنات إذا فعلن ذلك!!.

كما أشار التقرير إلى ارتفاع المتوسط للمستوى العلمي في الرياضيات لدى الأولاد بالمدرسة العليا من ٢,٦١ إلى ٣,٠٤ من عام (١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م إلى عام ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م)، ولكن ارتفع المتوسط نفسه لدى البنات من ٢,٤٦ إلى ٢,٩٣.

وذكر التقرير أن المنح الدراسية عندما تمنح على أساس حصر اختبارات الجدارة الدراسية، نجد أن الأولاد أكثر جدارة للحصول على المنح الدراسية من البنات اللائي يحصلن على درجات دراسية مساوية، أو أحسن بقليل من الأولاد.

وذكرت رئيسة الاتحاد الأمريكي للاتحاد التعليمي النسائي الجامعي[١]، أن ما تضمنه هذا التقرير من حقائق تعتبر هائلة، فهو يمثل حقيقة دامغة على أن البنات لا يتلقين نفس النوعية والكمية من التعليم التي يتلقاها إخوانهن من الأولاد.

كما أن التحالف الوطني لمدارس البنات قد أشاد بهذا التقرير بقوله: لقد أظهر التقرير ـ مرة أخرى ـ أن البنات يعاملن ـ على الصعيد التعليمي ـ كمواطنات من الدرجة الثانية في بيئات التعليم المختلط.

وأخيراً فقد ذكرت مجموعة المدارس السبعة والخمسين من المدارس الحكومية والأهلية ـ التي جميع تلاميذها من البنات فقط ـ أن الأبحاث أوضحت أن البنات اللواتي يلتحقن بالمدارس المخصصة للبنات فقط، يكسرن الأفكار المقولبة التقليدية، ويتفوقن على البنات اللواتي يتلقين تعليمهن في مدارس مختلطة)[٢].

٩ ـ ترك الدراسة:

قد يصل ببعض الفتيات إلى ترك الدراسة من جراء ما قد يصيبها من تحرشات جنسية أو اغتصاب أو إجحاف في الحقوق ونحو ذلك، قالت: شبكة (CNN) الإخبارية الأمريكية: إنه بسبب كثرة تعرض الفتيات لعمليات اغتصاب، فإن الكثيرات منهن يرفضن الذهاب إلى المدرسة مرة أخرى؛ لأن المئات من هذه الحالات ـ أي: حالات الاغتصاب ـ توجد الآن في جنوب إفريقيا.

وأوردت صحيفة المدينة[٣] خبراً جاء فيه: (إن بعض طالبات إحدى المدارس الثانوية بغرب باريس، رفضن الدراسة في فصول مختلطة مع الشباب، وقررن الانقطاع عن الدراسة؛ حتى يتم تلبية مطالبهن، بإبعادهن عن الاختلاط، ووجهة نظرهن أنه غير مجد.

---

(١) اسمها: (إليس مكي).

(٢) صحيفة الرياض، العدد (٨٦٣٧) بتاريخ ١٣/٨/١٤١٢هـ، الموافق ١٦/٢/١٩٩٢م.

(٣) في عددها رقم (٩٢٥٠)، بتاريخ ١٤/٣/١٤١٣هـ.

وقد رضخت السلطات للأمر، وأمرت بإبعاد الطالبات عن الطلبة مؤقتاً؛ ريثما يتم البحث عن حلول كفيلة تجاه المشاكل التي جلبها الاختلاط غير المشروع).

مما يلاحظ رغبة الطلاب والطالبات بانعزال كل واحد منهما عن الآخر، فقد قال (البروفيسور أميليو أفيانو): (أن الأولاد يفضلون الفصل في الدراسة حتى لا يتحتم عليهم الالتزام ببعض التصرفات التي يرونها ضرورية في حضور الفتيات، والأمر نفسه صحيح بالنسبة للفتيات حيث يعتبرن الاختلاط معرقلاً لتقدمهن الدراسي ويضيع ويهدر كثيراً من وقتهن في التزين)[١].

كما أوردت وكالات الأنباء العالمية (أن ثورة بدأت في معهد (ميلز أوكلند) النسائي، الخاص بولاية كاليفورنيا، حيث ترفض الغالبية العظمى من الطالبات القبول بانضمام شبان إلى المعهد ابتداء من العام المقبل.

وكانت هذه المؤسسة الجامعية المعروفة بهدوئها، والمتخصصة في الدراسات الفنية، تعج بالمظاهرات، في وقت بدأ فيه إضراب شامل عن الدروس، واستقبلت رئيسة الجامعة بالاعتراضات وصرخات الاحتجاج.

وسوغ مجلس الإدارة قراره ـ بوضع حد لسياسة عدم الاختلاط بين الجنسين التي يتبعها منذ ١٣٨عاماً ـ بضرورة رفع عدد الطلاب المسجلين في المعهد، ولا توجد ـ حالياً ـ سوى ٧٧٧ طالبة، في حين أن المطلوب هو ١٠٠٠ طالبة على الأقل؛ لتغطية كلفة المعهد.

وقالت إحدى الطالبات ـ التي عبرت عن معارضتها للقرار بحلق شعرها ـ: (لم أكن قادرة على التفكير بأنهم سيتجاهلوننا إلى هذا الحد). وأعرب الكثير من الفتيات عن رغبتهن في مغادرة الجامعة)[٢].

وما دامت تغطية تكاليف المعهد هي المبرر الذي ذكر مجلس الإدارة أنه وراء إصداره قرار قبول الطلبة الذكور، فقد استنفرت الطالبات، وبدأن في

---

(١) مجلة المعرفة ١/١٠/٢٠٠٢م.

(٢) مجلة الدعوة، العدد (١٢٧٤) بتاريخ ٢٤/٦/١٤١١هـ، الموافق ١٠/١/١٩٩١م.

جمع التبرعات للمعهد، ونجحن خلال أسبوعين من جمع ثلاثة ملايين دولار للجامعة. وكسبن الجولة مع إدارة الجامعة، وعدل مجلس الإدارة عن قراره بفتح أبواب الجامعة أمام الذكور؛ لترجع الجامعة غير مختلطة، مقتصرة على الطالبات فقط.

وهذه الحادثة تشير إلى قوة الدافع في نفوس الطالبات برفض اختلاط الطلبة الذكور بهن في الجامعة.

وتتأكد قوة الدافع الفطري في أمور هي:

- الإضراب الشامل عن الدروس.
- تظاهرات احتجاج شديدة وعنيفة.
- بذل جهود كثيفة لجمع ثلاثة ملايين دولار في زمن قياسي.
- إعراب كثير من الفتيات عن رغبتهن في مغادرة الجامعة[١].

ويوجد في كاليفورنيا معهدان نسائيان آخران، في حين أن عدد المعاهد والكليات المماثلة في كل الولايات المتحدة تبلغ المئات، وتلقى إقبالاً كبيراً من الفتيات في متابعة دراستهن فيها[٢].

(وتقدمت الطالبات في أربع كليات في جامعتي أوكسفورد وكامبردج الشهيرتين في إنجلترا يطلبن المحافظة على وضع الكليات وعدم السماح للطلبة الالتحاق بها)[٣].

أخيراً ألا تدل هذه الأمور السابقة على أن هذه المؤتمرات الدولية تدعو إلى فرض مبادئ وقيم ومثل على الأمم الأخرى، وقد لفظتها مجتمعاتها بعد تجربتها؟!.

وفي دولة الكويت جرى فيها حوارات ولقاءات في هذه القضية وكان (معظم طلبة الجامعة يعارضون الاختلاط ما بين الجنسين، وأكبر دليل على ذلك نتائج الانتخابات السنوية التي يصوت فيها الآلاف من الطلبة تجاه

(١) من أجل تحرير حقيقي للمرأة، محمد رشيد العويد ص١٦٩، ١٦٨.
(٢) المرجع السابق ص١٦٨. (٣) صحيفة المساء ٢٩/ ١٠/ ٢٠٠٣م.

ممثليهم من معارضي الاختلاط موضحاً أن نتائج التصويت البرلماني على قانوني منع الاختلاط في جامعة الكويت والجامعات الخاصة أكبر دليل على أن التوجه الشعبي مع منع الاختلاط)[١].

ويقول الدكتور بسام خضر الشطي: (أجري في الجامعة أكثر من استبيان حول الجامعات المختلطة فكانت النتائج أن ٩٣٪ لا يرغبون في الاختلاط، ولو أتيحت لهم فرصة وخيار آخر لجامعة غير مختلطة للجأوا إليها)[٢].

١٠ ـ ضعف الحياء أو زواله لدى الطالبات:

يقول الطالب الإماراتي أحمد مصطفى: (إن أهم سلبياته ـ الاختلاط في التعليم الجامعي ـ من وجهة نظري إن (البنت فيه تفقد حياءها) وهذا أهم ما يميز الفتاة: الحياء والخجل لكنك في الاختلاط تجد الفتيات يضحكن ويقهقهن بصوت عال ويتحدثن مع الشباب في كل الموضوعات: الحب والعمل والزواج والطلاق وبشكل صريح وهذا يجعل الفتيات أكثر جرأة وقد تكون أكثر إقبالاً على حياة اللهو أو ـ لا قدر الله ـ الانحراف الأخلاقي حيث إنني شاهدت في كليات كثيرة داخل وخارج الإمارات مشاهد لا تليق بالعادات والتقاليد والقيم العربية نتيجة لهذا الاختلاط الذي أحياناً ما يزيد عن حده، ولذلك ترفضه الكثير من الأسر في الإمارات، وباختصار فإن للاختلاط الكثير من السلبيات والتي تتصل مباشرة بالأخلاق!)[٣].

١١ ـ العنف بكافة صوره وأشكاله:

من آثار الاختلاط الاعتداء على الطالبات إما بالضرب أو القتل وهذا يحدث كثيراً فمن تلك الحقائق:

أصدر مجلس النوَّاب الأمريكي قرار حقوق الطلاب لعام ١٩٩٠م الذي يتضمَّن أمن الكليات والجامعات. وفي عام ١٩٩٢م عدّل مجلس النواب

---

(١) صحيفة السياسة ٢ أكتوبر ٢٠٠١.
(٢) صحيفة الأنباء ٢٦ يونيو ٢٠٠٠م.
(٣) صحيفة البيان الإماراتية الثلاثاء ٢٤ شوال ١٤٢٢هـ.

القرار ليشمل ضحايا الاعتداءات الجنسية، والذي يتطلَّب من الجامعات والكليات أن تشتمل تقاريرهم السنوية، سياساتهم المتعلقة بالتعريف بالاعتداءات الجنسية وكيفية منعها وتوفير الحقوق الأساسية لضحايا الاعتداءات الجنسية.

وعُدِّل القانون مرة أخرى ليشمل الالتزام بتقديم تقارير إضافية تشمل زيادة الإجراءات الأمنية بالمبنى الجامعي وسجل يومي بالجرائم.

وفي عام ١٩٩٩م قدَّمت وزارة العدل ٨,١ مليون دولار إلى ٢١ كلية وجامعة لمنع ومقاومة الاعتداء الجنسي والعنف والمطاردة، وفي عام ٢٠٠٠م تمّ منح جامعات وكليات أخرى ٦,٨ مليون دولار[١].

ولعل الحادث المأساوي الذي وقع في يوم ٢٦ مارس ١٩٩٨ حين قام صبيان أمريكيان بإطلاق النار على عشرات التلاميذ في مدرسة إعدادية بولاية أركنسو الأمريكية مما أدى إلى مقتل ٤ تلميذات ومعلمة وإصابة ١٠ آخرين بجروح، وأوضحت التقارير الإخبارية (أن أسباب إطلاق النار؛ هو أحدى الفتيات التي تركت صديقها، فقام بالانتقام منها بهذه الطريقة الوحشية)[٢].

(وأقدم طالب أمريكي يبلغ من العمر ١٩ عاماً على إطلاق النار على أستاذه، داخل إحدى قاعات الدروس - في إحدى المدارس - في كاليفورنيا فأرداه قتيلاً على الفور، وذكر بيان لرجال الشرطة أن خلافاً قديماً كان قد نشب بين الطالب وأستاذه بسبب التنافس على حب إحدى الطالبات)[٣].

١٢ - انتشار الزواج العرفي بين الطلاب والطالبات:

(انتشر ما يسمى بالزواج العرفي بين طلبة الجامعات فأصبح قضية الساعة وأصبح أيضاً ظاهرة اجتماعية مفزعة تسيء إلى سمعة الأسر المصرية، وتسيء

---

(١) بحوث حول: الاعتداءات الجنسية على الطالبات بالكليات فريق البحث: مايكل جي تيرنز، فرانسيس تي كولن ص٣.

(٢) صحيفة البيان ٢ فبراير ١٩٩٩م.

(٣) صحيفة الشرق الأوسط، العدد (١٤٧) بتاريخ ٤/ ١٢/ ١٩٧٨م.

إلى سمعة الجامعات والكليات المختلفة، وتزلزل بنيان الأخلاق والفضيلة؛ لأن الزواج في هذه الحالات ما هو إلا نزوة عابرة تتم دون أخذ رأي الأهل أو الوالدين أو ولي الأمر، ويتم دون مهر أو توفير مسكن ودون توفير متطلبات الحياة؛ لأن الزوج ما زال طالباً بالجامعة!!

وفي حالة الحمل يتم الإجهاض أو يرمى الطفل في ملاجئ اللقطاء وتكون الضحية هي الفتاة المراهقة التي سلمت نفسها لذئب غادر.

إنها لجريمة أخلاقية ونذير شؤم بانحلال المجتمع، فالظاهرة المفزعة تنتشر كانتشار النار في الهشيم والإحصاءات التي بين أيدينا تبين أن ما يقرب من ١٧٥ ألف طالبة تم زواجهن عرفياً فإلى متى ننتظر؟!! هل ننتظر إلى أن يبلغ السيل الزبى؟

إن القضاء على هذه الظاهرة الاجتماعية الخطيرة يتمثل في إعادة النظر بالنسبة للتعليم المختلط في الجامعات المصرية فاختلاط الجنسين في الجامعات وفي سن المراهقة واشتعال الغرائز هو أصل الفساد، فلا يمكن أن نضع البنزين بجانب النار ونضمن السلامة أو نضع الذئب بجانب الشاة ونضمن العافية، والدليل على صحة كلامنا أن الزواج العرفي يكاد ينعدم بين طلاب جامعة الأزهر لعدم الاختلاط)[١].

١٣ ـ تقييد حرية الطالبة:

مما لا شك فيه أن إحساس المرأة بالحرية وهي وسط مجموعة من بنات جنسها، واضح لا يحتاج إلى حديث طويل، وبيان مسهب، ويلاحظه أي رجل يدخل مجتمعاً نسائياً، حيث تتوقف النسوة عن الحديث، ويفتقدن الحرية التي كن يشعرن بها.

ويظهر جلياً إحساسهن بأن دخول الرجل عليهن، أوجد ما يشبه القيد على حرية تبادلهن الحديث، بل وجلوسهن، ووضعهن عامة.

---

(١) صحيفة الوفد ٢ يونيو ٢٠٠٠م مقال كتبه محمد سعيد القارح.

وهذا ما عبرت عنه قاضية سويدية اسمها (بريجيدا أولف هامر) طافت عواصم الشرق ومدنه وقراه، ودرست ـ لحساب الأمم المتحدة ـ مشاكل المرأة الشرقية العربية على الطبيعة، فقد قالت هذه القاضية: (إن المرأة الشرقية في قطاعات كثيرة من الحياة، أكثر حرية من المرأة السويدية، لأن الحرية ـ كما تقول ـ: هي أن يكون للإنسان عالمه الخاص المستقل، على العكس من حال المرأة السويدية، التي ليس لها عالم لم يشاركها فيه الرجل)[1].



(١) من أجل تحرير حقيقي للمرأة ص١٦٩ـ ١٧٠.

المبحث الرابع

آثاره على الرجال

◌ ١ ـ عزوفهم عن الزواج:

لأنه كما تقدم من خلال الاختلاط يكثر الزنا وإذا وجد الشاب ما يقضي به وطره فما الداعي له أن يقدم على مشروع الزواج؟! ولِمَ يكلف نفسه عناء تحمل أعباء الأسرة وتكاليفها وحاجته تقضى بأيسر السبل؟ ولذلك اتضحت أن (نسبة المقبلين على الزواج في الدول الأوربية منخفضة للغاية وصل بعضها إلى أن عدد المقبلين على الزواج من الجنسين أقل من عشرة من كل ألف، وفي السويد أقل من ثمانية من كل ألف هذا في عام ١٩٧٠ أما في عام ١٩٧٣م فقد وصلت النسبة في السويد إلى (٥) من كل ألف[١].

◌ ٢ ـ عدم تحمل المسؤولية:

فالرجل الذي يتربى على المجون والفساد، يكون أكبر همه إشباع غريزته الجنسية وهو مطلبه المفضل والذي يجده من خلال عقد الصداقات مع الأخريات، وبطبيعة الحال فالأمر لا يكلفه سوى ليلة يسمر فيها مع خليلته يقضي من خلالها وطره وشهوته في نظره خير له من أن يتزوج ويتحمل مسؤولية البيت، ومن ثم تربية الأبناء ورعايتهم ورعاية الزوجة والصرف عليها ونحو ذلك، فإذا قارن الشاب بين حياة الزوجية وما فيها من التبعات والمسؤولية وبين حياة المجون والاختلاط بالنساء وجد أن الأمر لا مقارنة بينهما مما يجعله يفضل الاختيار الثاني.

---

(١) العفة ومنهج الاستعفاف ص٢٣.

٣ ـ عدم التفكير فيما ينفع في المستقبل:

فالرجل يصبح أكبر همه كيف يعقد أكبر قدر ممكن من الصداقات مع الفتيات الجميلات، ثم يصبح التنافس بين الشباب في هذه القضية، وينسى ما يراد منه في المستقبل من أهداف سامية في ظل سيطرة الشهوة على عقل الإنسان وفكره، وقد تقدم ذكر ما نشرته مجلة (المصور) بتاريخ ٣٠ مارس ١٩٥٦م استفتاء أجرته بين طلبة الجامعات المصرية وطالباتها، جاءت نتيجته أن ٦٥٪ منهم قرروا أن تفكيرهم في الجنس الآخر أثناء الاختلاط يؤثر على دراستهم، إذ إن ثلاثة أرباع وقت فراغهم يضيع بحثاً عن الحب واللهو، لذلك يرون إنشاء جامعات خاصة بالبنات[١].

٤ ـ الضعف الجسدي:

صرح الرئيس الأمريكي الأسبق (كينيدي) يوماً ما بأن مستقبل أميركا في خطر لأن شبابها ضائع منحل غارق في الشهوات، لا يقدر المسؤولية الملقاة على عاتقه، وأنه من بين كل سبعة شبان يتقدمون للتجنيد يوجد ستة غير صالحين، لأن الشهوات التي غرقوا فيها أفسدت لياقتهم الطبية والنفسية، ويقول جورج بالوش في كتابه الثورة الجنسية: (إن أطناناً من القنابل الجنسية تتفجر كل يوم ويترتب عليها آثارٌ تدعو إلى القلق قد لا تجعل أطفالنا وحوشاً أخلاقية فحسب بل قد تشوه مجتمعات بأسرها)[٢].

والذي أصاب شباب بلاد الغرب أصاب بعض شباب بلاد الإسلام الذين حصل فيهم الاختلاط بين الطلاب والطالبات، تقول (كوثر أحمد الشيخ) ـ طالبة في كلية التربية ـ: (إن الكثير من الطلاب لم يأتوا بأخلاق المتعلم وإنما أتوا ليملؤا فراغهم بالمحاورات الفارغة ونشر العادات المذمومة وليس هذا فقط، وإنما أتوا ليستعرضوا طالبات الجامعة استعراضاً ممقوتاً لغزو

---

(١) مكانك تحمدي ص٩١.

(٢) العفة ومنهج الاستعفاف ص١٧، ١٨.

قلوبهن وإيقاعهن في شباك الشر وليس ذلك إلا من خلال الاختلاط)[١].

٥ ـ وقوعهم في الجرائم:

إن اختلاط الرجال بالنساء قد ينجم عنه أحياناً العديد من جرائم القتل والتصفية الجسدية، بعد الفراغ من ممارسة الفاحشة إما انتقاماً أو خوف الفضيحة!

وقد قامت (ماري أوديل فارجيه) بدراسة شملت ١٤٦٨ حالة اغتصاب، وذكرت في هذه الدراسة: (أما ضحية الاغتصاب فهي عادة فتاة في مقتبل العمر، بين العاشرة والسابعة عشرة، وغالباً ما تكون وحدها في البيت أو الشارع، وتقع الجريمة في الأماكن المنعزلة عند أطراف المدن وتنتهي في الأغلب بقتل المغتصِب لضحيته خوفاً من افتضاح أمره)[٢].

وقد ألقى البوليس الكندي على شاب أطلق عليه وصف (عدو النساء) بعد قتله ١٤ طالبة في جامعة (مونتريال) وإصابته لـ ١٣ طالبة أخرى، وأضاف البوليس الكندي: أن دوافعه إلى ارتكاب المجزرة تعود إلى حياة نسائية فاشلة، وأنه فعل فعلته بدافع الانتقام.

وذكر أن المرأة والأفلام السينمائية الحربية والإلكترونية دمرت حياته!

وجاء في الرسالة التي عُثر عليها في جيبه أنه إذا كانت حياته قد تعرضت للدمار فهذا يعود إلى النساء وجاء فيها أيضاً: سأقتل بعض النساء للانتقام!![٣].

ألا يذكرنا هذا القول بحديث رسول الله ﷺ قبل أكثر من أربعة عشر قرناً: **«ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء»**؟

أفليس إبعاد النساء عن الرجال، وإبعاد الرجال عن النساء والحيلولة دون

---

(١) (آفاق عربية) ٢٨ أكتوبر ١٩٩٩م.

(٢) صحيفة الشرق الأوسط العدد (٤٧٥٩). نقلاً من: (إنهم يتفرجون على اغتصابها)، لمحمد العويد ص١٦.

(٣) صحيفة القبس الكويتية ١٩٨٩/١٢/٩. نقلاً من (إنهم يتفرجون على اغتصابها) محمد العويد. ص١٣.

اختلاطهم في أماكن العمل والدراسة وفي غيرهما خير وقاية من تلك الجرائم الرهيبة التي تقع الآلاف منها كل يوم؟!!

٦ ـ الإصابة بالعقم:

من آثار الاختلاط إصابات الرجال بالعقم من كثرة ما يشاهدون ويرون من النساء واحتكاكهم بهن.

يقول الدكتور جون كيشلر أحد علماء النفس الأمريكيين في شيكاغو: إن ٩٠٪ من الأمريكيات مصابات بالبرود الجنسي و٤٠٪ من الرجال مصابون بالعقم، وقال: إن الإعلانات التي تعتمد على صور الفتيات العارية هي السبب في هبوط المستوى الجنسي للشعب الأمريكي.

وبسبب الاختلاط الذي سبب ما سبب في المجتمع البريطاني أصبحت المرأة التي تركت أنوثتها واتصفت بصفات الرجال تسمى بالجنس الثالث، فهذا الجنس الثالث يخالف الرجال طبيعة وتركيباً ويخالف النساء وظائف وأعمالاً[١].



---

(١) انظر: الإسلام في قفص الاتهام، لشوقي أبو خليل (٢٤٦ ـ ٢٤٧).



المبحث الخامس

آثاره على المرأة

١ ـ ضعف الحياء لدى النساء أو تلاشيه منهن:

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: (الاختلاط يحصل فيه مفاسد كثيرة، ولو لم يكن فيه إلا زوال الحياء للمرأة وزوال الهيبة من الرجال، لأن إذا اختلط الرجال والنساء أصبح لا هيبة عند الرجال من النساء، ولا حياء عند النساء من الرجال)(١).

وتقول الطالبة أسماء أنور ـ طالبة جامعية ـ: (إن أروع ما في الفتاة هو الحياء وإن اختلاطها بالرجال كفيل بإراقة آخر قطرة من حياء المرأة؛ لأنها قبل الاختلاط ترد على الكلام عند الضرورة، مطأطئة الرأس بألفاظ مقتضبة، وبعد الاختلاط تجد لذتها في إطالة الحديث والتفسير لذلك باستخدام حركات اليد وتقلصات الوجه وإبداء الإعجاب بالابتسامات والضحكات مما يجعل الحياء يختفي تماماً من أخلاقها.

وتؤكد زينب عبد الموجود قطب ـ طالبة في كلية الآداب ـ أن المرأة ما هي إلا حياء وكرامة والاختلاط المحرم يقتل الحياء في المرأة ويهدر كرامتها(٢).

هذه مجموعة من الاعترافات التي جربت الاختلاط وعاشته ردحاً من الزمان أليست كافية في إثبات خطورة الاختلاط على حياء المرأة؟!!

---

(١) فتاوى النظر والخلوة والاختلاط ـ جمع محمد المسند ص٤٤.

(٢) (آفاق عربية) بتاريخ ٢٨ أكتوبر ١٩٩٩م.

٢ ـ فقدان الراحة النفسية، والسعادة القلبية:

أجريت دراسة اجتماعية، أظهرت أن الفتيات الصغيرات اللاتي تجاوزن الثانية عشر عاماً أكثر عرضة للكآبة النفسية من أقرانهن الذكور، وذلك بسبب انشغالهن بالتفكير في مظهرهن الخارجي[١].

وقد نشرت مجلة الأحد اللبنانية رسالة من أنثى افتتحتها واختتمتها بهذه العبارة: (ليتني لم أكن أنثى) وقالت خلال سطورها: (لمسايرة بنات جنسي، ولأكسب إعجاباً عن أكاذيب وألاعيب وزيف وخداع، إنني مضطرة لمسايرة بنات جنسي، ولأكسب إعجاب الرجال، أن أطلي وجهي بالأحمر والأبيض والأسود، وإذا ما كنت في مجتمع رجالي حاولت أن أتقمص الشخصية التي تروقهم، فأنا حيناً رصينة هادئة، وطوراً لعوب مغناج، وآونة أخرى ساذجة غريرة، وفي أحيان كثيرة أتصنع الهبل كل ذلك في سبيل أن أحوز إعجاب كل طائفة من الرجال، ولذا أعجز عن تخطيط شخصيتي أو فهم نفسيتي، ليتني لم أكن أنثى، إذاً لانطلقت في هذا العالم الواسع أمشي على هواي وألبس على هواي وأتحدث على هواي)[٢].

أفليس هذا الذي تعترف به هذه الفتاة العصرية من حيرة وضياع هو نتيجة طبيعية لخروج المرأة عن فطرتها وانصرافها عن وظيفتها، واهتمامها بغشيان مجتمعات الرجال، وإنشاء صداقات معهم للظفر بإعجاب كل واحد منهم، على اختلاف الأهواء والأمزجة في نفوس الرجال؟!!

٣ ـ كثرة حالات اغتصاب النساء[٣]:

أعلن مركز الضحايا الوطني الذي يناصر حقوق ضحايا جرائم العنف أن واحدة من كل ثماني بالغات في الولايات المتحدة تعرضت للاغتصاب ليكون إجمالي من اغتصبن اثني عشر مليوناً ومائة ألف امرأة على الأقل.

---

(١) من أجل تحرير حقيقي للمرأة ص١٤٢. بتصرف.

(٢) العدد (٣٢٤) من مجلة الأحد اللبنانية. نقلاً من: مكانك تحمدي ص١٧٦.

(٣) تقدم الكلام عن اغتصاب الطالبات في المدارس والجامعات وهنا عن النساء عامة.

ويشير المسح إلى أن ٦١٪ من حالات الاغتصاب تمت لفتيات تقل أعمارهن عن ١٨ عاماً.

وأظهرت الأرقام زيادة معدل الاغتصاب عن العام الذي سبقه بنسبة ٥٩٪!![١].

وتقول دراسة أمريكية: إن جرائم الاغتصاب، تنخفض خلال الشتاء؛ لأن الناس لا يخرجون كثيراً، وبالتالي فإن فرص الالتقاء تكون أقل[٢].

ولو أردنا أن نترجم هذا الكلام إلى نتيجة علمية فإننا نقول: عندما يقل الاختلاط يقل الاغتصاب.

أي: أن الإسلام العظيم حين يحد من الاختلاط ويضيق من فرصه ومجالاته فإنه يحد من جرائم الاغتصاب، ويحد من فرصها ومجالاتها، وهذه مجتمعاتنا المسلمة، رغم عدم التزامها التام بالإسلام تنخفض فيها نسب جرائم الاغتصاب، وإذا كانت بعض مجتمعات المسلمين بدأت تعاني من تزايد جرائم الاغتصاب فيها، فإنما هذا بقدر بعدها عن الإسلام والتزامها بأوامره[٣].

٤ ـ انتحار من انتهك عرضها:

لقد علمنا مما سبق أن الاختلاط سبب من أسباب الاغتصاب والذي يؤدي بدوره إلى انتحار الفتيات المغتصبات، ومما يؤيد ذلك ما جاء في دراسة نشرت في مجلة (محفوظات الطب النفسي العام): (أن النساء اللواتي تعرضن إلى اعتداءات جنسية قبل سن السادسة عشرة هن أكثر ميلاً إلى الانتحار من بقية النساء، ولاحظت الدراسة التي أعدها باحثو المركز الطبي في جامعة (ديوك) في (كارولينا الشمالية) وشملت ٢٩١٨ امرأة تعرضن لاعتداءات جنسية في شبابهن المبكر، أن ٩,١٤٪ منهن حاولن الانتحار، بينما تتدنى هذه النسبة إلى ١,٤٪ عند من لم يتعرضن لمثل هذه التجربة

---

(١) صحيفة صوت الكويت العدد (٥٤٢). نقلا من: إنهم يتفرجون على اغتصابها ص٤٠.
(٢) صحيفة الشرق الأوسط العدد (٥١٣٠).
(٣) إنهم يتفرجون على اغتصابها، لمحمد العويد ص١٣.

ويؤكد (جوناثان ديفيدسون) الباحث في مركز علم النفس والسلوك أن هناك علاقة واضحة بين محاولات الانتحار والتعرض لاعتداءات جنسية في سن مبكرة!![1].

◙ ٥ ـ التحرشات الجنسية:

لقد كشف مسح استطلاعي أعدته وزارة الداخلية البريطانية أن ٨٠٪ من ضابطات الشرطة، أي: بنسبة أربعة إلى خمسة، يتعرضن للمضايقات الجنسية خلال نوبات العمل الرسمية.

شارك في الاستطلاع ١٨٠٠ ضابطة في عشر مديريات أمن في إنكلترا وويلز، وأشرفت عليه الدكتورة (جنيفر بروان) وهي باحثة اجتماعية في الوحدة الملحقة في مديرية أمن (نيوهامبشاير) أليست نسبة مفزعة؟ أربعة أخماس الشرطيات ـ عفواً ضابطات الشرطة ـ يتعرضن للمضايقات الجنسية، ومتى؟ خلال نوبات العمل الرسمية!! خلال العمل على حفظ الأمن!![2].

هذا في حق حامية الأمن، أما في حق الساهرات على مصلحة المرضى فهناك أفعال يندى لها الجبين، فقد أشارت دراسة صدرت عن جمعية علم النفس البريطانية إلى أن ٦٠٪ من الممرضات اللاتي تم استطلاع آرائهن قد عانين من التحرش الجنسي من مرضاهن الرجال.

وأوضحت الدراسة أن أشكال التحرش الجنسي تمثلت في ممازحات صفيقة، واقتراحات تتضمن الدعوة إلى ممارسة الجنس، بالإضافة إلى الملامسة الجسدية مباشرة، واتضح أن معظم الممرضات يعانين في صمت، ويفضلن عدم الإبلاغ عن تلك الحوادث بنسبة ٧٦٪.

وقد دعت الباحثة النفسية البريطانية (سارة فينيز) خلال مؤتمر لجمعية علم النفس البريطانية عقد في لندن، إلى ضرورة صياغة توجيهات ولوائح

---

(١) المرجع السابق ص٢١.

(٢) صحيفة الشرق الأوسط العدد (٥١٧٠). نقلاً من: إنهم يتفرجون على اغتصابها ص٢٣.

داخلية تلزم الممرضة بالإبلاغ عن جميع حالات التحرش الجنسي التي تعاني منها خلال العمل، على أمل أن يؤدي ذلك إلى الحد من تلك الظاهرة المسيئة لمهنة التمريض ومؤامرة الصمت التي تحيط بها.

وقد أشارت الدراسة إلى أن الرجال (المرضى) لا يتورعون عن الإتيان بأفعال يندى لها الجبين خلال قيام الممرضات بمساعدتهم[١].

هل رأيتم وتأملتم؟ لا آلام المرض، ولا أمارات الموت، ولا أجواء المستشفى؛ كل ذلك لم يمنع هؤلاء المرضى من القيام بتلك الأفعال التي وصفتها الدراسة بـ (يندى لها الجبين). علماً أن الدراسة لم تتحدث عن الأطباء والممرضين، واكتفت بالمرضى، ولا ندري كم تبلغ النسبة حين تضاف إليها اعتداءات أولئك؟!!

٦ ـ ترك العمل بسبب الاختلاط:

قالت منظمة العمل الدولية؛ إن النساء العاملات في مختلف دول العالم الصناعي يعانين من مضايقات تجبر كثيرات منهن على ترك وظائفهن.

وقال: مايكل هانس ـ الأمين العام للمنظمة ـ: إن دراسات أجريت في ٢٣ دولة صناعية، في أنحاء مختلفة من العالم، تظهر أن المضايقات مشكلة منتشرة تتعرض لها نسبة كبيرة من النساء العاملات.

وحذر التقرير أرباب الأعمال من أن عدم معالجة هذه المشكلة يمكن أن يؤثر على الأداء الاقتصادي لشركاتهم، وأن يكون سبباً لفقد موظفات أكفاء، ولتكاليف إضافية بسبب عمليات التقاضي[٢].

فهذا اعتراف من منظمة العمل الدولية أن المضايقات التي تتعرض لها النساء العاملات؛ تجبر كثيرات منهن على ترك وظائفهن وأعمالهن؛ أي: أن المضايقة تصل من الإيذاء إلى حد يجعل المرأة تضحي بعملها وما تكسبه منه لتسلم بجسمها وتحفظ نفسها.

---

(١) صحيفة الوطن الكويتية العدد (٥٧١١). بواسطة إنهم يتفرجون على اغتصابها ص٢٧.

(٢) إنهم يتفرجون على اغتصابها ص٥١.



المبحث السادس

آثاره على الأسرة

١ ـ ضياع الأبناء وتفكك الأسر:

فعندما ينتشر الاختلاط ستتفكك الأسر، والروابط العائلية، لأن كلاً من الزوجين يحس بالاستغناء، ولأنهما لن يجدا الثقة في بعضهما، فتنعدم المودة والرحمة، والسكن والأمن، وعند ذلك سينشأ جيل عاش في هذا الجو المكفهر، وسيكون لذلك أكبر الأثر على نفسيته وعقليته وخلقه[١].

وقد بيَّن الدكتور سوليفان هذا بقوله: (إن السبب الحقيقي في جميع مفاسد أوروبا وفي انحلالها بهذه السرعة هو إهمال النساء للشؤون العائلية المنزلية، ومزاولتهن الوظائف والأعمال اللائقة بالرجال في المصانع والمعامل والمكاتب جنباً إلى جنب)[٢].

٢ ـ انتشار الطلاق بين الزوجين:

نشر في جريدة (بدترويت) مقال يبحث في هذه الأوضاع، قد جاء فيه: (إن ما قد نشأ اليوم من قلة الزواج وكثرة الطلاق وتفاحش العلاقات غير المشروعة ـ الدائمة أو العارضة ـ بين الرجال والنساء، يدل كله على أننا راجعون القهقرى إلى البهيمية، فالرغبة الطبيعية في النسل إلى التلاشي، والجيل المولود ملقى حبله على غاربه!)[٣].

---

(١) سبعة أسباب لوقاية الأسرة، صالح الشيباني ص٢٥.
(٢) مكانك تحمدي ص١٠٩.
(٣) دستور الأسرة في ظلال القرآن ص٢٤١.

٣ ـ ضياع الأعراض:

مما يسببه الاختلاط على الأسرة ضياع عرض أفرادها، فقد تقع الفتاة في قضايا أخلاقية سواء كان ذلك عن رضى أو بالقهر والقسر، وقد تقدم ذكر دراسات وإحصاءات تؤكد حدوث مثل ذلك. تقول الطالبة عزة سيد ـ في كلية الآداب ـ: (إن الاختلاط في الجامعة، أدى بنا إلى ضياع كثير من الأعراض وخبث الطوايا وفساد النفوس وهدم الأسر وشقائها، وجلب ظاهرة الزواج العرفي التي انتشرت بصورة فاضحة)[١].



(١) تقدم ذكر هذه التقارير.



المبحث السابع

آثاره على الاقتصاد

من آثار الاختلاط ومفاسده على الاقتصاد:

١ ـ مضاعفة الإنفاق والصرف لحماية الناس ووقايتهم من الأذى[1]:

فمثلاً: سبب الاختلاط مخاطر كثيرة تتعرَّض لها الطالبات، ولذا أصدر مجلس النوَّاب الأمريكي قرار حقوق الطلاب لعام ١٩٩٠م الذي يتضمَّن أمن الكليات والجامعات. وفي عام ١٩٩٢م عدّل مجلس النواب القرار ليشمل ضحايا الاعتداءات الجنسية، والذي يتطلَّب من الجامعات والكليات أن تشتمل تقاريرهم السنوية، سياساتهم المتعلقة بالتعريف بالاعتداءات الجنسية وكيفية منعها وتوفير الحقوق الأساسية لضحايا الاعتداءات الجنسية.

وعُدِّل القانون مرة أخرى ليشمل الالتزامات بتقديم تقارير إضافية تشمل زيادة الإجراءات الأمنية بالمبنى الجامعي ومتطلبات سجل يومي بالجرائم.

وفي عام ١٩٩٩م قدَّمت وزارة العدل ٨,١ مليون دولار إلى ٢١ كلية وجامعة لمنع ومقاومة الاعتداء الجنسي والعنف والمطاردة، وفي عام ٢٠٠٠م تمّ منح جامعات وكليات أخرى ٦,٨ مليون دولار[2] وسيأتي هذا القرار في ص١٠١.

ونشرت جريدة الجزيرة[3]: أن الإدارة المدنية في اليابان قامت بتوزيع

---

(١) آفاق عربية ٢٨ أكتوبر ١٩٩٩م.
(٢) بحوث حول: الاعتداءات الجنسية على الطالبات بالكليات، فريق البحث: مايكل جي تيرنز، فرانسيس تي كولن ص٣.
(٣) تاريخ ٢٨/١١/١٤١٨هـ.

ستين ألف كتيب على موظفي الحكومة في محاولة للحد من حوادث التحرش الجنسي داخل المكاتب الحكومية، ويأتي توزيع هذه الكتيبات تطبيقاً لنتائج دراسة أجريت في العام الماضي عن حوادث التحرش الجنسي التي ترتكب داخل المكاتب الحكومية وأظهرت أن موظفة من بين كل ست موظفات تشكو من أن رئيسها في العمل يراودها عن نفسها.

٢ ـ قلة الإنتاجية والإهمال في العمل:

إن من آثار الاختلاط أن غالب الموظفين والعاملين ينشغلون فيما بينهم بالنظرات والهمسات والضحكات مما يسبب أخطاء في أداء الأعمال أو تقصير في الإنتاج، فإذا أقبلت الموظفة نظر إليها زميلها، وإذا أدبرت نظر إليها، وهكذا في كل إقبال وإدبار لكل امرأة تدخل وتخرج، فكيف يعمل من يفكر في مثل هذه القضايا؟ وكيف ينتج الإنتاج المطلوب من تمر عليه النساء بأجمل زينة، وأبهى حلة؟!

وفي دراسة أجريت في العام الماضي عن حوادث التحرش الجنسي التي ترتكب داخل المكاتب الحكومية قالت: (عشرون في المائة من النساء العاملات إنه ليس بوسعهن أداء عملهن بالكفاءة المطلوبة نظراً للمضايقات الجنسية التي يتعرضن لها وأعربن عن رغبتهن في الانتقال إلى مكاتب أخرى أو ترك وظائفهن)[١].

٣ ـ انتشار الأمراض الخطيرة والتي تحتاج إلى مبالغ طائلة لعلاجها:

عندما يحصل الاختلاط بين الجنسين فإن جرائم الزنا تتفاقم مما سبب كثرة الأمراض الجنسية المتنوعة، ومن ثم ضاعف استنزاف خزينة تلك الدول التي تعاني من الاختلاط بكل آثاره المفجعة ومنها:

١ ـ إقامة مستشفيات خاصة بأولئك المصابين وما تتطلبه من مبالغ باهظة.

٢ ـ البحوث والدراسات التي أجريت على أولئك المصابين للبحث عن العلاج المناسب لهم.

---

(١) تاريخ ٢٨/١١/١٤١٨هـ.

٣ ـ الأدوية والمستلزمات الطبية المتنوعة.
٤ ـ الخدمات العامة من مواصلات وكهرباء ونحوها.

كل هذه وغيرها كان من أسبابها اجتماع الرجال والنساء في مكان واحد مما سبب إثارة الشهوات في النفوس ومن ثم مواقعة الفاحشة والعياذ بالله، وإليك هذه الأرقام:

(يقدر البرنامج العالمي لمنظمة الصحة العالمية المتعلق بالإيدز أن تبلغ تكاليف برنامج الوقاية من الأمراض المنقولة بالاتصال الجنسي/ فيروس نقص المناعة البشرية/ الإيدز: (١,٣ بليون دولار) في عام (١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م)، و(١,٤ بليون دولار) في عام (١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٥م)، و(١,٥ بليون دولار) تقريباً في عام (١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م)، و(١,٥ بليون دولار) في عام (١٤٣٦هـ ـ ٢٠١٥م)[(١)].

(تكلفة التشخيص والعناية بأول ١٣٠٠ حالة إيدز في أمريكا بلغت ١٨ مليون دولار، ومع ذلك ماتوا جميعهم؟.

كما أن تكلفة المريض الواحد تقدر بـ (مائة ألف) دولار، لذلك فقد كثير من هؤلاء المرضى حقهم في التأمين الصحي، مما اضطرهم إلى بيع بيوتهم لاستعمال أثمانها في العلاج منه)[(٢)].

(يصاب بمرض السيلان (٢٠٠ ـ ٥٠٠) مليون شخص سنوياً، وتشخيص المرض وعلاج المريض الواحد يكلف (٢٥٠ ـ ٤٠٠) دولار، فإن مرض السيلان وحده يكلف العالم سنوياً (٨٠ ـ ١٠٠) بليون دولار)[(٣)].

---

(١) أعلن وزير خارجية اليابان، على سبيل المثال، أن بلاده التزمت بتخصيص ثلاثة بلايين دولار؛ لتمويل برامج معالجة المشاكل السكانية، ومواجهة انتشار مرض نقص المناعة (الإيدز)، وذلك أثناء انعقاد مؤتمر السكان والتنمية بالقاهرة (١٩٩٤م ـ ١٤١٦هـ). انظر: صحيفة الحياة العدد (١١٥٢٦) بتاريخ ٣/ ٤/ ١٤١٥هـ الموافق ٨/ ٩/ ١٩٩٤م.

(٢) غضب الله تعالى يلاحق المتمردين (الإيدز)، ص٤٠ ـ ٥٤. لفؤاد سيد عبد الرحمٰن الرفاعي.

(٣) المرجع السابق.

٤ ـ انتشار عيادات الأمراض النفسية:

تعاني الكثير من الفتيات في الدول الغربية من حالات نفسية حادة بسبب اختلاطها بالرجال فهي تحاول أن تكسب لها زوجاً ولكن دون جدوى، فلماذا يقترن الشاب هناك بفتاة وعنده عشرات الفتيات يمكن أن يقضي حاجته مع إحداهن، مما سبب الكثير من الأمراض النفسية للعديد من الفتيات.

وإقامة هذه العيادات تكلف تلك الدولة الكثير من الأموال والمصروفات ويقال فيها ما قيل في الفقرة الماضية.

يقول الدكتور عبد الله الخاطر رَحِمَهُ اللَّهُ: (كنت أستغرب عند بداية إقامتي في بريطانيا أن المرأة هي التي تنفق على الرجل، وكنت أشاهد هذه الظاهرة عندما أركب القطار، أو أدخل المطعم، إذ ليس في قاموس الغربيين شيء اسمه (كرم).

وبعد حين زال هذا الاستغراب، وأخبرني المرضى[١]. عن أسباب هذه الظاهرة، وفهمت منهم بأن الرجل لا يحب الارتباط بعقد زواج، ويفضل ما أسموه (صديقة) والمرأة تسميه (صديقاً) وليس هو أو هي من الصدق في شيء، وكم أساءوا لهذه الكلمة النبيلة، فالصديق يعني: الصدق والمحبة والمروءة والنخوة والكرم والوفاء، وما إلى ذلك من معان طيبة كريمة.

والصديق عندهم يعيش مع امرأة شهوراً أو سنين، ولا ينفق عليها، بل هي تنفق عليه في معظم الحالات، وقد يغادر البيت متى شاء، أو قد يطلب منها مغادرة بيته، إن كانت تعيش معه في البيت، ولهذا فالمرأة عندهم تعيش في قلق وخوف شديدين، وتخشى أن يرتبط صديقها بامرأة ثانية ويطردها، ثم لا تجد صديقاً آخر!!.

وكما يقولون (بالمثال يتضح المقال) فسوف أختار مثالاً واحداً من أمثلة كثيرة تبين وضع المرأة عندهم:

---

(١) الكاتب لهذه القصة طبيب في العيادات النفسية فانتبه!!.

رأيت في عيادة الأمراض النفسية امرأة في العشرينات من عمرها وكانت حالتها منهارة، وبعد حين من الزمن شعرت بشيء من التحسن، وأصبحت تتحدث عن وعي، فسألتها عن حياتها فأجابت؛ والدموع تنهمر من عينيها، قالت: مشكلتي الوحيدة أنني أعيش بقلق واضطراب، ولا أدري متى سينفصل عني صديقي، ولا أستطيع مطالبته بالزواج مني، لأنني أخشى من موقف يتخذه، ونُصحتُ بالعمل على إنجاب طفل منه، لعل هذا الطفل يرغبه في الزواج، وبعدها أنت ترى الطفل، كما أنك تراني لا ينقصني جمال، ومع هذا وذاك فأبذل كل السبل؛ من تقديم خدمات! وإنفاق مال!

ولم أنجح في إقناعه بالزواج، وهذا سر مرضي، وسبب قهري، إني أشعر بأنني وحدي في هذا المجتمع، فليس لي زوج يساعدني على أعباء الحياة، ولي أهل ولكن وجودهم وعدمهم سواء، وليتني بقيت بدون طفل لأنني لا أريد أن يتعذب ويشقى في هذه الحياة كما تعذبت وشقيت!!

وهذه المريضة ليست من شواذ المجتمع الغربي، بل الشواذ هم الذين يعيشون حياة هادئة، ومع ذلك ينقد الغربيون مجتمعاتنا الإسلامية، ويزعمون بأن المرأة تعيش في بلادنا حياة بائسة محزنة، ونحن لا يهمنا رأي الغرب بنا، ولكن نريد من نسائنا أن يحمدن الله ﷻ على نعمة الإسلام، فلقد كانت في الجاهلية ذليلة مهينة؛ وجاء الإسلام ليرفع مكانتها، وبفضل من الله سبحانه أصبح الرجل يبحث عن المرأة، ويطلب الزواج منها وهي قد تقبل وقد ترفض، ولأهلها دور كبير في أمر زواجها، وسواء كانت عند زوجها أو في بيت أبيها؛ فهي عزيزة كريمة، والرجال هم الذين ينفقون عليها، بل والذي نشكو منه في بلادنا الغلو في المهور، والتكاليف الباهظة التي تفرض على الرجل حتى يحصل على زوجة قال تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحجرات: ١٧][١].

---

(١) مشاهداتي في بريطانيا: د. عبد الله الخاطر ص١٠.



المبحث الثامن

آثاره على الصحة

الاختلاط له أثره على صحة الإنسان النفسية والبدنية فمن ذلك:

أولاً: انتشار الأمراض التناسلية:

فإذا كثر الزنى كثرت الأمراض، ولذا في كل يوم يظهر نوع من أنواع الأمراض التي لم تعرف سابقاً، ولا يكاد الطب الحديث يجد لها علاجاً، فمن تلك الأمراض مرض الإيدز، ومرض الزهري، ومرض السيلان، والقرح اللين، والنمو البلغمي، الالتهاب الجنسي، والنمو الحبيبي التقرحي المغبني، السفلس، وأمراض البريميات، ومن أعظم أسباب انتشار هذه الأمراض هو الاختلاط الذي يغري الطرفين بعضهما ببعض ثم تقع الفاحشة ومن ثم تنتشر الأمراض الفتاكة.

فمن تلك الأمراض وعدد المصابين بها(١):

- **مرض السفلس:**

أعلن الدكتور (برك جونز) عام ١٩٧٤م (أن خمسين مليون شخص يصابون بمرض السفلس كل عام)(٢).

(بلغ عدد المصابين المسجلين رسمياً لعام (١٤١٨هـ - ١٩٩٨م) - حسب تقرير منظمة الصحة العالمية حوالي خمسة ملايين شخص. ويبلغ عدد الوفيات

---

(١) قضايا المرأة في المؤتمرات الدولية، د. فؤاد آل عبد الكريم ص٦٧٣ وما بعدها.

(٢) غضب الله تعالى يلاحق المتمردين (الإيدز) لفؤاد بن سيد الرفاعي ص٤٠ وما بعده.

ـ حسب ذات التقرير ـ (١٥٩,٠٠٠) تسعة وخمسون ومائة ألف شخص)[1].

● **مرض السيلان:**

(يعتبر هذا المرض من أكثر الأمراض المعدية انتشاراً في الوقت الحاضر، ويصاب به عشرات الألوف كل عام، معظمهم في سن الشباب ممن تتراوح أعمارهم بين ١٥ و٢٨ سنة. وغالبيتهم من طلاب المدارس والجامعات. ففي الولايات المتحدة الأمريكية ـ مثلاً ـ يتراوح عدد الإصابات المسجلة رسمياً بالسيلان ما بين (٤ و٥) ملايين إصابة.

وفي فرنسا يقدر عدد المصابين بالسيلان سنوياً بـ (٥٠٠) ألف رجل وامرأة وطفل.

وقد بلغ عدد المصابين بالسيلان لعام (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م) حسب تقرير منظمة الصحة العالمية حوالي خمسة ملايين شخص. أما الوفيات فيبلغ عددهم حسب ذات التقرير ثمانية آلاف شخص[2].

● **مرض الهربس (الزهري):**

يحتل الهربس الزهري ـ أو القوباء التناسلية ـ المرتبة الخامسة من حيث الانتشار في سلسلة الأمراض الجنسية وقد تضاعف عدد المصابين في العالم بهذا المرض منذ عام (١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م).

ففي الولايات المتحدة الأمريكية تسجل سنوياً مليون إصابة جديدة، ويقدر عدد المصابين فيها بحوالي ٢٥ مليون شخص. وتشكل هذه الإصابات ١٥٪ من مجموعة الأمراض الجنسية.

---

(١) The World Health Report 1999: Making a difference page: 98 -104.

(٢) انظر: الأمراض الجنسية، لسيف الدين حسين شاهين، ص٧٩، وكتاب: مع الطب في القرآن الكريم، عبد الحميد دياب وأحمد قرقوز ص١٧٤، والزنى أحكامه والوقاية منه، جبر محمود الفضيلات، ص١٣٣ وما بعدها، وكتاب: احذروا الزنى والزناة، سليم فهد شبعانية، ص١٢ وما بعدها، والأمراض المتناقلة عبر الجنس، سبيرو فاخوري، ص٣٩ وما بعدها، والأمراض الجنسية عقوبة إلهية، عبد الحميد القضاة، ص٦٣ وما بعدها.

وفي اليابان يفوق عدد الإصابات الجديدة بالقوباء عدة مرات عدد الإصابات بالسيلان والسفلس.

وفي أوربا الغربية يشكل الهربس التناسلي ٢٠٪ من مجموع الأمراض المتناقلة عبر الجنس، فقد تم رصد أكثر من عشرة آلاف حالة في بريطانيا وحدها عام (١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م). وقد ذكر الدكتور (مورس)[(١)] اختصاصي أمراض الهربس أن نتيجة الدراسة التي قام بها في بريطانيا تشير إلى أن انتشار هذا المرض يزداد يوماً بعد يوم، وأن أكثر الإصابات به تقع بين الشباب والشابات الذين تتراوح أعمارهم بين ١٥ ـ ٣٠ سنة. وأن هذا المرض يتناسب طردياً مع الجنس وطرق ممارسته وازدياده في المجتمع بطرق غير صحيحة، فيما يقل بالمقابل عند الذين يحبون العفاف ويسعون إليه.

وقد انتقل المرض إلى عواصم عالمية أخرى مثل: بروكسل وأمستردام وكوبنهاجن وستوكهولم وبرلين وباريس وجنوب إفريقية).

● **مرض الإيدز:**

(إن عدد الإصابات بوباء الإيدز منذ اكتشافه في أوائل الثمانينات حتى يومنا هذا في تصاعد مستمر ومخيف. فحسب إحصاءات منظمة الصحة العالمية التي كشف النقاب عنها في المؤتمر العالمي الخامس ضد مرض الإيدز المنعقد في مونتريال بكندا عام (١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م)، فإن عدد الإصابات بمرض الإيدز حتى عام (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م) لم يتجاوز (٧٠,٠٠٠) إصابة. ثم ارتفع هذا العدد ما بين عامي (١٤٠٦/١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٦/ ١٩٨٨م)، ليصبح حوالي (٣٠٠,٠٠٠) إصابة. ويقدر عدد الإصابات ما بين عامي (١٤٠٩/ ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩/ ١٩٩٠م) بأنه يتراوح ما بين (٧٠٠,٠٠٠) إصابة ومليون ونصف المليون إصابة.

---

(١) الدكتور مورس لونقستن، أستاذ الفيروسات الطبية في كلية طب جامعة مانشستر، بريطانيا.
انظر: الأمراض الجنسية عقوبة إلهية، لعبد الحميد القضاة ص٩٠.

وقد بينت منظمة الصحة العالمية بأنه إذا لم يستطع الأطباء إيجاد وسيلة فعالة للقضاء على هذا الوباء في السنوات المقبلة، فإن عدد الإصابات سيبلغ في أواخر هذا القرن خمسة ملايين إصابة.

ولكن يبدو أن توقعات منظمة الصحة العالمية عن عدد المصابين بهذا المرض كانت متواضعة جداً. فقد بلغ عدد المصابين بالإيدز بنهاية عام (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م) (٧٠,٩٣٠,٠٠٠) إصابة (٣٥ مليون مصاب من الذكور، و٣٤ مليون مصاب من الإناث تقريباً). وبلغ عدد الوفيات (٢,٢٨٥,٠٠٠) شخص. وذلك حسب الإحصاءات الصادرة عن المنظمة نفسها عام (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م)[(١)].

وهذه بعض الحقائق والمعلومات حول مرض الإيدز والعدوى بفيروسه الصادرة عن منظمة الصحة العالمية، بمناسبة اليوم العالمي للإيدز في (١ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٩٨م، الموافق ١٢/٨/١٤١٩هـ):

- في كل دقيقة، يصاب خمسة أشخاص ممن تتراوح أعمارهم بين ١٠سنوات و٢٤ سنة، بعدوى فيروس الإيدز.

- في كل يوم، يصاب ٧٠٠٠ شخص من صغار السن بعدوى فيروس الإيدز.

- في كل سنة، يصاب ٢،٦ مليون شخص من صغار السن بعدوى فيروس الإيدز.

- يحدث أكثر من نصف مجموع الحالات الجديدة من عدوى فيروس الإيدز بين صغار السن.

- يمثل صغار السن الثلث على الأقل من الأشخاص المصابين بعدوى فيروس الإيدز.

---

(١) المصدر: The World a Health Report 1999: Making a difference.

ـ أصيب ٥,٨ ملايين شخص بعدوى فيروس الإيدز في عام (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م).

بلغ عدد المصابين بعدوى فيروس الإيدز (٣٠,٦ مليون) شخص، في نهاية عام (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م).

ـ يعيش أكثر من ٩٠ ٪ من المصابين بعدوى فيروس الإيدز في البلدان النامية، دون أن يدري معظمهم أنهم مصابون بهذه العدوى.

ـ بحلول نهاية عام (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م) كان (٤٢,٣ مليون) شخص قد أصيبوا بعدوى فيروس الإيدز.

ـ في (شهر صفر من عام ١٤١٩هـ حزيران/ يونيو ١٩٩٨م)، كان قد تم التبليغ عن (١,٩ مليون) حالة من مرض الإيدز، من جميع أرجاء العالم، غير أنه نظراً لنقص التشخيص والتبليغ، والتأخر في التبليغ، يقدر العدد الفعلي للحالات بنحو(١٣ مليون) حالة.

ـ بحلول نهاية عام (١٩٩٧م ـ ١٤١٨هـ)، كان (١١,٧ مليون) شخص قد ماتوا بسبب الإيدز.

مات (٢,٣ مليون) شخص بسبب الإيدز في عام (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م)[1].

(وتشير رئيسة معهد النساء العاملات في نيويورك إلى أن المضايقات الجنسية لا تقتصر على الاعتداء الجسدي بل إن الكلام البذيء، والنكات الفاضحة تشكل نوعاً من الاعتداء على المرأة الحساسة.

فكم من واحدة أصيبت بالأمراض الجسدية كالصدع والقيء، وعدم النوم نتيجة لهذا الوضع السيئ التي تعيش فيه المرأة، وكم من واحدة اضطرت إلى أخذ الحبوب المهدئة لتستطيع الذهاب إلى العمل كل صباح، ثم سماع تلك

---

(١) انظر نشرة بعنوان: الشباب يساهمون بقوة في الحملة العالمية لمكافحة الإيدز، نشرة تصدرها منظمة الصحة العالمية، المكتب الإقليمي لشرق المتوسط، بمناسبة اليوم العالمي للإيدز (١ كانون الأول ـ ديسمبر ١٩٩٨م).

الاسطوانة الممجوجة من الغزل البذيء)[١].

ثانياً: انتشار الأمراض النفسية:

تقدمت الإشارة بأنَّ الاختلاط سبب في شيوع الأمراض النفسية ونزيد الأمر توضيحاً (يصل عدد الأمريكيين المصابين بالاكتئاب النفسي والقلق إلى ستة وخمسين مليون أمريكي، أي: حوالي ربع عدد السكان)[٢].

(والقلق والاضطراب النفسي يؤدي إلى ارتفاع نسبة الانتحار. . ويشير آخر التقارير في لندن أن شخصاً واحداً يقدم على الانتحار كل ساعتين في بريطانيا)[٣].

(شيوع الجرائم الأخلاقية لأسباب نفسية، حيث أصبح انتشار هذا النوع من الجرائم من النتائج المنطقية للإباحية الجنسية، ويرجع ذلك إلى سببين:

الأول: كثرة أولاد الزنا الذين يفقدون الحب والحنان، وينشؤون وفي قلوبهم الحقد والكره لمجتمعهم.

الثاني: وفي أجواء الإباحية، فإن الشاب يريد أن يمارس العلاقة الجنسية مع أي فتاة برضاها أم رغماً عنها.

وليس أدل على ذلك من تقرير نشرته وزارة العدل الأمريكية خلال عام ١٩٧٧م وجاء فيه:

(تغتصب فتاة كل ثماني دقائق في الولايات المتحدة الأمريكية، وارتكبت ٦٣٠٢ جريمة اغتصاب الفتيات خلال سنة ١٩٧٧م)[٤].

(ويسبب الاختلاط للمراهقين والبالغين من الجنسين الكثير من المتاعب والأضرار النفسية التي يصعب علاجها، ولم يستطع علم النفس تخليص مرضى الاختلاط منها، ومن ذلك ما جاء في كتاب (تحليل مائة حالة نفسية) قام بها

---

(١) عمل المرأة في الميزان ص١٦٠.
(٢) المجتمع المنشود ص٣٦، من رسائل جمعية الإصلاح والتوجيه الاجتماعي.
(٣) المرجع السابق ص٢٥.
(٤) سبل العفة وخطورة الانحراف وأسبابه ص٣٠.

أطباء نفسيون، والكتاب مختار من ألف رسالة بعث بها القراء إلى إحدى المجلات العربية طالبين تحليل حالاتهم النفسية ومن الأمثلة:

تقول صاحبة المشكلة: (إنني زوجة في الخامسة والعشرين من العمر، كنت قد تعرفت قبل زواجي على رجل حاول أن يغريني بشتى الوسائل، وقد رغبت في الإذعان له لو لم أكن مردوعة من الناحية الخلقية، واستطعت الانعتاق من حلبة هذا الصراع ممنية نفسي بالزواج في المستقبل، وفي الواقع عقد قراني على رجل آخر دون أن أنسى الرجل الأول الذي أشاح وجهه عني، بيد أن مجرد التفكير به كان يسبب لي اضطراباً مستمراً ولدى مصادفتي إياه في المرة الأولى بعد زواجي تملكني صراع نفسي مريع بين الشوق إليه والمحافظة على الوفاء، إن هذا الصراع أضحى لا يطاق وليس له من مخرج في ظل هذه الشروط ذلك لأن شوقي للارتماء في أحضانه كان يعادل قوتي الخلقية، وطفقت أتجنب مقابلته إلى أن غاب عن ذاكرتي في النهاية ظاهرياً، هل أعتبر الأمر مر بسلام أم أنني أكبت عواطفي؟)[1].



(١) رسالة ماجستير بعنوان (الاختلاط وأثره في سلوك الفرد والجماعة وموقف الإسلام منه) لـ محمد عبد الخالق أحمد ص٢٢٦. وما بعده.



الفصل الرابع

حوار مع المخالفين

ويتضمن المباحث التالية:

المبحث الأول: مواقف حصلت في الأمم السابقة.

المبحث الثاني: مواقف حصلت قبل فرض الحجاب.

المبحث الثالث: مواقف حصلت من وراء حجاب.

المبحث الرابع: مواقف حصلت مع كبيرات في السن.

المبحث الخامس: مواقف حصلت وأدلتها محتملة.

المبحث السادس: مواقف حصلت وأدلتها ضعيفة.

المبحث السابع: مبررات الاختلاط.

المبحث الثامن: شبهات فكرية في جواز الاختلاط.



المبحث الأول

مواقف حصلت في الأمم السابقة

قبل إيراد شُبه من أباح الاختلاط مستنداً على مواقف حصلت في الأمم السابقة، ومن ثم الجواب عنها، يحسن بنا أن نعرج على مسألة أصولية لا غنى عنها في بحث هذا الموضوع وهي (هل شرع من قبلنا شرع لنا؟) فنقول:

أجمعت الأمة على أن شرع من قبلنا إذا خالف ما ثبت في شرعنا فهو منسوخ به لا محالة.

وأما إذا لم يخالف فوقع فيه الخلاف، والجمهور على أنه ليس شرعاً لنا إلا إذا سيق مساق المدح والثناء.

قال النووي[١]: شرع من قبلنا للأصوليين من أصحابنا وغيرهم خلاف في الاحتجاج به إذا لم يرد شرعنا بمخالفته، أما إذا ورد بخلافه فلا حجة فيه بالاتفاق.

وقال الخطيب الشربيني[٢]: شرع من قبلنا ليس بشرع لنا على الصحيح وإن ورد في شرعنا ما يقرره خلافاً لبعض المتأخرين.

وذكره الغزالي[٣] في الأصل الأول من الأصول الموهومة التي ليست من الأدلة، وهو شرع من قبلنا من الأنبياء فيما لم يصرح شرعنا بنسخه.

وذكره ابن قدامة[٤] في الأصول الأربعة المختلف فيها، فقال: الأصل الأول: شرع من قبلنا إذا لم يصرح شرعنا بنسخه هل هو شرع لنا؟ فيه

---

(١) المجموع (٥/ ٩٢).
(٢) مغني المحتاج: الخطيب الشربيني (٢/١٩٨).
(٣) المستصفى: الغزالي (١/ ١٦٥).
(٤) روضة الناظر: ابن قدامة (١/ ١٦٠ ـ ١٦١).

روايتان. . . ـ ثم ذكر سبعة أدلة على القول بأنه ليس بشرع لنا ـ.

قال ابن العربي: لا ننكر أن النبي ﷺ وأمته منفردان بشريعة، وإنما الخلاف فيما أخبر النبي ﷺ عنه من شرع من قبلنا في معرض المدح والثناء هل يلزم اتباعه أم لا؟

ومن الأدلة على كون شرع من قبلنا ليس شرعاً لنا:

قوله: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾ [البقرة: ١٣٤].

وقوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

إذا تقرر هذا الأصل فالأدلة التي استدلوا بها على جواز الاختلاط من هذا النوع لا يصح الاحتجاج بها مطلقاً لأنها تخالف شريعتنا التي جاءت النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة، قاضية بتحريم الاختلاط وسد ذرائعه وطرائقه وأبوابه، ومع ذلك سنذكر كل ما وقفنا عليه من شبه مبينين وجه الصواب فيها مستعينين بالله، متوكلين عليه وحده، وهي على نحو مما يلي:

١ ـ قصة يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز.

ذكر بعضهم قصة يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز مجتمعاً بها على جواز الاختلاط، وهو من أعجب ما يكون والجواب عنه من وجوه:

١ ـ أنَّ القصة وردت في شرع من قبلنا، ولا حجة فيها على إباحة الاختلاط لحرمته في شريعتنا.

٢ ـ أنَّ يوسف عليه السلام كان عبداً مملوكاً في بلاط امرأة العزيز والمملوك يُرخَّصُ له في بيت سيدته ما لا يرخص لغيره من حيث الدخول والخدمة ونحوها.

٣ ـ أنَّ أحداث قصة يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز بيَّنت بجلاء ووضوح خطورة الاختلاط بين الرجال والنساء، فقد راودت امرأة العزيز يوسف عليه السلام عن نفسه لولا أن عصمه الله، وهذا آفة الاختلاط العظمى الذي من أجله حرّمته شريعة الإسلام.

٤ ـ أنَّ في قصة يوسف مع امرأة العزيز أبلغ موعظة وأكبر حجة وأمضى برهاناً على شؤم الاختلاط وسوء عاقبته، فإذا كان يوسف النبي الكريم لم يسلم من مراودة امرأة العزيز له، وافتتان النسوة به حتى قطّعن أيديهن فمن يسلم بعد يوسف لا سيما في هذا الزمان والله المستعان!

۞ ٢ ـ قصة أم موسى وأخته مع قوم فرعون كما قال تعالى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾﴾ [القصص: ١١، ١٢].

ذكروا كذلك قصة أخت موسى عليه السلام مع قوم فرعون **والجواب عنها** بما يلي:

١ ـ أنَّ القصة وردت في شرع من قبلنا، فلا حجة فيها على إباحة الاختلاط لحرمته في شريعتنا.

٢ ـ لم تدل القصة لا تصريحاً ولا تلميحاً على جواز الاختلاط وإنما هو من اللقاء العابر، فقصارى ما فيها أنَّ أخت موسى عرضت على قوم فرعون إرضاع موسى عليه السلام بدلالتهم على أمّه الحقيقية من حيث لا يشعرون، فأخت موسى لم تجالسهم ولم تؤاكلهم ولم تشاربهم ولم تعمل جنباً إلى جنب معهم ولكنها حدّثتهم حديثاً لا فتنة فيه، وكلمتهم كلاماً جاداً خال من الريبة والإثارة؛ فأدّت المقصود، والتزمت الحدود، وحملت أخاها الرضيع وانطلقت به إلى أمّه فأي دليل في هذا على جواز الاختلاط؟!

۞ ٣ ـ قال تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾﴾ [مريم: ٢٧، ٢٩].

وأما قصة مريم مع قومها فالجواب عليه من وجوه:

١ ـ أنَّ القصة وردت في شرع من قبلنا وقد تقدم بيان ذلك.

٢ ـ أنَّ مريم حين أجاءها المخاض انتبذت به مكاناً قصياً بعيداً عن الأنظار، وتلافياً للاختلاط فلماذا أغفلوا هذا؟

٣ ـ أنَّ مريم رجعت بابنها لتواجه به قومها وتطلعهم على حقيقة الأمر، وتنفي التهمة عن نفسها فلا يعقل أن تذهب بابنها لبيتها كأنَّ شيئاً لم يكن لتلوكها الألسن، وتضع نفسها موضع التهمة وسوء الظن!

٤ ـ أنَّ لقاء مريم قومها كان لقاءً عابراً لغرض البيان، ورفع اللبس ولكي يتمكن عيسى عليه السلام من إبلاغهم الرسالة، ولم يكن لقاؤها إيّاهم متكرراً ومقصوداً ومباشراً كلّ يوم كما يحسبه مبيحوا الاختلاط!

٥ ـ أنَّ قومها أنكروا عليها ولادتها عيسى عليه السلام بلا أب، قبل أن يتبيّن لهم الأمر وصارحوها بأنَّ فعلها ضرب من الفرى مع طهارة أبيها ونزاهة أمها ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾﴾ [مريم: ٢٧].

٤ ـ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾﴾ [هود: ٤٠].

ومن أعجب استدلالات بعض من أباح الاختلاط استدلالهم بركوب أهل السفينة مع نوح عليه السلام حيث زعموا أنَّ حمل نوح من كلٍ زوجين اثنين دليل على إباحة الاختلاط!!

والجواب:

١ ـ أنَّ القصة وردت في شرع من قبلنا وقد تقدم بيان ذلك.

٢ ـ أنَّ ركوب هؤلاء للسفينة كان بأمر الله ـ سبحانه ـ فراراً من غضبه وطوفانه الذي ادلهمت غيومه، وتأكد حلوله فلا مناص من الركوب وإلا كان هلكة محضة، وعناداً فجاً لإرادة الله وقضائه النازل!

٣ ـ ليس من دليل يدل على جنس راكبي السفينة؛ فغاية ما تدل عليه الآية أنهم مؤمنون فقط دون تفصيل؛ فقوله: ﴿وَمَنْ ءَامَنَ﴾ لا يدل على جنس هؤلاء المؤمنين أذكور هم أم إناث أم أخلاط، وأما قوله: ﴿وَأَهْلَكَ﴾ فلا

يدل على كون الأهل هنا زوج نوح لأن زوجته كانت كافرة، فربما كان بعض أبناء نوح الذكور لقوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى﴾ [هود: ٤٥] ولو فرض أنهم ذكور وإناث فهم بصحبة محرمهم نوح عليه السلام والأمر عظيم والخطب جلل والضرورة ظاهرة لمن أمعن النظر والله المستعان.

٤ ـ ما المانع أن يكون الرجال في السفينة على حدة والنساء على حدة، إذ لا دليل على مخالطة النساء الرجال في السفينة، ومن زعم ذلك فعليه بالدليل!

٥ ـ قال تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [إبراهيم: ٣٧].

قوله تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى﴾.

زعموا أن أم إسماعيل اختلطت بقوم جرهم!

الجواب من وجوه:

١ ـ أنَّ القصة وردت في شرع من قبلنا وقد تقدم بيان ذلك.

٢ ـ أنَّ إبراهيم وضع زوجته وابنه إسماعيل في مكة خاليين ليس عندهما أحد. وإنما قدم قوم جرهم عقب ذلك ونزلوا في ناحية الوادي بعيدين عن هاجر وابنها وكما هو العادة في عمارة القرى والمدن، فأين الاختلاط في هذا؟

٣ ـ أنَّ طلب جرهم من هاجر النزول مجاورين لها في الوادي ليس فيه أكثر من كلام ولقاء عابر ثم انصرافهم إلى ناحية الوادي بعد إذنها لرغبتها في زوال الوحشة.

٦ ـ قال تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى

لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [القصص: ٢٣ ـ ٢٥].

ومن العجب كذلك استدلال البعض بهذه الآية على جواز الاختلاط! والجواب عن استدلالهم بما يلي:

١ ـ أنَّ القصة وردت في شرع من قبلنا وقد تقدم بيان ذلك.

٢ ـ أنَّ سياق الآيات يدل على تحريم الاختلاط فالمرأتان الراعيتان كانتا في منأى من الرعاة ينتظرن فراغهم من سقي مواشيهم ليتسنى لهما السقيا عقب ذلك. قال الشوكاني في تفسيره (٤/١٦٨): ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ﴾ أي: إن عادتنا التأني حتى يصدر الناس عن الماء، وينصرفوا منه حذراً من مخالطتهم).

٣ ـ أنَّ خروجهما لرعي وسقي ماشيتهما كان لفقدان المعين القادر من الرجال ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ﴾.

٤ ـ أنَّ سؤال موسى لهما وجوابهما إياه كان بدافع الحمية والغيرة من قبل موسى عليه السلام فقد أنكرت نفسه الأبية وجود نساء في حضرة رجال ولذا قال مستفهماً مستنكراً: ﴿مَا خَطْبُكُمَا﴾؟ ولما فهمت المرأتان أنَّ سؤال موسى كان عن استنكار بينتا له باختصار غير مخل سبب خروجهما بالماشية وانتظارهما انصراف السُقاة من البئر!

٥ ـ لماذا لم يتطرق من قال بجواز الاختلاط إلى قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ ولِمَ لمْ تختلطا بالرجال؟!!

٧ ـ قصة بلقيس ملكة سبأ مع سليمان عليه السلام وما حصل من حوار معها.. ﴿قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾﴾ [النمل: ٤١].

١ ـ أنَّ القصة وردت في شرع من قبلنا وقد تقدم بيان ذلك.

٢ ـ ليس فيها ما يدل على جواز الاختلاط، وإنما هو لقاء عابر ينقضي بزوال الحاجة أو الضرورة.

٨ ـ قول الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾﴾ [آل عمران: ٣٥] فولدت مريم وتربت عند زكريا[١].

والجواب:

١ ـ أنَّ القصة وردت في شرع من قبلنا وقد تقدم بيان ذلك.

٢ ـ أن زكريا عليه السلام كفلها وهي رضيعة وربما أرضعتها زوجته فقد كان زكريا زوج خالتها.

٣ ـ أن مريم كانت تقطن المسجد بعدما كبرت فقد نذرتها أمها لذلك، ودخول زكريا عليها كان في المحراب، والمسجد موضع عبادة ويجوز فيه دخول الرجال والنساء مع التصون والحجاب.

٩ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ إِلَّا ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ ثِنْتَيْنِ مِنْهُنَّ فِي ذَاتِ اللهِ عز وجل قَوْلُهُ: إِنِّي سَقِيمٌ، وَقَوْلُهُ: بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا، وَقَالَ: بَيْنَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ وَسَارَةُ إِذْ أَتَى عَلَى جَبَّارٍ مِنْ الْجَبَابِرَةِ فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ هَا هُنَا رَجُلاً مَعَهُ امْرَأَةٌ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَسَأَلَهُ عَنْهَا فَقَالَ: مَنْ هَذِهِ، قَالَ: أُخْتِي فَأَتَى سَارَةَ قَالَ: يَا سَارَةُ لَيْسَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مُؤْمِنٌ غَيْرِي وَغَيْرَكِ وَإِنَّ هَذَا سَأَلَنِي فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّكِ أُخْتِي فَلَا تُكَذِّبِينِي، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ ذَهَبَ يَتَنَاوَلُهَا بِيَدِهِ فَأُخِذَ فَقَالَ: ادْعِي اللهَ لِي وَلَا أَضُرُّكِ فَدَعَتْ اللهَ فَأُطْلِقَ..»**[٢].

ما أغرب هذا الاستدلال وأعجبه! والجواب:

١ ـ أنَّ القصة وردت في شرع من قبلنا وقد تقدم بيان ذلك.

---

(١) قال الحافظ ابن حجر: (والظاهر أنه كان في شرعهم صحة النذر في أولادهم وكأن غرض البخاري الإشارة بإيراد هذا إلى أن تعظيم المسجد بالخدمة كان مشروعاً عند الأمم السالفة حتى أن بعضهم وقع منه نذر ولده لخدمته).

(٢) رواه البخاري ورقمه (٢٣٥٨) ومسلم (٢٣٧١).

٢ ـ إننا نتساءل فأمام تسلط جبار من الجبابرة، قد قهر الناس بالحديد والنار ماذا يُتوقع فيمن كانت هذه حالته؟! هل سيرفض إرسال زوجته بحجة عدم مشروعية الاختلاط وهو محاط بجنود السلطان من كل جانب؟!

وهل أرسل إبراهيم عليه السلام زوجته طائعاً مختاراً أم مكرهاً مقهوراً؟

١٠ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه (أنه سمع رسول الله ﷺ قال: « .. **قَالَ: كَانَتْ امْرَأَتَانِ مَعَهُمَا ابْنَاهُمَا جَاءَ الذِّئْبُ فَذَهَبَ بِابْنِ إِحْدَاهُمَا فَقَالَتْ صَاحِبَتُهَا: إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ وَقَالَتْ الْأُخْرَى: إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ فَتَحَاكَمَتَا إِلَى دَاوُدَ فَقَضَى بِهِ لِلْكُبْرَى فَخَرَجَتَا عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ فَأَخْبَرَتَاهُ فَقَالَ: ائْتُونِي بِالسِّكِّينِ أَشُقُّهُ بَيْنَهُمَا فَقَالَتْ الصُّغْرَى: لَا تَفْعَلْ يَرْحَمُكَ اللهُ هُوَ ابْنُهَا فَقَضَى بِهِ لِلصُّغْرَى**» قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَاللهِ إِنْ سَمِعْتُ بِالسِّكِّينِ إِلَّا يَوْمَئِذٍ وَمَا كُنَّا نَقُولُ إِلَّا الْمُدْيَةُ)[١].

الجواب:

١ ـ أنَّ القصة وردت في شرع من قبلنا وقد تقدم بيان ذلك.

٢ ـ بينا أن الجلوس عند القضاة لفصل الخصومات هو مما يباح ويشرع مع التصون التام.



---

(١) رواه البخاري (٣٤٢٧) ومسلم (١٧٢٠).



المبحث الثاني

مواقف حصلت قبل فرض الحجاب

استدل القائلون بجواز الاختلاط بمواقف حصلت قبل فرض الحجاب وهذا يُعد خارجاً عن محل النزاع ولا يصح الاستدلال به، فمن تلك المواقف:

١ ـ عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ.. إلى أن قالت: (فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ، وَكَانَ امْرَأً قَدْ تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنْ الْإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخاً كَبِيراً قَدْ عَمِيَ فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى.؟..)[1]:

الجواب:

١ ـ أن الحادثة وقعت قبل فرض الحجاب؛ فلا يسوغ الاستدلال بها.

٢ ـ أن الحادثة كانت في بداية البعثة وقبل نزول التشريعات، بل حتى قبل نزول القرآن الكريم نفسه؛ إذ غاية ما نزل آنذاك صدر سورة «اقرأ» و«المدثر».

٣ ـ لا شيء يمنع من دخول رجل مع امرأته على رجل أجنبي بغرض الاستشارة أو الاستفتاء وبلا خلوة أو ريبة؛ فهذا من اللقاء العابر وليس من الاختلاط المقصود في شيء.

---

(١) رواه البخاري (٤) ومسلم (١٦٠).

۞ ٢ ـ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: دَخَلَ رَهْطٌ مِنْ الْيَهُودِ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالُوا: «السَّامُ عَلَيْكُمْ. .»[1].

والجواب:

١ ـ أن الحادثة وقعت قبل فرض الحجاب؛ فلا يسوغ الاستدلال بها.

فمن المعلوم أن النبي ﷺ أجلى يهود بني النضير من المدينة في السنة الثالثة من الهجرة وفيهم نزلت سورة الحشر، وأما بنو قريظة فتم إجلاؤهم عقب الخندق مباشرة بعدما جرى منهم ما جرى من نقض العهد.

وأما فرض الحجاب فقد كان بعد الفراغ من الغزوة وتمام إجلاء اليهود، وبناء النبي ﷺ بزينب بنت جحش وصنعه الوليمة كما صح ذلك من حديث أنس وغيره.

٢ ـ ليس فيه دلالة على إباحة الاختلاط الذي نحن بصدده فهي زيارة عابرة لبيت النبي مع احتجاب أهله وتصونهم، بل وإنكارهم المنكر على هؤلاء اليهود اللئام.

۞ ٣ ـ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: (لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ الله ﷺ الْمَدِينَةَ وُعِكَ أَبُو بَكْرٍ وَبِلَالٌ قَالَتْ: فَدَخَلْتُ عَلَيْهِمَا)[2].

والجواب:

١ ـ أن الحادثة وقعت قبل فرض الحجاب؛ فلا يسوغ الاستدلال بها.

فقد كانت في أول مقدم النبي ﷺ للمدينة والحجاب قد تقدم مراراً أنّه تأخر إلى السنة الخامسة.

٢ ـ أنَّ عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا كانت صغيرة السن آنذاك في السادسة أو السابعة من عمرها.

---

(١) رواه البخاري (٦٠٢٤) ومسلم (٢١٦٥).

(٢) رواه البخاري (٣٩٢٦).

٤ ـ عَنْ عَمْرِو بْنِ سَلَمَةَ قَالَ: قال ﷺ: («**إِذَا حَضَرَتْ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ أَحَدُكُمْ وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْثَرُكُمْ قُرْآناً**» فَنَظَرُوا فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَكْثَرَ قُرْآناً مِنِّي لِمَا كُنْتُ أَتَلَقَّى مِنْ الرُّكْبَانِ فَقَدَّمُونِي بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَأَنَا ابْنُ سِتٍّ أَوْ سَبْعِ سِنِينَ وَكَانَتْ عَلَيَّ بُرْدَةٌ كُنْتُ إِذَا سَجَدْتُ تَقَلَّصَتْ عَنِّي، فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْ الْحَيِّ: أَلَا تُغَطُّوا عَنَّا اسْتَ قَارِئِكُمْ فَاشْتَرَوْا فَقَطَعُوا لِي قَمِيصاً فَمَا فَرِحْتُ بِشَيْءٍ فَرَحِي بِذَلِكَ الْقَمِيصِ)[١].

والجواب:

١ ـ أن الحادثة وقعت قبل فرض الحجاب؛ فلا يسوغ الاستدلال بها.

٢ ـ أن عمرو بن سلمة كان طفلاً فعمره ست أو سبع سنين وليس عنه حجاب.

٣ ـ أن هذا في بداية إسلامهم ولا يستغرب أن يحدث من رجل أو امرأة لم يتعلما من أحكام الإسلام إلا القليل بل إن صغيرهم أصبح أعلمهم بكتاب الله تعالى.

٤ ـ أنَّ هذا كان في الصلاة، ولا مانع من شهود النساء للجماعة فهو خارج محل النزاع.

*** خروج النساء للجهاد الغالب فيه حصوله قبل الحجاب فمن ذلك[٢]:**

أ ـ في غزوة أحد:

٥ ـ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ انْهَزَمَ النَّاسُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**وَلَقَدْ رَأَيْتُ عَائِشَةَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ وَأُمَّ سُلَيْمٍ وَإِنَّهُمَا لَمُشَمِّرَتَانِ أَرَى خَدَمَ سُوقِهِمَا تَنْقُزَانِ الْقِرَبَ ـ وَقَالَ غَيْرُهُ: تَنْقُلَانِ الْقِرَبَ ـ عَلَى مُتُونِهِمَا ثُمَّ تُفْرِغَانِهِ فِي أَفْوَاهِ الْقَوْمِ ثُمَّ تَرْجِعَانِ فَتَمْلَآنِهَا ثُمَّ تَجِيئَانِ فَتُفْرِغَانِهَا فِي أَفْوَاهِ الْقَوْمِ**»[٣].

---

(١) رواه البخاري ورقمه (٣٩٦٣).

(٢) سيأتي أيضاً مزيد إيضاح لهذه المسألة ص٢٣٠.

(٣) رواه البخاري (٢٨٨٠) ومسلم (١٨١١).

٦ ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت: (لما كان يوم أحد هزم المشركون فصرخ إبليس لعنة الله عليه: أي عباد الله أخراكم، فرجعت أولاهم فاجتلدت هي وأخراهم، فبصر حذيفة فإذا هو بأبيه اليمان فقال: أي عباد الله أبي أبي قال: قالت: فوالله ما احتجزوا حتى قتلوه..)[1].

ب ـ في غزوة الأحزاب:

٧ ـ عن عَائِشَة قَالَتْ: خَرَجْتُ يَوْمَ الْخَنْدَقِ أَقْفُو آثَارَ النَّاسِ، قَالَتْ: فَسَمِعْتُ وَئِيدَ الْأَرْضِ وَرَائِي ـ يَعْنِي حِسَّ الْأَرْضِ ـ قَالَتْ: فَالْتَفَتُّ فَإِذَا أَنَا بِسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ وَمَعَهُ ابْنُ أَخِيهِ الْحَارِثُ بْنُ أَوْسٍ يَحْمِلُ مِجَنَّهُ قَالَتْ: فَجَلَسْتُ إِلَى الْأَرْضِ..)[2].

الجواب عن استدلال بعض العلماء بما حصل في أحد والخندق من خروج النساء ومشاركتهن من وجوه:

١ ـ الوجه الأول:

أنَّ خروجهن كان برفقة محارمهن فعائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ وابنة الصديق وكلاهما شهد المعركة فانتفت الريبة وأم سليم كانت برفقة زوجها أبو سليم وابنها أنس.

٢ ـ الوجه الثاني:

أنَّ خروج بعض الصحابيات للقتال يوم أحد والخندق كان للضرورة، ولزوم النفير العام فدولة الإسلام كانت في بداية تكوينها ونشأتها، وعدد المقاتلين في الجيش المسلم كان ضئيلاً بالقياس إلى العدو، فقد كان المسلمون في أحد قرابة الألف بينما عدد عدوهم يصل ثلاثة أضعافهم، وأما في الخندق فقد أحاط بالمدينة أكثر من عشرة آلاف مقاتل من شتى قبائل العرب بتواطؤ يهودي غادر.

---

(١) رواه البخاري (٣٨٢٤).

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده (٦/ ١٤١).

٣ ـ الوجه الثالث:

أنَّ طبيعة المعركة هي الكر والفرّ، والطعن والضرب، والقتل والأسر فلا معنى لانشغال الرجال بالنساء تغزلاً وتأملاً، ولا مجال للنساء أن ينشغلن بإغواء الرجال تغنجاً وتدللاً فالأمر مهول والخطب جلل.

٤ ـ الوجه الرابع:

أنَّ الأمر استقر في آخر المطاف بإعفاء النساء من الجهاد والقتال وقصره على الرجال، ففي الحديث الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت: نرى الجهاد أفضل العمل، أفلا نجاهد؟ قال: «لا، لكن أفضل الجهاد حج مبرور»[١]..

٥ ـ الوجه الخامس:

أن عمر رضي الله عنه أنكر صنيع عائشة وقدومها فقد قال لها: (ما جاء بك لعمري والله إنك لجريئة وما يؤمنك أن يكون بلاء أو يكون تحوز، قالت: فما زال يلومني حتى تمنيت أن الأرض انشقت لي ساعتئذ).

٨ ـ عَنْ عُبَيْدِ بْنِ حُنَيْنٍ أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما يُحَدِّثُ (أَنَّهُ قَالَ: .. قُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ اللَّتَانِ تَظَاهَرَتَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ مِنْ أَزْوَاجِهِ فَقَالَ: تِلْكَ حَفْصَةُ وَعَائِشَةُ..) إلى أن قال عمر رضي الله عنه: (... ثُمَّ خَرَجْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ لِقَرَابَتِي مِنْهَا فَكَلَّمْتُهَا..)[٢].

والجواب:

١ ـ أن الحادثة وقعت قبل فرض الحجاب؛ فلا يسوغ الاستدلال بها.

فقد جاء في رواية مسلم عن عَبْد اللهِ بْن عَبَّاسٍ حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ: لَمَّا اعْتَزَلَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ نِسَاءَهُ قَالَ: «دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا النَّاسُ يَنْكُتُونَ بِالْحَصَى وَيَقُولُونَ طَلَّقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ نِسَاءَهُ وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُؤْمَرْنَ بِالْحِجَابِ..»[٣].

---

(١) رواه البخاري ورقمه (١٥٢٠).

(٢) رواه البخاري (٤٩١٣) ومسلم (١٤٧٩).

(٣) رواه مسلم ورقمه (١٤٧٩).

۞ ٩ ـ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: بَيْنَا النَّاسُ بِقُبَاءٍ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ إِذْ جَاءَهُمْ آتٍ فَقَالَ: (إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَدْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ اللَّيْلَةَ قُرْآنٌ وَقَدْ أُمِرَ أَنْ يَسْتَقْبِلَ الْكَعْبَةَ فَاسْتَقْبِلُوهَا وَكَانَتْ وُجُوهُهُمْ إِلَى الشَّأْمِ فَاسْتَدَارُوا إِلَى الْكَعْبَةِ)(١).

والجواب:

١ ـ أن الحادثة وقعت قبل فرض الحجاب؛ فلا يسوغ الاستدلال بها.

٢ ـ أن تحويل القبلة إلى المسجد الحرام حدث لا يتكرر.

٣ ـ أنه وردت تشريعات في المباعدة بين الرجال والنساء.

۞ ١٠ ـ عن خَارِجَة بْن زَيْدٍ الْأَنْصَارِيِّ (أَنَّ أُمَّ الْعَلَاءِ امْرَأَةً مِنْ نِسَائِهِمْ قَدْ بَايَعَتْ النَّبِيَّ ﷺ أَخْبَرَتْهُ أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ مَظْعُونٍ طَارَ لَهُ سَهْمُهُ فِي السُّكْنَى حِينَ أَقْرَعَتْ الْأَنْصَارُ سُكْنَى الْمُهَاجِرِينَ قَالَتْ أُمُّ الْعَلَاءِ: فَسَكَنَ عِنْدَنَا عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ فَاشْتَكَى فَمَرَّضْنَاهُ حَتَّى إِذَا تُوُفِّيَ وَجَعَلْنَاهُ فِي ثِيَابِهِ دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ الله ﷺ فَقُلْتُ: رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْكَ أَبَا السَّائِبِ فَشَهَادَتِي عَلَيْكَ لَقَدْ أَكْرَمَكَ اللهُ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: **«وَمَا يُدْرِيكِ أَنَّ اللهَ أَكْرَمَهُ»** فَقُلْتُ: لَا أَدْرِي بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«أَمَّا عُثْمَانُ فَقَدْ جَاءَهُ وَاللهِ الْيَقِينُ وَإِنِّي لَأَرْجُو لَهُ الْخَيْرَ وَاللهِ مَا أَدْرِي وَأَنَا رَسُولُ اللهِ مَا يُفْعَلُ بِهِ»** قَالَتْ: فَوَاللهِ لَا أُزَكِّي أَحَداً بَعْدَهُ أَبَداً وَأَحْزَنَنِي ذَلِكَ، قَالَتْ: فَنِمْتُ فَأُرِيتُ لِعُثْمَانَ عَيْناً تَجْرِي فَجِئْتُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: **«ذَاكِ عَمَلُهُ»**)(٢).

۞ ١١ ـ عَنْ عَوْنِ بْنِ أَبِي جُحَيْفَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: (آخَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ سَلْمَانَ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَذِّلَةً فَقَالَ لَهَا: مَا شَأْنُكِ؟ قَالَتْ: أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا..)(٣).

---

(١) رواه البخاري ورقمه (٤٠٣).
(٢) رواه البخاري (٢٦٨٧).
(٣) رواه البخاري (١٩٦٨).

والجواب:

١ ـ أن الحادثتين وقعتا قبل فرض الحجاب؛ فلا يسوغ الاستدلال بهما فسياقهما واضح الدلالة أنه كان في بداية مقدم المهاجرين إلى المدينة، وأما الحجاب فقد تأخر إلى السنة الخامسة كما تقدم مراراً.

٢ ـ أن سكنى المهاجرين في بيوت الأنصار كان للضرورة حيث قدم المهاجرون المدينة مخلفين أموالهم وأملاكهم خلف ظهورهم في البلد الحرام، ولم تكن هناك خلوة أو ريبة بل كان التصون التام والعفاف المطبق.

٣ ـ إنَّ من أهم دوافع المؤاخاة التي سنّها رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار هو سدّ حاجة فقراء المهاجرين إلى المأوى والمسكن والطعام والشراب. قال الله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحشر: ٨].

١٢ ـ عن أَبي سَلَمَةَ وَيَحْيَى قَالَا: (لَمَّا هَلَكَتْ خَدِيجَةُ جَاءَتْ خَوْلَةُ بِنْتُ حَكِيمٍ امْرَأَةُ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ أَلَا تَزَوَّجُ؟ قَالَ: «مَنْ؟» قَالَتْ: إِنْ شِئْتَ بِكْراً وَإِنْ شِئْتَ ثَيِّباً، قَالَ: «فَمَنْ الْبِكْرُ؟» قَالَتْ: ابْنَةُ أَحَبِّ خَلْقِ اللهِ ﷿ إِلَيْكَ عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ، قَالَ: «وَمَنْ الثَّيِّبُ؟» قَالَتْ: سَوْدَةُ ابْنَةُ زَمْعَةَ قَدْ آمَنَتْ بِكَ وَاتَّبَعَتْكَ عَلَى مَا تَقُولُ..)[1].

والجواب:

١ ـ أن الحادثة وقعت قبل فرض الحجاب؛ فلا يسوغ الاستدلال بها.

إذ إن زواج النبي ﷺ من عائشة كان في السنة الأولى من مقدمه المدينة وبعضهم قال في الثانية، وعلى كل حال فهو قبل الحجاب الذي تأخر فرضه حتى السنة الخامسة فتأمل.

٢ ـ إنه لقاء عابر محدود لا تزول به الكلفة وتلتزم فيه المرأة بالضوابط

(١) رواه أحمد (٦/ ٢١٠) ورقمه (٢٥٢٤١).

الشرعية في التعامل مع الرجال الأجانب، مع البعد عن الريبة والاختلاط المستديم.

١٣ ـ عن الْبَرَاءَ بْنِ عَازِبٍ قال: (جَاءَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ إِلَى أَبِي فِي مَنْزِلِهِ فَاشْتَرَى مِنْهُ رَحْلاً فَقَالَ لِعَازِبٍ: ابْعَثْ مَعِيَ ابْنَكَ يَحْمِلْهُ مَعِي إِلَى مَنْزِلِي، فَقَالَ لِي أَبِي: احْمِلْهُ، فَحَمَلْتُهُ وَخَرَجَ أَبِي مَعَهُ يَنْتَقِدُ ثَمَنَهُ، فَقَالَ لَهُ أَبِي: يَا أَبَا بَكْرٍ حَدِّثْنِي كَيْفَ صَنَعْتُمَا لَيْلَةَ سَرَيْتَ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ..) إلى أن قال: (فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ لَيْلاً فَتَنَازَعُوا أَيُّهُمْ يَنْزِلُ عَلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ فَقَالَ: **«أَنْزِلُ عَلَى بَنِي النَّجَّارِ أَخْوَالِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أُكْرِمُهُمْ بِذَلِكَ»** فَصَعِدَ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ فَوْقَ الْبُيُوتِ وَتَفَرَّقَ الْغِلْمَانُ وَالْخَدَمُ فِي الطُّرُقِ يُنَادُونَ: يَا مُحَمَّدُ يَا رَسُولَ اللهِ يَا مُحَمَّدُ يَا رَسُولَ اللهِ)[(١)].

الجواب:

١ ـ أن الحادثة وقعت قبل فرض الحجاب؛ فلا يسوغ الاستدلال بها. فالسياق واضح بأنه في أول مقدم النبي ﷺ المدينة.

٢ ـ ظاهر الحديث ليس فيه دلالة على جواز الاختلاط فكون الراوي يقول: (فصعد الرجال والنساء فوق البيوت).. يعني كل إنسان صعد فوق بيته ليرى ويشاهد رسول الله ﷺ فأين الاختلاط؟!!

٣ ـ لقد سبق أن بينّا مفهوم الاختلاط وحدَّه، فلا يدخل فيه الاختلاط العابر في الأزقة والشوارع.

٤ ـ أنَّ هذه الحوادث كانت في بداية الهجرة النبوية الشريفة، وقبل بدء نزول التشريعات والأحكام، ولذا كان أهل المدينة يتصرفون بعفوية وارتجال، ولم يكن رسول الله ﷺ ليلومهم.

١٤ ـ عن الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ رضي الله عنهما قَالَ: (أَوَّلُ مَنْ قَدِمَ عَلَيْنَا مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ وَكَانَا يُقْرِئَانِ النَّاسَ فَقَدِمَ بِلَالٌ وَسَعْدٌ وَعَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ ثُمَّ

---

(١) رواه مسلم (٢٠٠٩).

قَدِمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي عِشْرِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ فَمَا رَأَيْتُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ فَرِحُوا بِشَيْءٍ فَرَحَهُمْ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى جَعَلَ الْإِمَاءُ يَقُلْنَ قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَمَا قَدِمَ حَتَّى قَرَأْتُ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى فِي سُوَرٍ مِنَ الْمُفَصَّلِ)[١].

وفي رواية للبخاري: (فَمَا رَأَيْتُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ فَرِحُوا بِشَيْءٍ فَرَحَهُمْ بِهِ حَتَّى رَأَيْتُ الْوَلَائِدَ وَالصِّبْيَانَ يَقُولُونَ: هَذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ. .)[٢].

والجواب:

١ ـ يجاب بنحو جوابنا عن الحديث السابق.

٢ ـ أن الذي فعل ذلك الصبيان والولائد، وهن الإماء، وأحكام الإماء تختلف عن أحكام الحرائر كما هو معلوم.

١٥ ـ عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما قَالَ: (لَمَّا حُفِرَ الْخَنْدَقُ رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّ ﷺ خَمَصاً شَدِيداً فَانْكَفَأْتُ إِلَى امْرَأَتِي فَقُلْتُ: هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ فَإِنِّي رَأَيْتُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ خَمَصاً شَدِيداً فَأَخْرَجَتْ إِلَيَّ جِرَاباً فِيهِ صَاعٌ مِنْ شَعِيرٍ وَلَنَا بُهَيْمَةٌ دَاجِنٌ فَذَبَحْتُهَا وَطَحَنَتْ الشَّعِيرَ فَفَرَغَتْ إِلَى فَرَاغِي وَقَطَّعْتُهَا فِي بُرْمَتِهَا ثُمَّ وَلَّيْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَتْ: لَا تَفْضَحْنِي بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَبِمَنْ مَعَهُ فَجِئْتُهُ فَسَارَرْتُهُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ ذَبَحْنَا بُهَيْمَةً لَنَا وَطَحَنَّا صَاعاً مِنْ شَعِيرٍ كَانَ عِنْدَنَا فَتَعَالَ أَنْتَ وَنَفَرٌ، مَعَكَ فَصَاحَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: **«يَا أَهْلَ الْخَنْدَقِ إِنَّ جَابِراً قَدْ صَنَعَ سُوراً فَحَيَّ هَلاً بِهَلّكُمْ»** فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«لَا تُنْزِلُنَّ بُرْمَتَكُمْ وَلَا تَخْبِزُنَّ عَجِينَكُمْ حَتَّى أَجِيءَ»** فَجِئْتُ وَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْدُمُ النَّاسَ حَتَّى جِئْتُ امْرَأَتِي فَقَالَتْ: بِكَ وَبِكَ، فَقُلْتُ: قَدْ فَعَلْتُ الَّذِي قُلْتِ فَأَخْرَجَتْ لَهُ عَجِيناً فَبَصَقَ فِيهِ وَبَارَكَ ثُمَّ عَمَدَ إِلَى بُرْمَتِنَا فَبَصَقَ وَبَارَكَ، ثُمَّ قَالَ: ادْعُ خَابِزَةً فَلْتَخْبِزْ مَعِي وَاقْدَحِي مِنْ بُرْمَتِكُمْ وَلَا تُنْزِلُوهَا وَهُمْ

---

(١) رواه البخاري (٣٩٢٥). (٢) رواه البخاري (٤٩٤١).

أَلْفٌ، فَأُقْسِمُ بِاللهِ لَقَدْ أَكَلُوا حَتَّى تَرَكُوهُ وَانْحَرَفُوا وَإِنَّ بُرْمَتَنَا لَتَغِطُّ كَمَا هِيَ وَإِنَّ عَجِينَنَا لَيُخْبَزُ كَمَا هُوَ)[١].

والجواب:

١ ـ أن الحادثة وقعت قبل فرض الحجاب؛ فلا يسوغ الاستدلال بها.

٢ ـ الحديث ليس فيه ما يدل على إباحة الاختلاط، وأين في الحديث أن الرجال قد جاؤوا بزوجاتهم فصار يدخل كل عشرة مع زوجاتهم ويأكلون سوياً، أو أن الألف الذين أكلوا كانوا رجالاً ونساءً قد جلسوا مختلطين يأكلون سوياً؟! فليس في الحديث شيء من هذه المعاني علماً بأن الذين جاؤوا مع النبي ﷺ هم أهل الخندق المرابطون مع رسول الله ﷺ كما ثبت ذلك في الصحاح، وأما النساء والذرية فكانوا في البيوت قد حصنهم النبي ﷺ وجعل عليهم حرساً.

فليس في الحديث إلا كلام النبي ﷺ يخاطب امرأة جابر بكلمات يسيرة، وكلام الرجل مع المرأة الأجنبية للحاجة الشرعية جائز بالإجماع وبقدر الحاجة، فكيف حين يكون هذا الرجل هو سيد الخلق وأفضل الرسل وإمام المتقين وبحضرة محرمها؟!!

وكيف إذا كانت هذه الحاجة هي إظهاراً لمعجزة كبرى تملأ البطون الخاوية وتقوي الأجساد البالية وتثبت القلوب الخائفة؟!![٢].

۞ ١٦ ـ عن أَنَس بْن مَالِكٍ قال: (قَالَ أَبُو طَلْحَةَ لِأُمِّ سُلَيْم لَقَدْ سَمِعْتُ صَوْتَ رَسُولِ الله ﷺ ضَعِيفاً أَعْرِفُ فِيهِ الْجُوعَ فَهَلْ عِنْدَكِ مِنْ شَيْءٍ، قَالَتْ: نَعَمْ، فَأَخْرَجَتْ أَقْرَاصاً مِنْ شَعِيرٍ ثُمَّ أَخْرَجَتْ خِمَاراً لَهَا فَلَفَّتْ الْخُبْزَ بِبَعْضِهِ ثُمَّ دَسَّتْهُ تَحْتَ يَدِي وَلَاثَتْنِي بِبَعْضِهِ، ثُمَّ أَرْسَلَتْنِي إِلَى رَسُولِ الله ﷺ قَالَ: فَذَهَبْتُ بِهِ فَوَجَدْتُ رَسُولَ الله ﷺ فِي الْمَسْجِدِ وَمَعَهُ النَّاسُ فَقُمْتُ عَلَيْهِمْ،

---

(١) رواه البخاري (٤١٠٢) ومسلم (٢٠٣٩).

(٢) الدعوة إلى إباحة الاختلاط.. ص١٢٤. بتصرف.

فَقَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ: «**آرْسَلَكَ أَبُو طَلْحَةَ؟**» فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «**بِطَعَامٍ**» فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ لِمَنْ مَعَهُ: «**قُومُوا**» فَانْطَلَقَ وَانْطَلَقْتُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ حَتَّى جِئْتُ أَبَا طَلْحَةَ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: يَا أُمَّ سُلَيْمٍ قَدْ جَاءَ رَسُولُ الله ﷺ بِالنَّاسِ وَلَيْسَ عِنْدَنَا مَا نُطْعِمُهُمْ، فَقَالَتْ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَانْطَلَقَ أَبُو طَلْحَةَ حَتَّى لَقِيَ رَسُولَ الله ﷺ فَأَقْبَلَ رَسُولُ الله ﷺ وَأَبُو طَلْحَةَ مَعَهُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**هَلُمِّي يَا أُمَّ سُلَيْمٍ مَا عِنْدَكِ**» فَأَتَتْ بِذَلِكَ الْخُبْزِ فَأَمَرَ بِهِ رَسُولُ الله ﷺ فَفُتَّ وَعَصَرَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ عُكَّةً فَأَدَمَتْهُ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ فِيهِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُولَ ثُمَّ قَالَ: «**ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ**» فَأَذِنَ لَهُمْ فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ثُمَّ خَرَجُوا.. فَأَكَلَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ وَشَبِعُوا وَالْقَوْمُ سَبْعُونَ أَوْ ثَمَانُونَ رَجُلاً)(١).

والجواب:

ينظر الجواب السابق عن حديث جابر رضي الله عنه.

١٧ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: (أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ الله ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَصَابَنِي الْجَهْدُ فَأَرْسَلَ إِلَى نِسَائِهِ فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُنَّ شَيْئاً فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَلَا رَجُلٌ يُضَيِّفُهُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ يَرْحَمُهُ اللهُ**» فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ، فَذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ: ضَيْفُ رَسُولِ الله ﷺ لَا تَدَّخِرِيهِ شَيْئاً، قَالَتْ: وَاللهِ مَا عِنْدِي إِلَّا قُوتُ الصِّبْيَةِ، قَالَ: «**فَإِذَا أَرَادَ الصِّبْيَةُ الْعَشَاءَ فَنَوِّمِيهِمْ وَتَعَالَيْ فَأَطْفِئِي السِّرَاجَ وَنَطْوِي بُطُونَنَا اللَّيْلَةَ**» فَفَعَلَتْ، ثُمَّ غَدَا الرَّجُلُ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: لَقَدْ عَجِبَ اللهُ عز وجل ـ أَوْ ضَحِكَ ـ مِنْ فُلَانٍ وَفُلَانَةَ فَأَنْزَلَ اللهُ عز وجل: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩])(٢).

---

(١) رواه البخاري (٣٥٧٨) ومسلم (٢٠٤٠).

(٢) رواه البخاري ورقمه (٤٨٨٩).

والجواب:

١ ـ أن الحادثة وقعت قبل فرض الحجاب؛ فلا يسوغ الاستدلال بها.

وبيانه: أن هذه القصة كانت سبباً لنزول قوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ وهي آية من سورة الحشر، وسورة الحشر نزلت كلها في إثر جلاء بني النضير، ولذلك كان يسميها عبد الله بن عباس: سورة بني النضير، كما أخرج ذلك البخاري في صحيحه (عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: سُورَةُ التَّوْبَةِ، قَالَ: التَّوْبَةُ هِيَ الْفَاضِحَةُ مَا زَالَتْ تَنْزِلُ وَمِنْهُمْ وَمِنْهُمْ حَتَّى ظَنُّوا أَنَّهَا لَنْ تُبْقِيَ أَحَداً مِنْهُمْ إِلَّا ذُكِرَ فِيهَا، قَالَ: قُلْتُ: سُورَةُ الْأَنْفَالِ، قَالَ: نَزَلَتْ فِي بَدْرٍ، قَالَ: قُلْتُ: سُورَةُ الْحَشْرِ، قَالَ: نَزَلَتْ فِي بَنِي النَّضِيرِ)[١]، وعندما سأل سعيد ـ بن جبير ـ ابن عباس قائلاً سورة الحشر؟ فقال ابن عباس رضي الله عنهما: قل: سورة بني النضير.

وقد أجلى النبي ﷺ بني النضير على أكثر الأقوال في سنة أربع، وباتفاق أهل العلم أن الأحزاب كانت بعد بني النضير، فهذا يعني أن الآية الكريمة نزلت قبل الحجاب بالإجماع، وأن القصة التي نزلت الآية بشأنها وجاءت متقدمة على نزول الآية كانت قبل سورة الأحزاب المتضمنة لآيات الحجاب، فيكون أمر هذه القصة كله قبل نزول أحكام الحجاب.

١٨ ـ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّهُ قَالَ: (كَانَ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ يَتَوَضَّئُونَ فِي زَمَانِ رَسُولِ الله ﷺ جَمِيعاً)[٢].

والجواب:

١ ـ أن الحادثة وقعت قبل فرض الحجاب؛ فلا يسوغ الاستدلال بها.

قال ابن حجر[٣]: (الأولى أن يقال: لا مانع من الاجتماع قبل نزول الحجاب، وأما بعده فيختص بالزوجات والمحارم). وذكر ابن الجوزي في

---

(١) رواه البخاري ورقمه (٤٨٨٢). (٢) رواه البخاري (١٩٣).

(٣) فتح الباري (١/ ٣٠٠)، عون المعبود (١/ ٩٩)، شرح الزبيدي (١/ ١٤٥).

تاريخ عمر ص١١٣ عن أبي سلامة: انتهيت إلى عمر وهو يضرب رجالاً ونساءً في الحرم على حوض يتوضئون منه حتى فرق بينهم، ثم قال: يا فلان. قلت: لبيك، قال: لا لبيك ولا سعديك!! ألم آمرك أن تتخذ حياضاً للرجال وحياضاً للنساء؟.

٢ ـ أنَّ مكان الوضوء كان قريباً للمسجد، وليس في وسع النساء أن يصلين بلا وضوء فكان كل من قدم إلى المسجد من رجل أو امرأة بادر الماء للوضوء ثم دخل المسجد فهذا فحوى مراد ابن عمر وليس معناه: اختلاط مقصود منظم.

۞ **١٩ ـ** عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ ﵄ قَالَتْ: (..لَقِيتُ رَسُولَ الله ﷺ وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَدَعَانِي ثُمَّ قَالَ: **«إِخْ إِخْ»** لِيَحْمِلَنِي خَلْفَهُ فَاسْتَحْيَيْتُ أَنْ أَسِيرَ مَعَ الرِّجَالِ وَذَكَرْتُ الزُّبَيْرَ وَغَيْرَتَهُ وَكَانَ أَغْيَرَ النَّاسِ فَعَرَفَ رَسُولُ الله ﷺ أَنِّي قَدْ اسْتَحْيَيْتُ فَمَضَى فَجِئْتُ الزُّبَيْرَ فَقُلْتُ: لَقِيَنِي رَسُولُ الله ﷺ وَعَلَى رَأْسِي النَّوَى وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَأَنَاخَ لِأَرْكَبَ فَاسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ وَعَرَفْتُ غَيْرَتَكَ، فَقَالَ: **«وَاللهِ لَحَمْلُكِ النَّوَى كَانَ أَشَدَّ عَلَيَّ مِنْ رُكُوبِكِ مَعَهُ»** قَالَتْ: حَتَّى أَرْسَلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَ ذَلِكَ بِخَادِمٍ تَكْفِينِي سِيَاسَةَ الْفَرَسِ فَكَأَنَّمَا أَعْتَقَنِي)[١].

والجواب:

١ ـ أن الحادثة وقعت قبل فرض الحجاب؛ فلا يسوغ الاستدلال بها.

والدليل على ذلك رواية البخاري وفيها: (أَقْطَعَ الزُّبَيْرَ أَرْضاً مِنْ أَمْوَالِ بَنِي النَّضِيرِ)[٢] وقصتهم قبل نزول الحجاب كما تقدم.

قال الحافظ[٣]: (قوله وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التي أقطعه رسول الله ﷺ تقدم في كتاب فرض الخمس بيان حال الأرض المذكورة وإنها كانت مما أفاء الله على رسوله من أموال بني النضير وكان ذلك في أوائل

(١) رواه البخاري (٥٢٢٤) ومسلم (٢١٨٢).
(٢) رواه البخاري (٣١٥١).
(٣) فتح الباري (٩/٣٢٣).

قدومه المدينة كما تقدم بيان ذلك هناك) وقد بين عروة بن الزبير متى وقعت معركة بني النضير فقال: كانت على رأس ستة أشهر من وقعة بدر قبل وقعة أحد[١] مما يعني أن هذا الموقف الذي حصل من أسماء مع رسول الله ﷺ كان قبل فرض الحجاب.

٢ ـ إنَّ أسماء رضي الله عنها كانت خارجة لضرورة العمل وكسب الرزق في أرض زوجها ومصادفة رسول الله ﷺ لها مع أصحابه كان في قارعة الطريق وليس في مصنع أو مدرسة أو مكتب فتأمل.

٣ ـ يمكن حمل الحديث على خصوصية ذلك برسول الله ﷺ:

قال النووي رحمه الله: (قال القاضي عياض: هذا خاص للنبي ﷺ بخلاف غيره فقد أمرنا بالمباعدة من أنفاس الرجال والنساء، وكانت عادته ﷺ مباعدتهن ليقتدي به أمته قال: وإنما كانت هذه خصوصية له لكونها بنت أبى بكر وأخت عائشة وامرأة الزبير فكانت كإحدى أهله ونسائه مع ما خص به ﷺ أنه أملك لإربه)[٢].

٤ ـ كما يمكن حمله على الضرورة، لأنها كانت تسير على بعد ثلث فرسخ ولا شك أنها مسافة بعيدة فيها مشقة كبيرة على المرأة، قال النووي: (وفيه جواز إرداف المرأة التي ليست محرماً إذا وجدت في طريق قد أعيت لا سيما مع جماعة رجال صالحين)[٣].

٥ ـ قول أسماء رضي الله عنها: (فاستحييت أن أسير مع الرجال) فهل يدل هذا على وجود الاختلاط أم عدمه؟!!

ولو كانت امرأة برزة لما استحيت من السير مع الرجال وهذا يدل دلالة واضحة على أنه ليس ثمت اختلاط في مجتمع المدينة الطاهر.

٢٠ ـ عَنْ سَهْلٍ قَالَ: (لَمَّا عَرَّسَ أَبُو أُسَيْدٍ السَّاعِدِيُّ دَعَا النَّبِيَّ ﷺ وَأَصْحَابَهُ فَمَا صَنَعَ لَهُمْ طَعَاماً وَلَا قَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ إِلَّا امْرَأَتُهُ أُمُّ أُسَيْدٍ، بَلَّتْ تَمَرَاتٍ

---

(١) المرجع السابق (٧/ ٣٣٠).

(٢) شرح صحيح مسلم (١٤/ ١٦٦).

(٣) المرجع السابق (١٤/ ١٦٦).

فِي تَوْرٍ مِنْ حِجَارَةٍ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا فَرَغَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الطَّعَامِ أَمَاثَتْهُ لَهُ فَسَقَتْهُ تُتْحِفُهُ بِذَلِكَ)[١].

والجواب:

١ ـ أن الحادثة وقعت قبل فرض الحجاب؛ فلا يسوغ الاستدلال بها.

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: (هذا محمول على أنه كان قبل الحجاب)[٢].

ويؤكد هذا ما روي في الاستيعاب والعبر أن أبا أسيد قد خطب على خطبة النبي ﷺ عند زواجه من زينب بنت خزيمة، وكان ذلك في السنة الثالثة من الهجرة[٣].



(١) رواه البخاري (٥١٨٢).
(٢) في شرحه على صحيح مسلم (١٣/ ١٧٧).
(٣) انظر: الاستيعاب (١/ ٥٠٨) أسد الغابة (١/ ١١٣٨).



المبحث الثالث

مواقف حصلت من وراء حجاب

النصوص الشرعية قاطعة في حرمة الدخول على النساء الأجنبيات ومنها:

١ - قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب:٥٣].

قال ابن جرير في تفسيره[١]: (أي: من وراء ستر بينكم وبينهن ولا تدخلوا عليهن بيوتهن).

وقال ابن كثير في تفسيره[٢]: (أي: وكما نهيتكم عن الدخول عليهن كذلك لا تنظروا إليهن بالكلية ولو كان لأحدكم حاجة يريد تناولها منهن فلا ينظر إليهن ولا يسألهن حاجة إلا من وراء حجاب).

٢ - عن عروة بن الزبير، عن عائشة؛ أنها أخبرته؛ أنَّ أفلح، أخا أبي القُعَيْس، جاء يستأذن عليها. وهو عمها من الرضاعة. بعد أن أنزل الحجاب. قالت: فأبيت أن آذن له. فلما جاء رسول الله ﷺ أخبرته بالذي صنعت. فأمرني أن آذن له علي[٣].

فعائشة أبت عليه الدخول لأنه متقرر عندها أن هذا لا يجوز.

٣ - عن عَوْف بْنِ مَالِكِ بْنِ الطُّفَيْلِ هُوَ ابْنُ الْحَارِثِ وَهُوَ ابْنُ أَخِي عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ لِأُمِّهَا (أَنَّ عَائِشَةَ حُدِّثَتْ أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ الزُّبَيْرِ قَالَ فِي بَيْعٍ أَوْ عَطَاءٍ أَعْطَتْهُ عَائِشَةُ: وَاللهِ لَتَنْتَهِيَنَّ عَائِشَةُ أَوْ لَأَحْجُرَنَّ عَلَيْهَا، فَقَالَتْ: أَهُوَ

---

(١) جامع البيان (١٩/١٦٦).
(٢) تفسير ابن كثير (٣/٥٠٦).
(٣) رواه مسلم (١٤٤٥).

قَالَ هَذَا؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَتْ: هُوَ للهِ عَلَيَّ نَذْرٌ أَنْ لَا أُكَلِّمَ ابْنَ الزُّبَيْرِ أَبداً، فَاسْتَشْفَعَ ابْنُ الزُّبَيْرِ إِلَيْهَا حِينَ طَالَتْ الْهِجْرَةُ، فَقَالَتْ: لَا وَاللهِ لَا أُشَفِّعُ فِيهِ أَبداً وَلَا أَتَحَنَّثُ إِلَى نَذْرِي، فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ كَلَّمَ الْمِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ وَعَبْدَ الرَّحْمنِ بْنَ الْأَسْوَدِ بْنِ عَبْدِ يَغُوثَ وَهُمَا مِنْ بَنِي زُهْرَةَ، وَقَالَ لَهُمَا: أَنْشُدُكُمَا بِاللهِ لَمَّا أَدْخَلْتُمَانِي عَلَى عَائِشَةَ فَإِنَّهَا لَا يَحِلُّ لَهَا أَنْ تَنْذِرَ قَطِيعَتِي فَأَقْبَلَ بِهِ الْمِسْوَرُ وَعَبْدُ الرَّحْمنِ مُشْتَمِلَيْنِ بِأَرْدِيَتِهِمَا حَتَّى اسْتَأْذَنَا عَلَى عَائِشَةَ فَقَالَا: السَّلَامُ عَلَيْكِ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ أَنَدْخُلُ، قَالَتْ عَائِشَةُ: ادْخُلُوا، قَالُوا: كُلُّنَا، قَالَتْ: نَعَم، ادْخُلُوا كُلُّكُمْ وَلَا تَعْلَمُ أَنَّ مَعَهُمَا ابْنَ الزُّبَيْرِ، فَلَمَّا دَخَلُوا دَخَلَ ابْنُ الزُّبَيْرِ الْحِجَابَ فَاعْتَنَقَ عَائِشَةَ..)[1].

فالمسور وصاحبه دخلا بيت عائشة ولم يدخلا الحجاب.. والذي دخل هو عبد الله بن الزبير لأن عائشة رضي الله عنها تعد خالة له.. جاء في الخبر: (فلما دخلوا، دخل ابن الزبير الحجاب فاعتنق عائشة وطفق يناشدها ويبكي).

٤ ـ عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه قَالَ: (كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ نَازِلٌ بِالْجِعْرَانَةِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ وَمَعَهُ بِلَالٌ فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ أَعْرَابِيٌّ..) إلى أن قال: (.. فَنَادَتْ أُمُّ سَلَمَةَ مِنْ وَرَاءِ السِّتْرِ أَنْ أَفْضِلَا لِأُمِّكُمَا فَأَفْضَلَا لَهَا مِنْهُ طَائِفَةً)[2].

فهذا يُعد أصلاً واضحاً في الشريعة، وقد جاءت نصوص مشتبهة استدل بها القائلون بجواز الاختلاط، وهذا غير ظاهر لما تقدم لا سيما مع إمكان الحديث مع المرأة من وراء حجاب، فمن تلك النصوص التي تحمل على أن المقصود الحديث مع المرأة من وراء حجاب ما يلي:

١ ـ عَنْ كُرَيْبٍ (أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ وَالْمِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ وَعَبْدَ الرَّحْمنِ بْنَ

---

(١) رواه البخاري ورقمه (٦٠٧٣، ٦٠٧٤، ٦٠٧٥).

(٢) رواه البخاري (٤٣٢٨) ومسلم (٢٤٩٧).

أَزْهَرَ رضي الله عنهم أَرْسَلُوهُ إِلَى عَائِشَةَ رضي الله عنها فَقَالُوا: اقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنَّا جَمِيعاً وَسَلْهَا عَنْ الرَّكْعَتَيْنِ بَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ وَقُلْ لَهَا إِنَّا أُخْبِرْنَا عَنْكِ أَنَّكِ تُصَلِّينَهُمَا وَقَدْ بَلَغَنَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَنْهَا وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَكُنْتُ أَضْرِبُ النَّاسَ مَعَ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ عَنْهَا، فَقَالَ كُرَيْبٌ: **فَدَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ** رضي الله عنها فَبَلَّغْتُهَا مَا أَرْسَلُونِي، فَقَالَتْ: سَلْ أُمَّ سَلَمَةَ، فَخَرَجْتُ إِلَيْهِمْ فَأَخْبَرْتُهُمْ بِقَوْلِهَا فَرَدُّونِي إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ بِمِثْلِ مَا أَرْسَلُونِي بِهِ إِلَى عَائِشَةَ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ رضي الله عنها: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَنْهَى عَنْهَا ثُمَّ رَأَيْتُهُ يُصَلِّيهِمَا حِينَ صَلَّى الْعَصْرَ)[١].

۞ ٢ ـ عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: (دَخَلْنَا عَلَى عَائِشَةَ رضي الله عنها وَعِنْدَهَا حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ يُنْشِدُهَا شِعْراً يُشَبِّبُ بِأَبْيَاتٍ لَهُ وَقَالَ:

حَصَانٌ رَزَانٌ مَا تُزَنُّ بِرِيبَةٍ ... وَتُصْبِحُ غَرْثَى مِنْ لُحُومِ الْغَوَافِلِ

فَقَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ: لَكِنَّكَ لَسْتَ كَذَلِكَ، قَالَ مَسْرُوقٌ: فَقُلْتُ لَهَا: لِمَ تَأْذَنِينَ لَهُ أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْكِ وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١١] فَقَالَتْ: وَأَيُّ عَذَابٍ أَشَدُّ مِنْ الْعَمَى، قَالَتْ لَهُ: إِنَّهُ كَانَ يُنَافِحُ أَوْ يُهَاجِي عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ)[٢].

الجواب:

١ ـ لا بد من التفريق بين عبارة (دخلنا على عائشة) و(دخلنا الحجاب) فمطلق الدخول لا يعني دخول الحجاب أو الجلوس كفاحاً وجهاً لوجه، وفي قصة دخول ابن الزبير على عائشة بصحبة المسور بن مخرمة وعبد الرحمٰن بن الأسود المذكورة قبل قليل أوضح دليل لمن تأمل على الفرق المهم بين الدخولين.

وفي حديث أنس حين نزلت آيات الحجاب برهان حاسم على ذلك ونصه وفيه: «.. فأنزل الله آية الحجاب فضرب بيني وبينه ستراً»[٣].

٢ ـ لم تكن عائشة لترضى أن يدخل عليها أحد مع عدم وجود محرم

(١) رواه البخاري (١١٥٧) ومسلم (١٣٧٧).
(٢) رواه البخاري (٣٨٣١) ومسلم (٤٥٤٣). (٣) رواه البخاري ورقمه (٥٨٨٤).

لها، وفيما تقدم من قصتها مع عمها أبي القعيس أظهر دليل على حرصها وأنفتها من الاختلاط بالأجانب.

٣ ـ أن حسان بن ثابت ﷺ كان عمره عند مقدم رسول الله ﷺ المدينة ستين عاماً، ومكث النبي ﷺ فيها عشر سنوات؛ فحسان تجاوز السبعين عاماً وهو أيضاً رجل أعمى[1].. وعائشة هي أم المؤمنين.

۞ ٣ ـ عَنْ الْأَسْوَدِ قَالَ: (دَخَلَ شَبَابٌ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَى عَائِشَةَ وَهِيَ بِمِنًى وَهُمْ يَضْحَكُونَ..)[2].

الجواب:

١ ـ لا بد من التفريق بين عبارة (دخلنا على فلانة) و(دخلنا الحجاب) فمطلق الدخول لا يعني دخول الحجاب أو الجلوس كفاحاً وجهاً لوجه كما تقدم.

٢ ـ أن عائشة ﷺ كانت أعلم نساء الأمة، وكان كبار الصحابة فضلاً عن شبابهم لا يستغنون عن مراجعتها وأخذ العلم عنها.

٣ ـ أن الخلوة والريبة منتفيتان تماماً في مجتمع عام كمجتمع منى.

٤ ـ لم تكن عائشة لترضى أن يدخل عليها أحد مع عدم وجود محرم لها، وتقدم نحو هذا في الجواب السابق.

۞ ٤ ـ عَنْ زُرَارَةَ أَنَّ سَعْدَ بْنَ هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ أَرَادَ أَنْ يَغْزُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ.. وفيه: (فَأَتَيْتُ عَلَى حَكِيمِ بْنِ أَفْلَحَ.. فَأَتَى ابْنَ عَبَّاسٍ فَسَأَلَهُ عَنْ وِتْرِ رَسُولِ اللهِ؟ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ بِوِتْرِ رَسُولِ اللهِ؟ قَالَ: مَنْ؟ قَالَ: عَائِشَةُ. فَأْتِهَا فَاسْأَلْهَا... فَأَقْسَمْتُ عَلَيْهِ فَجَاءَ فَانْطَلَقْنَا إِلَى عَائِشَةَ فَاسْتَأْذَنَّا عَلَيْهَا فَأَذِنَتْ لَنَا فَدَخَلْنَا عَلَيْهَا، فَقَالَتْ: أَحَكِيمٌ؟ فَعَرَفَتْهُ فَقَالَ: نَعَمْ، فَقَالَتْ: مَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: سَعْدُ بْنُ هِشَامٍ، قَالَتْ: مَنْ

(١) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٢/ ٦٢).
(٢) رواه مسلم ورقمه (٢٥٧٢).

هِشَامٌ؟ قَالَ ابْنُ عَامِرٍ: فَتَرَحَّمَتْ عَلَيْهِ وَقَالَتْ خَيْراً..)[١][٢].

٥ - عن ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ: (اسْتَأْذَنَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَبْلَ مَوْتِهَا عَلَى عَائِشَةَ وَهِيَ مَغْلُوبَةٌ قَالَتْ: أَخْشَى أَنْ يُثْنِيَ عَلَيَّ، فَقِيلَ ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَمِنْ وُجُوهِ الْمُسْلِمِينَ قَالَتْ: ائْذَنُوا لَهُ، فَقَالَ: كَيْفَ تَجِدِينَكِ؟ قَالَتْ: بِخَيْرٍ إِنْ اتَّقَيْتُ، قَالَ: فَأَنْتِ بِخَيْرٍ إِنْ شَاءَ اللهُ زَوْجَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلَمْ يَنْكِحْ بِكْراً غَيْرَكِ وَنَزَلَ عُذْرُكِ مِنْ السَّمَاءِ..)[٣][٤].

٦ - عن أَنَس بْن مَالِكٍ رضي الله عنه يَقُولُ: (جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا..)[٥] رواه البخاري[٦].

٧ - عن ثُمَامَةَ الْقُشَيْرِيِّ قَالَ: لَقِيتُ عَائِشَةَ فَسَأَلْتُهَا عَنْ النَّبِيذِ؟ فَدَعَتْ عَائِشَةُ جَارِيَةً حَبَشِيَّةً فَقَالَتْ: (سَلْ هَذِهِ فَإِنَّهَا كَانَتْ تَنْبِذُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَتْ الْحَبَشِيَّةُ: كُنْتُ أَنْبِذُ لَهُ فِي سِقَاءٍ مِنْ اللَّيْلِ وَأُوكِيهِ وَأُعَلِّقُهُ فَإِذَا أَصْبَحَ شَرِبَ مِنْهُ)[٧].

---

(١) رواه مسلم ورقمه (١٢٣٣).
(٢) لما سمعت عائشة رضي الله عنها صوت حكيم عرفته وسألت عن الصوت الثاني فأخبرها به.
(٣) رواه البخاري ورقمه (٤٣٨٤).
(٤) يا ترى كم كان عمر عائشة رضي الله عنها عندما زارها ابن عباس؟ هل كانت صغيرة أم كانت كبيرة؟!! ومتى زارها؟!! أليس في مرض الموت (وهي مغلوبة) هذا جانب، وجانب آخر كون الرجل الأجنبي يزور المرأة الأجنبية وهي مريضة ليقرأ عليها أو يرفع من معنوياتها لا حرج في ذلك لأنها زيارة عابرة. يقول ابن حجر رحمه الله: (الذي راجع عائشة في ذلك، في دخول ابن عباس، هو ابن أخيها عبد الله بن عبد الرحمٰن، والذي أستأذن لابن عباس على عائشة حينئذ هو ذكوان مولاها وقد بين ذلك كله أحمد وبن سعد من طريق عبد الله بن عثمان هو بن خثيم عن ابن أبي مليكة عن ذكوان مولى عائشة أنه استأذن لابن عباس على عائشة وهي تموت فذكر الحديث..).
(٥) رواه البخاري ورقمه (٤٦٧٥).
(٦) فهذا سؤال عابر من وراء حجاب وليس فيه تصريح بأنه تم لقاء مباشر بين هؤلاء وبين أزواج النبي ﷺ.
(٧) رواه مسلم (٢٠٠٥) وقوله: (لقيت عائشة) توحي بأن اللقاء حصل قدراً إما في المسجد وإما في الطريق فهو بذلك خارج عن محل النزاع.

٨ ـ عَنْ عَلْقَمَةَ قُلْتُ لِعَائِشَةَ ﷺ: (هَلْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَخْتَصُّ مِنَ الْأَيَّامِ شَيْئاً؟ . .)[١].

٩ ـ عَنْ عُبَيْدِ اللهِ ابْنِ الْقِبْطِيَّةِ قَالَ: (دَخَلَ الْحَارِثُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ صَفْوَانَ وَأَنَا مَعَهُمَا عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ فَسَأَلَاهَا عَنِ الْجَيْشِ الَّذِي يُخْسَفُ بِهِ وَكَانَ ذَلِكَ فِي أَيَّامِ ابْنِ الزُّبَيْرِ . فَقَالَتْ . .)[٢]. رواه مسلم.

١٠ ـ عَنْ عَائِشَةَ (أَنَّهَا اسْتَعَارَتْ مِنْ أَسْمَاءَ قِلَادَةً فَهَلَكَتْ فَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَجُلاً فَوَجَدَهَا فَأَدْرَكَتْهُمُ الصَّلَاةُ وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ فَصَلَّوْا فَشَكَوْا ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَنْزَلَ اللهُ آيَةَ التَّيَمُّمِ فَقَالَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ لِعَائِشَةَ: جَزَاكِ اللهُ خَيْراً فَوَاللهِ مَا نَزَلَ بِكِ أَمْرٌ تَكْرَهِينَهُ إِلَّا جَعَلَ اللهُ ذَلِكِ لَكِ وَلِلْمُسْلِمِينَ فِيهِ خَيْراً)[٣].

والجواب عن الأحاديث الماضية (من ١ إلى ١٠):

١ ـ لا بد من التفريق بين عبارة (دخلنا على فلانة) و(دخلنا الحجاب) فمطلق الدخول لا يعني دخول الحجاب أو الجلوس كفاحاً وجهاً لوجه كما تقدم.

١ ـ أنه ليس فيه اختلاط, وإنما لقاء عابر محدود لا تزول به الكلفة وتلتزم فيه المرأة بالضوابط الشرعية في التعامل مع الرجال الأجانب لغرض السؤال عن العلم أو عيادة لمريض أو لقضاء حاجة أو نحوه.

٢ ـ أن عائشة وأم سلمة ﷺ من أمهات المؤمنين، ثم إن الحاجة ماسة لأخذ العلم عنهما لأنهما زوجات للنبي ﷺ، ويعلمن ما لايعلمه غيرهن.

١١ ـ عن ابن عمر ﷺ قَالَ: (كَانَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فِيهِمْ سَعْدٌ فَذَهَبُوا يَأْكُلُونَ مِنْ لَحْمٍ فَنَادَتْهُمُ امْرَأَةٌ مِنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ إِنَّهُ لَحْمُ

---

(١) رواه البخاري (١٨٥١) ومسلم (٥٩٨٥).
(٢) رواه مسلم ورقمه (٥١٣١).
(٣) رواه البخاري (٥١٦٤) ومسلم (٣٦٧).

ضَبٍّ فَأَمْسَكُوا فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**كُلُوا أَوْ اطْعَمُوا فَإِنَّهُ حَلَالٌ**» أَوْ قَالَ: **لَا بَأْسَ بِهِ** - شَكَّ فِيهِ - **وَلَكِنَّهُ لَيْسَ مِنْ طَعَامِي**)[1].

الجواب:

ليس في الحديث ما يدل على الاختلاط أو مشروعيته وقصاره استضافة النبي ﷺ لبعض أصحابه في بيته ووجود إحدى أزواجه في البيت لا يمنعه شريعة ماضية ولا سنة محكمة، وأما نداء إحدى زوجاته فلا يقتضي أن تكون جالسة.

بل إن لفظة (فنادتهم) تدل على كونها غير مخالطة فتنبه.

۞ ١٢ - عَنْ أُمِّ الْفَضْلِ قَالَتْ: (دَخَلَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى نَبِيِّ الله ﷺ وَهُوَ فِي بَيْتِي فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ إِنِّي كَانَتْ لِي امْرَأَةٌ فَتَزَوَّجْتُ عَلَيْهَا أُخْرَى فَزَعَمَتْ امْرَأَتِي الْأُولَى أَنَّهَا أَرْضَعَتْ امْرَأَتِي الْحُدْثَى رَضْعَةً أَوْ رَضْعَتَيْنِ، فَقَالَ نَبِيُّ الله ﷺ: «**لَا تُحَرِّمُ الْإِمْلَاجَةُ وَالْإِمْلَاجَتَانِ**»، قَالَ عَمْرٌو فِي رِوَايَتِهِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ نَوْفَلٍ)[2].

والجواب:

١ - أنه من وراء حجاب.

٢ - الأصل أن يكون معها أحد محارمها وعدم ذكره لا يدل على انتفاء وجوده.

٣ - لفظة الحديث نصت على دخول الأعرابي على النبي ﷺ لا عليها وإلا لقالت: دخل علينا أعرابي مما يدل أنها لم تكن معه في ذات المكان.

۞ ١٣ - عَنْ أَنَسٍ (أَنَّ جَاراً لِرَسُولِ الله ﷺ فَارِسِيّاً كَانَ طَيِّبَ الْمَرَقِ فَصَنَعَ لِرَسُولِ الله ﷺ ثُمَّ جَاءَ يَدْعُوهُ فَقَالَ: وَهَذِهِ لِعَائِشَةَ، فَقَالَ: «**لَا**» فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَا**» فَعَادَ يَدْعُوهُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**وَهَذِهِ**» قَالَ: «**لَا**» قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَا**» ثُمَّ عَادَ يَدْعُوهُ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**وَهَذِهِ**» قَالَ: «**نَعَمْ**

(١) رواه البخاري (٧٢٦٧) ومسلم (١٩٤٤).

(٢) رواه مسلم ورقمه (١٤٥١).

فِي الثَّالِثَةِ» فَقَامَا يَتَدَافَعَانِ حَتَّى أَتَيَا مَنْزِلَهُ)[١].

والجواب:

١ ـ ربما كانت القصة قبل فرض الحجاب.

٢ ـ لا يلزم من الاستجابة للدعوة أن يدخلا ويجلسا مع الفارسي على مائدة واحدة، فليس في لفظ الحديث إلا الإتيان، ومن المحتمل عقلاً بعد هذا الإتيان أن يدخلا مع الفارسي أو أن يجلس النبي ﷺ مع الفارسي وتجلس عائشة رضي الله عنها بمعزل عنهما؛ سواء لوحدها أو مع زوجة الفارسي إن كان متزوجاً، فهذان الاحتمالان ممكنان عقلاً، لكن الحديث لم يعين واحداً من هذين الاحتمالين، وترجيح أحد الاحتمالين بدون مرجح خلل في الترجيح إلا أننا نملك ما يرجح الاحتمال الثاني، وهو جلوس عائشة رضي الله عنها بمعزل عنهما، وهو الإجماع الواقع على أن نساء النبي ﷺ كان الحجاب في حقهن بمعنى ستر الوجوه، لا يراهن أحد إلا من وراء حجاب، وهذا أمر مقطوع به يدفع كل احتمال.

(١) رواه مسلم ورقمه (٢٠٣٧).



المبحث الرابع

مواقف حصلت مع كبيرات في السن

لقد أذن الله تعالى لكبيرة السن بأن تضع من ثيابها غير متبرجة بزينة، يقول الله تعالى: ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾ [النور:٦٠] قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: (وقوله: ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ قال سعيد بن جبير ومقاتل بن حيان والضحاك وقتادة: هن اللواتي انقطع عنهن الحيض ويئسن من الولد أي: لم يبق لهن تشوف إلى التزوج ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ﴾ أي: ليس عليها من الحرج في التستر كما على غيرها من النساء، قال أبو داود: حدثنا أحمد بن محمد المروزي، حدثني علي بن الحسين بن واقد، عن أبيه، عن يزيد النحوي، عن عكرمة، عن ابن عباس ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]الآية، فنسخ واستثني من ذلك القواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحاً الآية. قال ابن مسعود في قوله: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾ قال: الجلباب أو الرداء، وكذلك روي عن ابن عباس وابن عمر ومجاهد وسعيد بن جبير وأبي الشعثاء وإبراهيم النخعي والحسن وقتادة والزهري والأوزاعي وغيرهم، وقال أبو صالح: تضع الجلباب وتقوم بين يدي الرجل في الدرع والخمار، وقال سعيد بن جبير وغيره في قراءة عبد الله بن مسعود ﴿أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾ وهو الجلباب من فوق الخمار فلا بأس أن يضعن عند غريب أو غيره بعد أن يكون عليها خمار صفيق.

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٠٤).

وقال سعيد بن جبير في الآية ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتِۭ بِزِينَةٍ﴾ يقول: لا يتبرجن بوضع الجلباب ليرى ما عليهن من الزينة.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا هشام بن عبد الله، حدثنا ابن المبارك، حدثني سوار بن ميمون، حدثنا طلحة بن عاصم، عن أم المضاعن، أنَّها قالت: دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت: يا أم المؤمنين، ما تقولين في الخضاب والنفاض والصباغ والقرطين والخلخال وخاتم الذهب وثياب الرقاق؟ فقالت: يا معشر النساء قصتكن كلها واحدة، أحلّ الله لكنَّ الزينة غير متبرجات، أي: لا يحل لكن أن يروا منكنَّ مُحرَّماً)[١].

وقال السدي: كان شريك لي يقال له مسلم وكان مولى لامرأة حذيفة بن اليمان فجاء يوماً إلى السوق وأثر الحناء في يده فسألته عن ذلك فأخبرني أنه خضب رأس مولاته وهي امرأة حذيفة فأنكرت ذلك فقال: إن شئت أدخلتك عليها، فقلت: نعم، فأدخلني عليها فإذا هي امرأة جليلة فقلت لها: إن مسلماً حدثني أنه خضب رأسك، فقالت: نعم يا بني إني من القواعد اللاتي لا يرجون نكاحاً، وقد قال الله تعالى في ذلك ما سمعت وقوله: ﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ﴾ أي: وترك وضعهن لثيابهن وإن كان جائزاً خير وأفضل لهن ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

ومن هذه الأدلة التي استدلوا بها على جواز الاختلاط:

١ ـ عَنْ سَهْلٍ قَالَ: (كُنَّا نَفْرَحُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، قُلْتُ: وَلِمَ؟ قَالَ: كَانَتْ لَنَا عَجُوزٌ تُرْسِلُ إِلَى بُضَاعَةَ ـ قَالَ ابْنُ مَسْلَمَةَ: نَخْلٍ بِالْمَدِينَةِ ـ فَتَأْخُذُ مِنْ أُصُولِ السِّلْقِ فَتَطْرَحُهُ فِي قِدْرٍ وَتُكَرْكِرُ حَبَّاتٍ مِنْ شَعِيرٍ، فَإِذَا صَلَّيْنَا الْجُمُعَةَ انْصَرَفْنَا وَنُسَلِّمُ عَلَيْهَا فَتُقَدِّمُهُ إِلَيْنَا فَنَفْرَحُ مِنْ أَجْلِهِ، وَمَا كُنَّا نَقِيلُ وَلَا نَتَغَدَّى إِلَّا بَعْدَ الْجُمُعَةِ)[٢].

الجواب:

١ ـ صرح سهل راوي الحديث أنها كانت عجوزاً، والعجائز جاءت

---

(١) رواه ابن أبي حاتم (١٤٨٤٩).
(٢) رواه البخاري ورقمه (٦٢٤٨).

النصوص الشرعية دالة على أن لهن بعض الخصوصية في الأحكام، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ...﴾ كما تقدم.

٢ ـ ليس في الحديث ما يدل على أنها كانت تأكل معهم فربما قدمته لهم وانصرفت.

٢ ـ عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ (أَنَّ أَبَا عَمْرِو بْنَ حَفْصٍ طَلَّقَهَا الْبَتَّةَ وَهُوَ غَائِبٌ فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا وَكِيلُهُ بِشَعِيرٍ فَسَخِطَتْهُ فَقَالَ: وَاللهِ مَا لَكِ عَلَيْنَا مِنْ شَيْءٍ، فَجَاءَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ: «**لَيْسَ لَكِ عَلَيْهِ نَفَقَةٌ**» فَأَمَرَهَا أَنْ تَعْتَدَّ فِي بَيْتِ أُمِّ شَرِيكٍ ثُمَّ قَالَ: «**تِلْكِ امْرَأَةٌ يَغْشَاهَا أَصْحَابِي اعْتَدِّي عِنْدَ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ فَإِنَّهُ رَجُلٌ أَعْمَى تَضَعِينَ ثِيَابَكِ فَإِذَا حَلَلْتِ فَآذِنِينِي**» قَالَتْ: فَلَمَّا حَلَلْتُ ذَكَرْتُ لَهُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ وَأَبَا جَهْمٍ خَطَبَانِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَمَّا أَبُو جَهْمٍ فَلَا يَضَعُ عَصَاهُ عَنْ عَاتِقِهِ، وَأَمَّا مُعَاوِيَةُ فَصُعْلُوكٌ لَا مَالَ لَهُ انْكِحِي أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ فَكَرِهْتُهُ**» ثُمَّ قَالَ: «**انْكِحِي أُسَامَةَ فَنَكَحْتُهُ فَجَعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْراً وَاغْتَبَطْتُ**»)[1].

والجواب:

١ ـ أنها كانت كبيرة في السن قال ابن عبد البر رحمه الله: (وأما قوله: اعتدي في بيت أم شريك، ثم قال: تلك امرأة يغشاها أصحابي اعتدي في بيت ابن أم مكتوم) ففيه دليل على أن المرأة المتجالة العجوز الصالحة جائز أن يغشاها الرجال في بيتها ويتحدثون عندها، وكذلك لها أن تغشاهم في بيوتهم ويرونها وتراهم فيما يحل ويجمل وينفع ولا يضر)[2].

٢ ـ كون أم شريك تفتح بيتها للضيفان ويقوم محارمها بإكرامهم والقيام على شؤونهم فهل في ذلك حرج؟!!

٣ ـ لم يأت في الحديث التصريح بأن الذي يقوم بالخدمة وتقديم الطعام للرجال بأنها أم شريك.

---

(١) رواه مسلم ورقمه (١٤٨٠).

(٢) الاستذكار (٦/ ١٦٧ ـ ١٦٨).

٤ ـ أن هذا كان في أول الجهاد في سبيل الله تعالى كما قالت: (فَأُصِيبَ فِي أَوَّلِ الْجِهَادِ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ) مما يوحي بأنه كان قبل فرض الحجاب.

٥ ـ انتقال فاطمة بنت قيس رضي الله عنها إلى بيت ابن أم مكتوم فيه المباعدة بين الرجال عن النساء الأجنبيات قدر الإمكان.

٣ ـ عن عائشة قالت: (دخلت على رسول الله ﷺ امرأة فأتي رسول الله ﷺ بطعام فجعل يأكل من الطعام ويضع بين يديها فقلت: يا رسول الله لا تغمر يدك فقال رسول الله ﷺ: **«إن هذه كانت تأتينا أيام خديجة وإن حسن العهد أو حفظ العهد من الإيمان..»**)[١].

والجواب:

هذه المرأة كانت كبيرة السن وكما تقدم أنه يجوز في القواعد من النساء ما لا يجوز في غيرهن من الشواب، قال ابن بشكوال رحمه الله في غوامض الأسماء المبهمة (١/ ٢٨٩): (المرأة المذكورة اختلف فيها فقيل: هي حسانة المازنية وقيل: الحولاء بنت تويت، الحجة في ذلك ما أخبرني أبو عمران موسى بن عبد الرحمٰن قال: أخبرني أبو عمر النمري سماعاً عليه قال: ثنا عبد الوارث قال: ثنا قاسم قال: ثنا محمد بن يونس قال: ثنا الضحاك بن مخلد قال: ثنا صالح بن رستم عن ابن أبي مليكة عن عائشة قالت: جاءت عجوز إلى النبي ﷺ وهو عندي فقال لها رسول الله ﷺ: **«من أنتِ؟»** فقالت: أنا جَثَّامة المزنية، فقال: **«بل أنت حسانة المزنية، كيف أنتم؟ كيف حالكم؟ كيف كنتم بعدنا؟»** قالت: بخير بأبي أنت وأمي يا رسول الله، فلما خرجت قلت: يا رسول الله تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال، قال: **«إنها كانت تأتينا أيام خديجة وإن حسن العهد من الإيمان»**[٢].

قال أبو عمر: هذه الرواية أولى بالصواب من رواية من روى ذلك في الحولاء بنت تويت والله أعلم).

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٢٣/ ١٤).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (١/ ٦٢).

٤ ـ قال الشعبي: دخلنا على فاطمة بنت قيس فأتحفتنا برطب (ابن طاب) وسقتنا سويق سلت فسألتها عن المطلقة ثلاثاً أين تعتد؟ قالت: طلقني بعلي ثلاثاً فأذن لي النبي ﷺ أن أعتد في أهلي[١].

الجواب:

١ ـ لا بد من التفريق بين عبارة (دخلنا على فلانة) و(دخلنا الحجاب) فمطلق الدخول لا يعني دخول الحجاب أو الجلوس كفاحاً وجهاً لوجه كما تقدم.

٢ ـ الأصل وجود أحد محارمها معها وعدم ذكره لا يدل على عدم وجوده.

٣ ـ أن الشعبي وفاطمة بنت قيس ليسا حجة في سن حكم تشريعي.

٤ ـ ربما كانت فاطمة من القواعد من النساء، فقد قال الحافظ في الإصابة عن فاطمة هذه: (قال أبو عمر: كانت من المهاجرات الأول)[٢].

٥ ـ عَنْ مُسْلِمٍ الْقُرِّيِّ قَالَ: (سَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما عَنْ مُتْعَةِ الْحَجِّ فَرَخَّصَ فِيهَا وَكَانَ ابْنُ الزُّبَيْرِ يَنْهَى عَنْهَا فَقَالَ: هَذِهِ أُمُّ ابْنِ الزُّبَيْرِ تُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ رَخَّصَ فِيهَا فَادْخُلُوا عَلَيْهَا فَاسْأَلُوهَا، قَالَ: فَدَخَلْنَا عَلَيْهَا فَإِذَا امْرَأَةٌ ضَخْمَةٌ عَمْيَاءُ فَقَالَتْ: قَدْ رَخَّصَ رَسُولُ الله ﷺ فِيهَا)[٣].

٦ ـ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (أَنَّ جَدَّتَهُ مُلَيْكَةَ دَعَتْ رَسُولَ الله ﷺ لِطَعَامٍ صَنَعَتْهُ لَهُ فَأَكَلَ مِنْهُ ثُمَّ قَالَ: **«قُومُوا فَلِأُصَلِّ لَكُمْ»** قَالَ أَنَسٌ: فَقُمْتُ إِلَى حَصِيرٍ لَنَا قَدْ اسْوَدَّ مِنْ طُولِ مَا لُبِسَ فَنَضَحْتُهُ بِمَاءٍ فَقَامَ رَسُولُ الله ﷺ وَصَفَفْتُ وَالْيَتِيمَ وَرَاءَهُ وَالْعَجُوزُ مِنْ وَرَائِنَا فَصَلَّى لَنَا رَسُولُ الله ﷺ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ انْصَرَفَ)[٤].

والجواب عن الحديثين:

١ ـ أنهما كانتا كبيرتا سن، ويغتفر في الكبيرة ما لا يغتفر في الصغيرة.

٢ ـ هل في الحديث أن مليكة أكلت مع النبي ﷺ وحضرت مجلسه؟

---

(١) رواه مسلم (٤٣).
(٢) الإصابة في تمييز الصحابة (٨/ ٦٩).
(٣) رواه مسلم ورقمه (١٢٣٨).
(٤) رواه البخاري (٣٨٠) ومسلم (٦٥٨).

يقول أنس: (أن جدته مليكة دعت رسول الله ﷺ لطعام صنعته له فأكل منه). فالدعوة شيء والجلوس مع النبي ﷺ شيء آخر.

٣ ـ وأما صلاة مليكة مع النبي ﷺ فالنبي ﷺ جعلهم وراءه وهي تصلي خلف أنس بحيث لا يراها النبي ﷺ، يقول أنس (صففت أنا واليتيم وراءه والعجوز من ورائنا).

٤ ـ النبي ﷺ لم يجلس بعد الصلاة؟ يقول أنس رضي الله عنه: (فصلى لنا رسول الله ﷺ ركعتين ثم انصرف) فأين الاختلاط إذن؟!!

٥ ـ قال ابن عبد البر[١]: (قوله في الحديث: (إن جدته مليكة) مالك يقوله، والضمير الذي في جدته هو عائد على إسحاق وهي جدة إسحاق أم أبيه عبد الله بن أبي طلحة وهي أم سليم بنت ملحان، زوج أبي طلحة الأنصاري، وهي أم أنس بن مالك كانت تحت أبيه مالك بن النضر فولدت له أنس بن مالك والبراء بن مالك، ثم خلف عليها أبو طلحة وقد ذكرنا قصتها في كتاب النساء من كتابنا في الصحابة، ذكر عبد الرزاق هذا الحديث عن مالك عن إسحاق عن أنس أن جدته مليكة يعني جدة إسحاق).

۞ ٧ ـ عَنْ ابْنِ أَبِي لَيْلَى قَالَ: (مَا أَخْبَرَنَا أَحَدٌ أَنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى الضُّحَى غَيْرَ أُمِّ هَانِئٍ ذَكَرَتْ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ اغْتَسَلَ فِي بَيْتِهَا فَصَلَّى ثَمَانِيَ رَكَعَاتٍ فَمَا رَأَيْتُهُ صَلَّى صَلَاةً أَخَفَّ مِنْهَا غَيْرَ أَنَّهُ يُتِمُّ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ..)[٢].

۞ ٨ ـ عَنْ أُمِّ هَانِئٍ قَالَتْ: (لَمَّا كَانَ يَوْمُ الْفَتْحِ فَتْحِ مَكَّةَ جَاءَتْ فَاطِمَةُ فَجَلَسَتْ عَنْ يَسَارِ رَسُولِ الله ﷺ وَأُمُّ هَانِئٍ عَنْ يَمِينِهِ قَالَتْ: فَجَاءَتْ الْوَلِيدَةُ بِإِنَاءٍ فِيهِ شَرَابٌ فَنَاوَلَتْهُ فَشَرِبَ مِنْهُ ثُمَّ نَاوَلَهُ أُمَّ هَانِئٍ فَشَرِبَتْ مِنْهُ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ لَقَدْ أَفْطَرْتُ وَكُنْتُ صَائِمَةً فَقَالَ لَهَا: «**أَكُنْتِ تَقْضِينَ شَيْئاً؟**» قَالَتْ:

---

(١) التمهيد (١/ ٢٦٤).

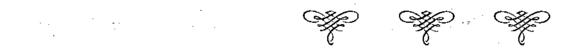
(٢) رواه البخاري (١١٠٤) ومسلم (٣٣٦).

لَا ، قَالَ: «فَلَا يَضُرُّكِ إِنْ كَانَ تَطَوُّعاً»[(١)].

والجواب عن الحديثين السابقين:

١ ـ أنها كانت كبيرة في السن وورد ما يدل على ذلك، منها أنها قالت رضي الله عنها: يا رسول الله كبر سني ورق عظمي فدلني على عمل يدخلني الجنة، فذكره. قال الهيثمي: أسانيده حسنة[(٢)].

٢ ـ أنه يدخل في معنى اللقاء العابر المحدود الذي لا تزول به الكلفة وتلتزم فيه المرأة بالضوابط الشرعية في التعامل مع الرجال الأجانب، ولا يمكن جعله مستنداً لما يراد من الاختلاط الخطير في العمل والجامعات الذي لا تخفى مفاسده وآثاره.



(١) رواه أبو داود ورقمه (٢٤٥٦).
(٢) فيض القدير، حرف السين (٤/ ٨٧).



المبحث الخامس

مواقف حصلت وأدلتها محتملة

قال الشاطبي رحمه الله تعالى: [وقد علم العلماء أنَّ كلَّ دليل فيه اشتباهٌ وإشكالٌ ليس بدليل في الحقيقة؛ حتى يتبين معناه ويظهر المراد منه، ويشترط في ذلك أن لا يعارضه أصلٌ قطعيٌّ؛ فإذا لم يظهر معناه لإجمال أو اشتراك، أو عارضه قطعيٌّ؛ كظهور تشبيه؛ فليس بدليل؛ لأن حقيقة الدليل أن يكون ظاهراً في نفسه، ودالّاً على غيره؛ وإلا احتيج إلى دليل عليه؛ فإن دلَّ الدليل على عدم صحته؛ فأحرى أن لا يكون دليلاً][1].

ومن هذه الأدلة المحتملة والتي استدل بها القائلون بالجواز:

۞ ١ ـ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِهِ فَأَرْسَلَتْ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِصَحْفَةٍ فِيهَا طَعَامٌ فَضَرَبَتْ الَّتِي النَّبِيُّ ﷺ فِي بَيْتِهَا يَدَ الْخَادِمِ فَسَقَطَتْ الصَّحْفَةُ فَانْفَلَقَتْ[2]...

والجواب:

أن كلمة خادم تطلق على الذكر والأنثى، قال المباركفوري: (.. فقلت: لو أتيتِ أباكِ فسألتيه خادماً؛ أي: جارية تخدمك وهو يطلق على الذكر والأنثى..)[3].

وفي حديث أسماء ﵄ ما يدل على ذلك وفيه: (فَأَعْطَاهَا خَادِماً قَالَتْ: كَفَتْنِي سِيَاسَةَ الْفَرَسِ فَأَلْقَتْ عَنِّي مَئُونَتَهُ)[4].

---

(١) الاعتصام (١/ ٣٢٠).

(٢) رواه البخاري ورقمه (٤٨٢٤).

(٣) تحفة الأحوذي (٩/ ٢٥٠).

(٤) رواه مسلم ورقمه (٢١٨٢).

۞ ٢ ـ عَنْ يُحَنَّسَ مَوْلَى الزُّبَيْرِ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ كَانَ جَالِساً عِنْدَ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ فِي الْفِتْنَةِ فَأَتَتْهُ مَوْلَاةٌ لَهُ تُسَلِّمُ عَلَيْهِ فَقَالَتْ: إِنِّي أَرَدْتُ الْخُرُوجَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ اشْتَدَّ عَلَيْنَا الزَّمَانُ، فَقَالَ لَهَا عَبْدُ اللهِ: اقْعُدِي لَكَاعِ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**لَا يَصْبِرُ عَلَى لْأَوَائِهَا وَشِدَّتِهَا أَحَدٌ إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَهِيداً أَوْ شَفِيعاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ..**»)[١].

الجواب:

أن هذه مولاة لابن عمر رضي الله عنهما وهو لقاء عابر، قال في الكافي عن مملوك المرأة: (لكن يباح له النظر إلى ما يظهر غالباً لقوله تعالى: ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾)[٢].

۞ ٣ ـ عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه قَالَ: (بَلَغَنَا مَخْرَجُ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ بِالْيَمَنِ فَخَرَجْنَا مُهَاجِرِينَ إِلَيْهِ..) وفيه: (.. وَدَخَلَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ وَهِيَ مِمَّنْ قَدِمَ مَعَنَا عَلَى حَفْصَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ زَائِرَةً، وَقَدْ كَانَتْ هَاجَرَتْ إِلَى النَّجَاشِيِّ فِيمَنْ هَاجَرَ، فَدَخَلَ عُمَرُ عَلَى حَفْصَةَ وَأَسْمَاءُ عِنْدَهَا، فَقَالَ عُمَرُ: حِينَ رَأَى أَسْمَاءَ مَنْ هَذِهِ؟ قَالَتْ: أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ، قَالَ عُمَرُ: الْحَبَشِيَّةُ هَذِهِ الْبَحْرِيَّةُ هَذِهِ قَالَتْ أَسْمَاءُ: نَعَمْ، قَالَ: سَبَقْنَاكُمْ بِالْهِجْرَةِ..) إلى أن قالت: (قَالَتْ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ أَبَا مُوسَى وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ يَأْتُونِي أَرْسَالاً يَسْأَلُونِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ مَا مِنْ الدُّنْيَا شَيْءٌ هُمْ بِهِ أَفْرَحُ وَلَا أَعْظَمُ فِي أَنْفُسِهِمْ مِمَّا قَالَ لَهُمْ النَّبِيُّ ﷺ، قَالَ أَبُو بُرْدَةَ: قَالَتْ أَسْمَاءُ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ أَبَا مُوسَى وَإِنَّهُ لَيَسْتَعِيدُ هَذَا الْحَدِيثَ مِنِّي)[٣].

الجواب:

١ ـ أن أسماء رضي الله عنها جاءت زائرة لحفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

٢ ـ سؤال عمر من هذه المرأة؟ يدل على أنها كانت متحجبة ومتسترة.

٣ ـ أن ما حصل يعد موقفاً عابراً.

---

(١) رواه مسلم (٢٤٤٦).
(٢) الكافي (٣/ ٣).
(٣) رواه البخاري (٣٩٠٥) ومسلم (٤٥٥٨).

٤ ـ وأما مجيء أبي موسى وأصحابه إلى أسماء أرسالاً فهو لغرض السؤال، وهو بلا ريب من وراء حجاب، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٣]. . .

٤ ـ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: كُنْتُ رِدْفَ أَبِي طَلْحَةَ يَوْمَ خَيْبَرَ وَقَدَمِي تَمَسُّ قَدَمَ رَسُولِ الله ﷺ. . إلى أن قال: (فَعَثَرَتْ النَّاقَةُ الْعَضْبَاءُ وَنَدَرَ رَسُولُ الله ﷺ وَنَدَرَتْ فَقَامَ فَسَتَرَهَا وَقَدْ أَشْرَفَتْ النِّسَاءُ. .)[١] وفي رواية لمسلم: (. . فَدَخَلْنَا الْمَدِينَةَ فَخَرَجَ جَوَارِي نِسَائِهِ يَتَرَاءَيْنَهَا وَيَشْمَتْنَ بِصَرْعَتِهَا)[٢].

والجواب:

١ ـ أنهن صغيرات السن، قال النووي رحمه الله (قوله: (فخرج جواري نسائه) أي: صغيرات الأسنان)[٣].

٢ ـ لم يذكر في الحديث اختلاط الرجال بالنساء، وإنما هو لقاء عابر.

٥ ـ عن أسماء قالت: قام رسول الله ﷺ خطيباً (بعد صلاة الكسوف) فذكر فتنة القبر التي يفتتن فيها المرء فلما ذكر ذلك ضج المسلمون ضجة). . وساقه النسائي والإسماعيلي من الوجه الذي أخرجه منه البخاري فزاد بعد قوله ضجة: (حَالَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَنْ أَفْهَمَ كَلَامَ رَسُولِ الله ﷺ فَلَمَّا سَكَنَتْ ضَجَّتُهُمْ قُلْتُ لِرَجُلٍ قَرِيبٍ مِنِّي: أَيْ بَارَكَ اللهُ لَكَ مَاذَا قَالَ رَسُولُ الله ﷺ فِي آخِرِ قَوْلِهِ؟ قَالَ: «**قَدْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ قَرِيباً مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّال**»)[٤].

والجواب:

١ ـ ما حصل من حديث أسماء مع الرجل يعد من حالة الضرورة لأنها حالة فزع ورعب وخوف وهلع، ومن يقرأ ما جرى لرسول الله ﷺ في حادثة الكسوف يعلم حجم الخوف الذي أصاب المسلمين في تلك الحادثة.

---

(١) رواه مسلم ورقمه (١٣٦٥).
(٢) رواه مسلم ورقمه (١٣٦٥).
(٣) شرح صحيح مسلم (٩/٢٢٧).
(٤) رواه البخاري ورقمه (١٢٨٤).

٢ ـ كلام أسماء مع الرجل لحاجة ماسة؛ لأن أسماء ﵄ لغط عندها نسوة من الأنصار فخفي عليها كلام رسول الله ﷺ فحاولت معرفته فلم تستطع فعندها سألت الرجل عما خفي عليها.

يقول ابن حجر ﵀ في الفتح (٣/ ٢٣٧): (وفيه أنه لما قال: أما بعد؛ لغط نسوة من الأنصار وأنها ذهبت لتسكتهن فاستفهمت عائشة عما قال، فيجمع بين مختلف هذه الروايات أنها احتاجت إلى الاستفهام مرتين وأنه لما حدثت فاطمة لم تبين لها الاستفهام الثاني).

٣ ـ أنه لا مانع من سؤال المرأة الرجل عما ينفعها في دينها ودنياها مع التصون التام وأمن الفتنة قال الله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

٦ ـ عن قيس بن أبي حازم قال: دخلنا على أبي بكر ﵁ في مرضه فرأينا امرأة بيضاء موشومة اليدين تذب عنه وهي أسماء بنت عميس[(١)].

والجواب:

١ ـ بقاء أسماء ﵄ عند زوجها يُعد حاجة ماسة لأن زوجها مريض وليس عنده من يخدمه إلا زوجته، وما حدث هو لقاء عابر محدود لغرض عيادة المريض ويحتمل أنها لم تجلس عندهم لكنهم شاهدوها عندما دخلوا فقط.

٢ ـ بالنسبة لوشم اليدين فقد جاءت رواية أخرى توضح أنها وضعت في يديها في الجاهلية كما في «تهذيب الآثار» (١٥٤) بإسناد صحيح وفيه: (كانوا وشموها في الجاهلية نحو وشم البربر).

٣ ـ يحتمل أن يديها انكشفتا بغير قصد.

٤ ـ يحتمل أنها قامت عند دخول قيس ومن معه.

٧ ـ عن جابر بن عبد الله يقول: (رخص النبي ﷺ لآل حزم في رقية الحية، وقال لأسماء بنت عميس: **«مالي أرى أجسام بني أخي ضارعة تصيبهم**

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٢٤/ ١٣١).

الحاجة»، قالت: لا، ولكن العين تسرع إليهم، قال: «**أرقيهم**»، قالت: فعرضت عليه، فقال: «**أرقيهم**»[١].

والجواب:

١ ـ هذا الحديث لا يستدل به على جواز الاختلاط وإنما هو من اللقاء العابر؛ لأن الرسول ﷺ يزور أبناء قريب له وهو جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ويسأل عن أحوالهم، وهي امرأة أيم قد قتل زوجها في معركة مؤتة، فكيف يستدل بمثل هذه الحالة على صور الاختلاط الموجودة في هذا العصر من اجتماع الرجال والنساء في قاعات الدراسة أو الاجتماعات أو نحوها؟!

٢ ـ أن الرسول ﷺ يُعد أبا للمؤمنين، وربما عدّ هذا من خصوصياته.

٣ ـ يحتمل أنها من القواعد من النساء.

٨ ـ عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: كُنْتُ جَالِساً فِي دَارِي فَمَرَّ بِي رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَشَارَ إِلَيَّ فَقُمْتُ إِلَيْهِ فَأَخَذَ بِيَدِي فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَى بَعْضَ حُجَرِ نِسَائِهِ فَدَخَلَ ثُمَّ أَذِنَ لِي فَدَخَلْتُ الْحِجَابَ عَلَيْهَا فَقَالَ: «**هَلْ مِنْ غَدَاءٍ؟**» فَقَالُوا: نَعَمْ فَأُتِيَ بِثَلَاثَةِ أَقْرِصَةٍ فَوُضِعْنَ عَلَى نَبِيٍّ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قُرْصاً فَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَخَذَ قُرْصاً آخَرَ فَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيَّ، ثُمَّ أَخَذَ الثَّالِثَ فَكَسَرَهُ بِاثْنَيْنِ فَجَعَلَ نِصْفَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَنِصْفَهُ بَيْنَ يَدَيَّ ثُمَّ قَالَ: «**هَلْ مِنْ أُدُمٍ؟**» قَالُوا: لَا إِلَّا شَيْءٌ مِنْ خَلٍّ، قَالَ: «**هَاتُوهُ فَنِعْمَ الْأُدُمُ هُوَ**»[٢].

والجواب:

١ ـ في رواية أبي يعلى (٤/ ١٥٢): (والحجاب عليها). فهذه الرواية تزيل الإشكال من جهة الحجاب.

٢ ـ أما بقاء زوجة النبي ﷺ بحضور جابر فهذا للضرورة، فبيت النبي ﷺ يتكون من حجرة واحدة فقط.

٣ ـ لماذا لم يقسم النبي ﷺ الطعام ثلاثاً على الحاضرين بل قسمه

(١) رواه مسلم ورقمه (٢١٩٨).
(٢) رواه مسلم ورقمه (٢٠٥٢).

نصفين؟!! وهذا يدل أن زوجة النبي ﷺ كانت في ناحية من الحجرة.

٩ - عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَنْهَى عَنْهَا ثُمَّ رَأَيْتُهُ يُصَلِّيهِمَا حِينَ صَلَّى الْعَصْرَ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيَّ وَعِنْدِي نِسْوَةٌ مِنْ بَنِي حَرَامٍ مِنَ الأَنْصَارِ فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهِ الْجَارِيَةَ فَقُلْتُ: قُومِي بِجَنْبِهِ، فَقُولِي لَهُ: تَقُولُ لَكَ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا رَسُولَ اللهِ سَمِعْتُكَ تَنْهَى عَنْ هَاتَيْنِ وَأَرَاكَ تُصَلِّيهِمَا فَإِنْ أَشَارَ بِيَدِهِ فَاسْتَأْخِرِي عَنْهُ فَفَعَلَتِ الْجَارِيَةُ فَأَشَارَ بِيَدِهِ فَاسْتَأْخَرَتْ عَنْهُ فَلَمَّا انْصَرَفَ، قَالَ: «**يَا بِنْتَ أَبِي أُمَيَّةَ سَأَلْتِ عَنِ الرَّكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْعَصْرِ وَإِنَّهُ أَتَانِي نَاسٌ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ فَشَغَلُونِي عَنِ الرَّكْعَتَيْنِ اللَّتَيْنِ بَعْدَ الظُّهْرِ فَهُمَا هَاتَانِ**»[١].

والجواب:

١ - قولها: (فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهِ الْجَارِيَةَ) يدل على أنه ﷺ بعيد أو في مكان آخر، ولو كان بجوار أم سلمة ونسوتها لأسمعته سؤالها بنفسها ولم تحتج للجارية.

٢ - لم يذكر في الحديث أن النبي ﷺ جلس عند النسوة بل كان في صلاة فلا دلالة على جواز الاختلاط.

١٠ - عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ يَقُولُ أَخْبَرَتْنِي أُمُّ مُبَشِّرٍ أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ عِنْدَ حَفْصَةَ: «**لَا يَدْخُلُ النَّارَ إِنْ شَاءَ اللهُ مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا**»، قَالَتْ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، فَانْتَهَرَهَا فَقَالَتْ حَفْصَةُ: وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**قَدْ قَالَ اللهُ** عز وجل ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ۝٧٢﴾ [مريم: ٧٢]»[٢].

والجواب:

١ - هل يقتضي السماع أنها كانت حاضرة أمامه، ألا يمكن أن تكون من خلف الستار؟!! وأقصى ما يدل عليه أنه لقاء عابر، وليس فيه أي إشارة إلى الاختلاط.

---

(١) رواه البخاري (١٢٣٣) ومسلم (٤٣٧٠).

(٢) رواه مسلم ورقمه (٢٤٩٦).

٢ ـ أن النبي ﷺ له من الخصوصية ما ليس لغيره.

١١ ـ عن سَعْد بْن أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ: (اسْتَأْذَنَ عُمَرُ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ وَعِنْدَهُ نِسَاءٌ مِنْ قُرَيْشٍ يُكَلِّمْنَهُ وَيَسْتَكْثِرْنَهُ عَالِيَةً أَصْوَاتُهُنَّ، فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ عُمَرُ قُمْنَ يَبْتَدِرْنَ الْحِجَابَ فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ وَرَسُولُ الله ﷺ يَضْحَكُ فَقَالَ عُمَرُ: أَضْحَكَ اللهُ سِنَّكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: **«عَجِبْتُ مِنْ هَؤُلَاءِ اللَّاتِي كُنَّ عِنْدِي فَلَمَّا سَمِعْنَ صَوْتَكَ ابْتَدَرْنَ الْحِجَابَ»**، قَالَ عُمَرُ: فَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ كُنْتَ أَحَقَّ أَنْ يَهَبْنَ، ثُمَّ قَالَ: أَيْ عَدُوَّاتِ أَنْفُسِهِنَّ أَتَهَبْنَنِي وَلَا تَهَبْنَ رَسُولَ الله ﷺ قُلْنَ: نَعَمْ أَنْتَ أَفَظُّ وَأَغْلَظُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ. .)[١].

والجواب:

أولاً: قال الحافظ ابن حجر: (قوله: (استأذن عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلّم وعنده نسوة من قريش) هن من أزواجه، ويحتمل أن يكون معهن من غيرهن لكن قرينة قوله: «يستكثرنه» يؤيد الأول، والمراد أنهن يطلبن منه أكثر مما يعطيهن)[٢].

قال العيني: (وفي «التوضيح»: يستكثرنه يردن العطاء، وقد أبان في موضع آخر ذلك: أنهن يردن النفقة، وقال الداودي: المراد أنهن يكثرن الكلام عنده، وقال بعضهم: هو مردود بما وقع التصريح به في حديث جابر عند مسلم: أنهن يطلبن النفقة)[٣].

وقال أيضاً[٤]: (قوله: (عالية أصواتهن). . علو أصواتهن يحمل على أنه كان قبل النهي عن رفع الصوت أو يحمل على أنه لاجتماعهن حصل لغط من كلامهن أو يكون فيهن من هي جهيرة الصوت أو يحمل على أنهن لما علمن عفوه وصفحه سمحن في رفع الصوت).

---

(١) رواه البخاري (٣٢٩٤) ومسلم (٢٣٩٧).
(٢) فتح الباري (٣/ ٣٤٣).
(٣) عمدة القاري (١٦/ ١٩٢)
(٤) في عمدة القاري (١٥/ ١٨١).

ثانياً: قوله: (فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ عُمَرُ قُمْنَ يَبْتَدِرْنَ الْحِجَابَ فَأَذِنَ لَهُ) فيه دلالة ظاهرة على وجوب الاحتجاب من الرجل الأجنبي عند دخوله بيت صاحبه وعدم مشروعية الاختلاط، كما يدل على ما سبق أن قررناه من التفريق بين مطلق الدخول ودخول الحجاب.

١٢ ـ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه: (أَنَّهُ سَمِعَهُ يَقُولُ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَدْخُلُ عَلَى أُمِّ حَرَامٍ بِنْتِ مِلْحَانَ فَتُطْعِمُهُ وَكَانَتْ أُمُّ حَرَامٍ تَحْتَ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ فَدَخَلَ عَلَيْهَا رَسُولُ الله ﷺ فَأَطْعَمَتْهُ وَجَعَلَتْ تَفْلِي رَأْسَهُ فَنَامَ رَسُولُ الله ﷺ ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ. .)[1].

والجواب:

أولاً: أن أم حرام كانت محرماً لرسول الله ﷺ قال النووي في شرح مسلم (١٣/ ٥٧): (اتفق العلماء على أنها كانت محرماً له ﷺ).

ثانياً: على فرض عدم ثبوت المحرمية فيقال: إن هذا خاص برسول الله ﷺ، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: (أَحْسَن الْأَجْوِبَة دَعْوَى الْخُصُوصِيَّة وَلَا يَرُدّهَا كَوْنُهَا لَا تَثْبُت إِلَّا بِدَلِيلٍ؛ لِأَنَّ الدَّلِيل عَلَى ذَلِكَ وَاضِح، وَالله أَعْلَم)[2].

ومما يسوغ الخصوصية لرسول الله ﷺ في ذلك. . هل يقول القائلون بجواز بقاء الرجل الأجنبي مع المرأة الأجنبية أن تفلي المرأة الأجنبية رأس الأجنبي عنها؟ وأن ينام في حجرها؟!!

فإن قالوا: لا، لزمهم القول بالخصوصية.

وإن قالوا: نعم، فقد خالفوا إجماع الأمة في تحريم فعل ذلك مع الرجل الأجنبي.

١٣ ـ عَنْ أُمِّ الْفَضْلِ بِنْتِ الْحَارِثِ أَنَّ نَاساً اخْتَلَفُوا عِنْدَهَا يَوْمَ عَرَفَةَ فِي صَوْمِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: بَعْضُهُمْ هُوَ صَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَيْسَ بِصَائِمٍ

---

(١) رواه البخاري (٢٧٨٩) ومسلم (١٩١٢).

(٢) فتح الباري (١١/ ٧٩).

فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهِ بِقَدَحِ لَبَنٍ وَهُوَ وَاقِفٌ عَلَى بَعِيرِهِ فَشَرِبَهُ)(١).

الجواب:

١ ـ وهل يلزم أن يكون الناس الذين كانوا عندها رجالاً؟! وألا يجوز أن يكونوا محارمها؟

٢ ـ أنه حدث ذلك في يوم عرفة في الحج، وهو من اللقاء العابر.

٣ ـ أنه لو كان هناك حوار، فهو مختصر جداً لأن أم الفضل أرسلت إلى النبي عليه الصلاة والسلام بقدح لبن فشربه، فكيف يستدل بهذا على جواز الاختلاط في العمل والجامعات الذي يمضي فيه المرء أعواماً ويكثر الاحتكاك بالجنس الآخر، ويترتب عليه من المفاسد ما الله به عليم؟!

١٤ ـ عَنْ أَبِي بُرْدَةَ قَالَ: (دَخَلْتُ عَلَى أَبِي مُوسَى وَهُوَ فِي بَيْتِ بِنْتِ الْفَضْلِ بْنِ عَبَّاسٍ فَعَطَسْتُ فَلَمْ يُشَمِّتْنِي وَعَطَسَتْ فَشَمَّتَهَا فَرَجَعْتُ إِلَى أُمِّي فَأَخْبَرْتُهَا فَلَمَّا جَاءَهَا قَالَتْ: عَطَسَ عِنْدَكَ ابْنِي فَلَمْ تُشَمِّتْهُ وَعَطَسَتْ فَشَمَّتَّهَا فَقَالَ: إِنَّ ابْنَكِ عَطَسَ فَلَمْ يَحْمَدْ اللهَ فَلَمْ أُشَمِّتْهُ وَعَطَسَتْ فَحَمِدَتْ اللهَ فَشَمَّتُّهَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **«إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَحَمِدَ اللهَ فَشَمِّتُوهُ فَإِنْ لَمْ يَحْمَدْ اللهَ فَلَا تُشَمِّتُوهُ»**)(٢).

والجواب:

قال النووي رحمه الله في شرحه على «صحيح مسلم» (١٨/ ١٢٢): قوله: (دخلت على أبي موسى وهو في بيت ابنه الفضل بن عباس) هذه البنت هي أم كلثوم بنت الفضل بن عباس امرأة أبي موسى الأشعري تزوجها بعد فراق الحسن بن علي لها وولدت لأبي موسى ومات عنها، فتزوجها بعده عمران بن طلحة ففارقها، وماتت بالكوفة ودفنت بظاهرها) وأبو بردة هذا ابن لأبي موسى الأشعري.. واسمه عامر؛ فأين الاختلاط؟!!

---

(١) رواه البخاري ورقمه (١٦٦٢) ومسلم (١١٢٣).

(٢) رواه مسلم (٢٩٩٢).

۞ ١٥ ـ عَنْ سَفِينَةَ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ (أَنَّ رَجُلاً أَضَافَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فَصَنَعَ لَهُ طَعَاماً فَقَالَتْ فَاطِمَةُ: لَوْ دَعَوْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَكَلَ مَعَنَا..)[1].

والجواب:

١ ـ من الرجلُ الذي أضاف عليَ بن أبي طالب؟

وليثبت القائل بجواز الاختلاط أن هذا الرجل أجنبي عن فاطمة وأنى له فلعله من محارمها.

٢ ـ ليثبت القائلون بجواز الاختلاط أن فاطمة أصلاً جلست معهم لتأكل فكونها تقول: (لو دعونا النبي ﷺ فأكل معنا) هل يقتضي أن تأكل مع الرجل إن كان أجنبياً ـ على صحيفة واحدة؟!

فلو قال قائل: سرت والقمر هل يفهم منه أن القمر يسير معه؟!!

ولو قائل قائل: فلان من الناس أكل معنا في بيتنا فهل يفهم السامع أنه أكل مع كل أهل البيت ذكوراً وإناثاً؟

۞ ١٦ ـ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ (أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ جِئْتُ لِأَهَبَ لَكَ نَفْسِي فَنَظَرَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَصَعَّدَ النَّظَرَ إِلَيْهَا وَصَوَّبَهُ ثُمَّ طَأْطَأَ رَأْسَهُ فَلَمَّا رَأَتْ الْمَرْأَةُ أَنَّهُ لَمْ يَقْضِ فِيهَا شَيْئاً جَلَسَتْ فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ بِهَا حَاجَةٌ فَزَوِّجْنِيهَا..)[2].

والجواب:

١ ـ قد فهم أئمة الحديث من هذا الحديث غير ما يدعو إليه من أجاز الاختلاط، يقول البخاري رَحِمَهُ اللهُ في صحيحه: (باب النظر إلى المرأة قبل التزويج) وهناك أحاديث أصرح من هذا الحديث في هذا الموضوع والرجل إذا

(١) رواه أبو داود ورقمه (٣٧٥٥).

(٢) رواه البخاري (٥٠٣٠) ومسلم (١٤٢٥).

أراد الزواج يمكن أن يطلع على المرأة ويراها بل هو مأمور شرعاً أن ينظر إليها، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ تَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنْ الْأَنْصَارِ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: **«أَنَظَرْتَ إِلَيْهَا؟»** قَالَ: لَا، قَالَ: **«فَاذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا فَإِنَّ فِي أَعْيُنِ الْأَنْصَارِ شَيْئاً»**[1].

فلسنا بحاجة إذن أن نجيز الاختلاط من أجل تيسير الزواج؛ لأن الزواج متيسر فيمكن للرجل أن يطلع على المرأة وينظر إليها متى ما أراد الزواج.

٢ ـ إن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح. . فكيف نقول بجواز الاختلاط الذي ثبت ضرره وخطره من أجل مصلحة متوقعة يمكن أن تتم من غير هذا الطريق؟!!

١٧ ـ عَنْ جَابِرٍ (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَى أُمِّ مُبَشِّرٍ الْأَنْصَارِيَّةِ فِي نَخْلٍ لَهَا فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ: **«مَنْ غَرَسَ هَذَا النَّخْلَ أَمُسْلِمٌ أَمْ كَافِرٌ؟»** فَقَالَتْ: بَلْ مُسْلِمٌ، فَقَالَ: **«لَا يَغْرِسُ مُسْلِمٌ غَرْساً وَلَا يَزْرَعُ زَرْعاً فَيَأْكُلَ مِنْهُ إِنْسَانٌ وَلَا دَابَّةٌ وَلَا شَيْءٌ إِلَّا كَانَتْ لَهُ صَدَقَةٌ»**)[2].

والجواب:

١ ـ الرسول ﷺ يدخل على زوجة مولاه وهو زيد بن حارثة رضي الله عنه كما ذكر ذلك النووي في شرحه على صحيح مسلم (١٠/ ٢١٤).

٢ ـ ليس في الحديث ما ينفي وجود زوجها أو غيره معها حال دخول النبي ﷺ عليها.

٣ ـ أن دخول النبي ﷺ كان دخولاً عابراً فيكون خارج محل النزاع.

١٨ ـ عَنْ عَائِشَةَ (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا امْرَأَةٌ قَالَ: **«مَنْ هَذِهِ؟** قَالَتْ: فُلَانَةُ تَذْكُرُ مِنْ صَلَاتِهَا. .)[3].

---

(١) رواه مسلم ورقمه (١٤٢٤).

(٢) رواه مسلم ورقمه (١٥٥٢).

(٣) رواه البخاري (٤٣) ومسلم (٧٨٥).

الجواب:

١ ـ نحن لا ننازع في جواز تبادل الزيارات بين النساء بعضهن لبعض، وإن وجد صاحب البيت، أو قدم أثناء الزيارة، ولكن الممنوع هو اعتياد الجلوس بين النساء والرجال مختلطين، وهو مما لا يستطيع أحد إثباته في هذه القضية أو غيرها.

٢ ـ قال ابن حجر[١]: (فإن قيل وقع في حديث الباب حديث هشام دخل عليها وهي عندها، وفي رواية الزهري أن الحولاء مرت بها فظاهره التغاير فيحتمل أن تكون المارة امرأة غيرها من بني أسد أيضاً أو أن قصتها تعددت، والجواب أن القصة واحدة ويبين ذلك رواية محمد بن إسحاق عن هشام في هذا الحديث ولفظه مرت برسول الله ﷺ الحولاء بنت تويت، أخرجه محمد بن نصر في كتاب قيام الليل له فيحمل على أنها كانت أولاً عند عائشة، فلما دخل ﷺ على عائشة قامت المرأة كما في رواية حماد بن سلمة الآتية، فلما قامت لتخرج مرت به في خلال ذهابها فسأل عنها وبهذا تجتمع الروايات).

۞ ١٩ ـ عن سبيعة بنت الحارث... فلما تعلت من نفاسها تجملت للخطاب فدخل عليها أبو السنابل بن بعكك رجل من بني عبد الدار فقال لها: مالي أراك تجملت للخطاب ترجين النكاح فإنك والله ما أنت بناكح حتى تمر عليك أربعة أشهر وعشر، قالت سبيعة: فلما قال لي ذلك جمعت علي ثيابي حين أمسيت وأتيت رسول الله ﷺ فسألته عن ذلك فأفتاني بأني قد حللت حين وضعت حملي وأمرني بالتزوج إن بدا لي. قوله: فأبت أن تنكحه. وقع في رواية الموطأ فخطبها رجلان أحدهما شاب وكهل فخطبت إلى الشاب[٢].

والجواب:

أن الخاطب يجوز له النظر إلى مخطوبته والدخول عليها وأبو السنابل دخل على سبيعة رضي الله عنها لخطبتها، فلما أبت أرشدها ـ على حد ـ علمه بأن

---

(١) فتح الباري (١/ ١٠١).
(٢) فتح الباري (٩/ ٤٧٢).

نكاحها لا يجوز قبل مضي العدة ودليل ذلك ما رواه البخاري في صحيحه (ورقمه ٥٣١٨) عن أمِّ سلمةَ زوج النبيِّ ﷺ: (أنَّ امرأةً من أَسلَمَ يقال لها سُبَيعة كانت تحتَ زوجها تُوُفيَ عنها وهي حُبلى، فخطبَها أبو السنابل بنُ بَعكَكٍ، فأَبَت أن تَنكِحَه، فقال: والله ما يَصلُحُ أن تَنكحيه حتى تَعتدِّي آخرَ الأجلَين، فمكَثَت قريباً من عشرِ ليالٍ ثم جاءتِ النبيَّ صلى الله عليه وسلّم فقال: «**انكحي**»).

۞ **٢٠** ـ قوله في حديث: (مروا أبناءكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر، وفرقوا بينهم في المضاجع) فالنبي ﷺ أمر بالتفريق بعد العاشرة إذن قبل العاشرة لا مانع من الاختلاط بين البنين والبنات في المدارس الابتدائية؟

فجواباً عن هذه الشبهة أقول:

أولاً: أن الفتاة قد تبلغ أحياناً قبل العاشرة قال الترمذي في سننه (٢/ ٤٠٩): قالت عائشة: إذا بلغت الجارية تسع سنين فهي امرأة. وقال الإمام الشافعي: «رأيت باليمن بنات تسع يحضن كثيراً». «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٩١). وروى البيهقي (١٥٨٨) عَنِ الشَّافِعِيِّ قَالَ: «**أَعْجَلُ مَنْ سَمِعْتُ بِهِ مِنَ النِّسَاءِ يَحِضْنَ نِسَاءٌ بِتِهَامَةَ يَحِضْنَ لِتِسْعِ سِنِينَ**».

تقول د. منى رشاد ـ استشارية أطفال في مستشفى المواساة في الدمام ـ (البلوغ يبدأ عادة لدى الفتيات بعد سن التاسعة، وفي بعض الحالات يبدأ في سن الثامنة ويعد أيضاً مسألة طبيعية) وتقول أيضاً: (البلوغ المبكر شائع أكثر لدى الفتيات مقارنة بالذكور) وتقول: (ومن الملحوظ ازدياد عدد حالات الفتيات المصابات بالبلوغ المبكر في الآونة الأخيرة مما يعكس زيادة نسبة استخدام المواد الكيميائية أو الهرمونات في الأغذية التي تتناولها أو الزراعات أو البيئة المحيطة بنا، إضافة إلى ارتباط السمنة والوزن الزائد بالبلوغ المبكر لدى الفتيات)[1].

---

(١) انظر: جريدة الاقتصادية، السبت ٦/ ١/ ١٤٣٠هـ الموافق ٣ يناير ٢٠٠٩ العدد (٥٥٦٣).

ثانياً: أن المراحل الأولية قد يدخلها بعض الأطفال في سن متأخرة فيكون في سن العاشرة وهو في الصف الثالث أو الرابع، أو قد تتعثر الطالبة دراسياً فتصل إلى العاشرة أو الحادية عشر وهي في الصفوف الدنيا، ووجودها وهي بالغة خطر عليها وعليهم.

ثالثاً: تأثير وسائل الإعلام الخطير بأولاد المسلمين ذكوراً وإناثاً حتى أصبح الصغير يعرف ما يعرف الكبار قبل بلوغه (ففي دراسة أجريت لمعرفة أثر برامج التلفزيون على الأطفال أتسمت جميع الآثار الأخلاقية التي ذكرها المتخصصون بالسلبية، وجاء في مقدمتها تشجيع التلفزيون على زيادة العنف لدى الأطفال وبلغت نسبة ٦٣٪ على مستوى العينة ككل، وفي المرتبة الثانية جاء أن التلفزيون يعمل على إثارة الغرائز لدى الأطفال ويرى ذلك ٥١٪ من أفراد العينة)[1].

رابعاً: أن النبي ﷺ خطب عائشة رضي الله عنها وعمرها ست سنوات ودخل بها وعمرها تسع سنوات. قال ابن كثير رحمه الله تعالى في «البداية والنهاية» (٣/ ١٦١) قوله: (تزوجها وهي ابنة ست سنين، وبنى بها وهي ابنة تسع) مما لا خلاف فيه بين الناس ـ وقد ثبت في الصحاح وغيرها ـ وكان بناؤه بها عليه السلام في السنة الثانية من الهجرة إلى المدينة).

خامساً: أن الذين جربوا اختلاط المرحلة الابتدائية ذكروا خطورة هذه التجربة فمن ذلك: يقول الأستاذ أحمد مظهر العظمة وقد أوفدته وزارة التربية السورية إلى بلجيكا في رحلة علمية زار فيها المدارس البلجيكية، وفي إحدى الزيارات لمدرسة ابتدائية للبنات سأل المديره: لماذا لا تخلطون البنين مع البنات في هذه المرحلة.

فأجابته: قد لمسنا أضرار اختلاط الأطفال حتى في سن المرحلة الابتدائية[2]؟

---

(١) انظر: مشاهد العنف في الرسوم المتحركة وانعكاساتها على رسوم الأطفال لـ فهد بن غزاي العتيبي ص٣١ علماً أن الدراسة أقيمت في المملكة العربية السعودية.
(٢) انظر: مكانك تحمدي ص٨٩ ـ ٩٠.

وقد (أوضحت مجلة (سفنتيز) الأمريكية[١] ـ التي أجرت الاستطلاع، أن أعداداً كبيرة من الفتيات يتعرضن لتحرشات غير أخلاقية ليست فقط في المدارس الثانوية، وإنما تبدأ ـ أيضاً ـ من المدارس الابتدائية، حيث يتعرضن لهذه المضايقات من التلاميذ الذكور، وكذلك من المعلمين!!).

سادساً: من قواعد الشريعة المعمول بها قاعدة سد الذرائع، والسماح بدراسة من قبل سن العاشرة في مدارس مختلطة يفتح الباب إلى المطالبة بالاختلاط في الصفوف العليا كما هو الحاصل في الدول العربية التي بدأ الاختلاط فيها من الصفوف الدنيا ثم تدرج إلى مدارج الجامعات.

قال الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله: (بدأ الاختلاط من رياض الأطفال، ولما جاءت الإذاعة انتقل منها إلى برامج الأطفال فصاروا يجمعون الصغار من الصبيان والصغيرات من البنات، ونحن لا نقول أن لبنت خمس سنين عورة يحرم النظر إليها كعورة الكبيرة البالغة، ولكن نقول أن من يرى هذه تذكره بتلك، فتدفعه إلى محاولة رؤيتها، ثم إنه قد فسد الزمان، حتى صار التعدي على عفاف الأطفال، منكراً فاشياً، ومرضاً سارياً، لا عندنا، بل في البلاد التي نعد أهلها هم أهل المدنية والحضارة في أوروبا وأمريكا).

(ذكريات ٥/٢٦٨ ـ ٢٧٤)

ويقول أيضاً: (ثم سلموا التعليم في المدارس الأولية لمعلمات بدلاً من المعلمين، ونحن لا نقول إن تعليم المرأة أولاداً صغاراً، أعمارهم دون العاشرة، محرم في ذاته، لا ليس محرماً في ذاته ولكنه ذريعة إلى الحرام، وطريق إلى الوقوع فيه في مقبل الأيام، وسد الذرائع من قواعد الإسلام، والصغير لا يدرك جمال المرأة كما يدركه الكبير، ولا يحس إن نظر إليها بمثل ما يحس به الكبير ولكنه يختزن هذه الصورة في ذاكرته فيخرجها من مخزنها ولو بعد عشرين سنة، وأنا أذكر نساء عرفتهن وأنا ابن ست سنين، قبل أكثر من سبعين سنة، وأستطيع أن أتصور الآن ملامح وجوههن، وتكوين

(١) انظر: جريدة الرياض، العدد (٩١٥٠) بتاريخ ٢٦/١/١٤١٤هـ.

أجسادهن، ثم إن من تشرف على تربيته النساء يلازمه أثر هذه التربية حياته كلها، يظهر ذلك في عاطفته، وفي سلوكه، في أدبه، إذا كان أديباً.

(ذكريات ٥/٢٦٨ ـ ٢٧٤)

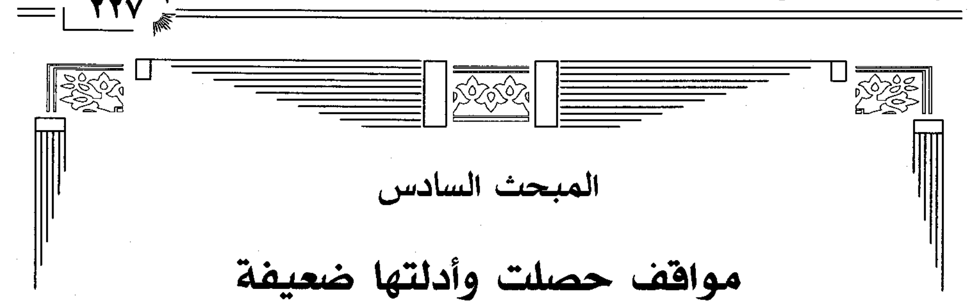
وأخيراً.. يقول العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى: (تولى النساء لتعليم الصبيان في المرحلة الابتدائية يفضي إلى اختلاطهن بالمراهقين والبالغين من الأولاد الذكور، لأن بعض الأولاد لا يلتحق بالمرحلة الابتدائية إلا وهو مراهق وقد يكون بعضهم بالغاً، ولأن الصبي إذا بلغ العشر يعتبر مراهقاً ويميل بطبعه إلى النساء، لأن مثله يمكن أن يتزوج ويفعل ما يفعله الرجال، وهناك أمر آخر وهو أن تعليم النساء للصبيان في المرحلة الابتدائية يفضي الاختلاط ثم يمتد ذلك إلى المراحل الأخرى فهو فتح لباب الاختلاط في جميع المراحل بلا شك، ومعلوم ما يترتب على اختلاط التعليم من المفاسد الكثيرة والعواقب الوخيمة التي أدركها من فعل هذا النوع من التعليم في البلاد الأخرى. فكل من له أدنى علم بالأدلة الشرعية وبواقع الأمة في هذا العصر من ذوي البصيرة الإسلامية على بنينا وبناتنا يدرك ذلك بلا شك، وأعتقد أن هذا الاقتراح مما ألقاه الشيطان أو بعض نوابه على لسان فائزة ونورة المذكورتين وهو بلا شك مما يسر أعداءنا وأعداء الإسلام ومما يدعون إليه سراً وجهراً).

ولذا فإني أرى أن من الواجب قفل هذا الباب بغاية الإحكام وأن يبقى أولادنا الذكور تحت تعليم الرجال في جميع المراحل. كما يبقى تعليم بناتنا تحت تعليم المعلمات من النساء في جميع المراحل وبذلك نحتاط لديننا وبنينا وبناتنا ونقطع خط الرجعة على أعدائنا وحسبنا من المعلمات المحترمات أن يبذلن وسعهن بكل إخلاص وصدق وصبر على تعليم بناتنا في جميع المراحل. ومن المعلوم أن الرجال أصبر على تعليم البنين وأقوى عليه وأفرغ له من المعلمات في جميع مراحل التعليم كما أن من المعلوم أن البنين في المرحلة الابتدائية وما فوقها يهابون المعلم الذكر ويحترمونه ويصغون إلى ما يقول أكثر وأكمل مما لو كان القائم بالتعليم من النساء مع ما في ذلك كله من تربية البنين

في هذه المرحلة على أخلاق الرجال وشهامتهم وصبرهم وقوتهم، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم في المضاجع**»[١]. هذا الحديث الشريف يدل على ما ذكرناه من الخطر العظيم في اختلاط البنين والبنات في جميع المراحل والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة وواقع الأمة كثيرة لا نرى ذكرها هنا طلباً للإختصار. وفي علم حكومتنا وفقها الله وعلم معالي وزير المعارف وعلم سماحة الرئيس العام لتعليم البنات وحكمتهم جميعاً وفقهم الله ما يغني عن البسط في هذا المقام. وأسأل الله أن يوفقنا لكل ما فيه صلاح الأمة ونجاتها وصلاحنا، وصلاح شبابنا وفتياتنا وسعادتهم في الدنيا والآخرة إنه سميع قريب. وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم).



(١) رواه أحمد وأبو داود والحاكم ورمز السيوطي لصحته.



المبحث السادس

مواقف حصلت وأدلتها ضعيفة

استدل القائلون بجواز الاختلاط بعدد من الأحاديث ولكنها لا تصح وهي على نحو مما يلي:

١ ـ عن قتادة في هذه الآية ذكر لنا أن نبي الله ﷺ أخذ عليهن النياحة ولا تحدثن الرجال إلا رجلاً منكن محرماً فقال عبد الرحمٰن بن عوف: يا رسول الله إن لنا أضيافاً وإنا نغيب عن نسائنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**ليس أولئك عنيت ليس أولئك عنيت**»[1].

الجواب:

الحديث مرسل فقتادة بن دعامة السدوسي تابعي لم يسمع من رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ومدلس، فالحديث لا يصح الاحتجاج به.

٢ ـ عن عائشة بنت طلحة قالت: قلت لعائشة وأنا في حجرها وكان الناس يأتونها من كل مصر فكان الشيوخ ينتابوني لمكاني منها، وكان الشباب يتأخوني فيهدون إلي ويكتبون إلي من الأمصار فأقول لعائشة: يا خالة هذا كتاب فلان وهديته فتقول لي عائشة: أي بنية فأجيبيه وأثيبيه فإن لم يكن عندك ثواب أعطيتك، فقالت: فتعطيني[2].

الجواب:

الأثر مردود من عدة وجوه:

١ ـ ابن رافع هو: إسماعيل بن رافع بن عويمر، قال النسائي والدارقطني: متروك الحديث، وقال الذهبي: ضعيف واه.

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٣٥٦).

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد (١/ ٣٨٢).

٢ ـ أبو أسامة هو: عبد الله بن محمد بن أبي أسامة، قال أبو حاتم بن حبان: يضع الحديث على الليث وابن لهيعة.

موسى بن عبد الله بن إسحاق: قال في التقريب: مقبول.

۞ ٣ ـ عن قتادة قال: قال لهم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**كم أنتم**» فعدوا أنفسهم فإذا هم اثنا عشر رجلاً وامرأة) رواه ابن جرير.

الجواب:

الأثر مرسل فقتادة كما تقدم تابعي وهو مدلس.

۞ ٤ ـ عَنْ حَبِيبِ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ: (سَمِعْتُ مَوْلَاةً لَنَا يُقَالُ لَهَا: لَيْلَى تُحَدِّثُ عَنْ جَدَّتِهِ أُمِّ عُمَارَةَ بِنْتِ كَعْبٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا فَدَعَتْ لَهُ بِطَعَامٍ فَقَالَ لَهَا: «**كُلِي**»، فَقَالَتْ: إِنِّي صَائِمَةٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ الصَّائِمَ إِذَا أُكِلَ عِنْدَهُ صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ حَتَّى يَفْرَغُوا ـ وَرُبَّمَا قَالَ: حَتَّى يَقْضُوا أَكْلَهُمْ ـ**»)[1].

والجواب:

الحديث في سنده ليلى مولاة أم عمارة قال عنها الحافظ في التقريب: مقبولة. قال الألباني رَحِمَهُ اللهُ في تحقيقه لرياض الصالحين (١٢٧٤): فيه نظر.

۞ ٥ ـ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: (أُصِيبَ سَعْدٌ يَوْمَ الْخَنْدَقِ فِي الْأَكْحَلِ فَضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ خَيْمَةً فِي الْمَسْجِدِ لِيَعُودَهُ مِنْ قَرِيبٍ فَلَمْ يَرُعْهُمْ وَفِي الْمَسْجِدِ خَيْمَةٌ مِنْ بَنِي غِفَارٍ إِلَّا الدَّمُ يَسِيلُ إِلَيْهِمْ فَقَالُوا: يَا أَهْلَ الْخَيْمَةِ مَا هَذَا الَّذِي يَأْتِينَا مِنْ قِبَلِكُمْ، فَإِذَا سَعْدٌ يَغْذُو جُرْحُهُ دَماً فَمَاتَ فِيهَا)[2].

قال الحافظ ابن حجر[3]: (إن ابن إسحاق ذكر أن الخيمة لرفيدة.. وكانت امرأة تداوي الجرحى فقال: اجعلوه في خيمتها لأعوده من قريب).

والجواب:

أن نص الحديث الذي رواه البخاري لم يذكر أنها خيمة لرفيدة.. والرواية التي ذكرها الحافظ ذكرها من طريق ابن إسحاق ولم يذكر لها سنداً لينظر في صحتها فلا يمكن الاعتماد عليها بدون معرفة صحة الرواية.

---

(١) رواه أحمد (٦/ ٣٦٥) وضعفه الألباني في السلسلة (٣/ ٥٠٢).

(٢) رواه البخاري (٤٦٣).

(٣) في الفتح (٧/ ٤١٢).



المبحث السابع

مبررات الاختلاط

حاول القائلون بجواز الاختلاط ـ وهم بعض المعاصرين ـ أن يبرروا ذلك بعدة مبررات. ونحن في هذا المبحث نستعرض تلك المبررات ونجيب عليها بإذن الله تعالى.

◌ أولاً: تنمية شخصية المرأة:

قالوا: (إن مشاركة المرأة في الحياة الاجتماعية ولقاءها الرجال يتيحان لها التعامل في كثير من مجالات الخير كما أنهما يكسبانها اهتمامات رفيعة وخبرات متنوعة. .بينما الانعزال يحرم المرأة من هذه المجالات والخبرات ويهبط بمستوى اهتماماتها، وفي أحسن الأحوال يحرمها من المجال الأقوى ويحصرها في المجال الأضعف. . .).

والجواب:

١ ـ ها هي المرأة في بلاد الحرمين وصلت إلى أعلى المستويات من العلم والخبرة والتقنية دون الحاجة إلى مقابلة الرجال فهي تتنقل في كافة مستوياتها الدراسية دون أن تقابل رجلاً وجهاً لوجه في قاعات الدراسة، وهل هناك دليل أقوى من وقوع الشيء ماثلاً للعيان؟!!

٢ ـ إن وسائل التقنية الحديثة يسرت على المسلمين الكثير ورفعت عنهم الحرج والضيق، وهي السبيل أمام النساء لكي ينمو صلاحهن وعلمهن ووعيهن فيمكن للمرأة أن تستفيد وتفيد من خلال ما يلي:

ـ دوائر التلفاز المشتركة؛ فترى المرأة العالم وتستمع إليه وتشاركه إن أرادت المشاركة دون الحاجة إلى الاختلاط ودون الانعزال عن المجتمع.

ـ حضور المساجد وبقاء المرأة في مصلى النساء وتستمع للمتحدث عبر مكبرات الصوت فلا تكون المرأة في معزل عن الناس.

ـ الاستفادة من الشريط الإسلامي، فالشريط الإسلامي حفظ للأمة تراثاً عظيماً وفقهاً واسعاً لعلمائنا ودعاتنا، فيمكن للمرأة أن تستمع إلى من شاءت من العلماء والدعاة دون الحاجة إلى السفر إليهم أو اللقاء بهم، وقد يكونون تحت الثرى وما خير ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً!!

ـ الاستفادة من شبكة العنكبوتية، فأكثر تراث العلماء موجود في تلك الشبكة، فتدخل المرأة تلك الشبكة وتأخذ ما تريد دون الحاجة إلى الاختلاط بالرجال.

ـ وسائل الاتصال ـ الهاتف أو النقال ـ والحديث مع العالم كلما سنحت الفرصة ودعت الحاجة.

ـ الإذاعة وما يطرح فيها من برامج مفيدة ونافعة.

ـ ومشاركة المرأة حتى في الأعمال الإغاثية والدعوية ممكن ومُتاح فأغلب الجهات الخيرية فيها أقسام نسائية ويتم التواصل والتنسيق والتنظير والتطبيق بأسهل الطرق وأسرعها دون حاجة للاختلاط.

◘ ثانياً: عمل المعروف:

قالوا: (لقاء النساء بالرجال يعين على عمل المعروف).

والإجابة على ذلك:

أنه يمكن أن يتم عمل المعروف من غير لقاء بين الرجل والمرأة وصور ذلك كثيرة فمنها على سبيل المثال:

ـ أن تصنع بعض المطعومات أو الملبوسات وتبيعها ومن ثم تتصدق بثمنها وهذا من عمل المعروف.

ـ أن تصنع طعاماً وترسله مع زوجها أو أحد أبنائها إلى من يحتاجه وهذا من عمل المعروف.

ـ أن ترسل إلى جيرانها ما يحتاجونه من متاع مع أحد أبنائها أو أبناء جيرانها الصغار وهذا من عمل المعروف.

ـ أن تطعم الجائع والفقير ويستقبل الضيفان وليها وهذا من عمل المعروف.

ـ أن تتصدق على الضعفاء والمساكين سواء كان ذلك مباشرة أو عن طريق المؤسسات الخيرية ونحوها، أو عن طريق الهاتف المصرفي وشبكة العنكبوتية وهذا من عمل المعروف.

ـ أن تتصدق على النساء من قريباتها وأهل بيتها وجاراتها.

ـ ولها أن تعقد الدروس في البيوت مع النساء وتكتب وتحاضر وكل ذلك من الإحسان والمعروف.

كل هذه الصور وغيرها من الصور من أعمال المعروف والتي يمكن أن تقوم بها دون الحاجة إلى أن تخالط الرجال الأجانب عنها.

ثالثاً: تبادل المشاعر بين الجنسين:

قالوا: (هل من سبيل لأن يتم تبادل هذه المشاعر النبيلة بين الرجال والنساء بغير حدوث اللقاء؟ لماذا نعطل هذه المشاعر ونحجر عليها وكأنها عمل شائن، بدعوى أمن الفتنة؟!

ألا يكفي أن نذكر الناس بتقوى الله ﷻ ونحذرهم من الفتنة ثم ندعوهم بعد ذلك يظهرون مشاعرهم النبيلة إذا أمنوا الفتنة؟!!)

والجواب على ذلك:

١ ـ هل يجب على المرأة الأجنبية أن تظهر المشاعر النبيلة للرجال الأجانب حتى تطالب به؛ فإذا لم يكن واجباً فلماذا تعرض المرأة نفسها للفتنة في أمر فيه متسع ولا حرج عليها فيه؟!

٢ ـ أن النبي ﷺ حذر من فتنة النساء؛ وأنها أول فتنة بني إسرائيل فلماذا نقدم المصلحة والتي لنا فيها مندوحة على مفسدة خاف منها النبي ﷺ وحذرنا أشد التحذير!!

والقاعدة الشرعية تنص على أن درء المفسدة الراجحة مقدم على المصلحة، إن سلّمنا جدلاً بوجود المصلحة؟

٣ - من يأمن الفتنة على نفسه ونبينا ﷺ كما في حديث عَائِشَةَ رضي الله عنها تقول: (كَانَ رَسُولَ الله ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: «**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ وَطَاعَتِكَ**» فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ: إِنَّكَ تُكْثِرُ أَنْ تَقُولَ: يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ وَطَاعَتِكَ؟ قَالَ: «**وَمَا يُؤْمِنُنِي وَإِنَّمَا قُلُوبُ الْعِبَادِ بَيْنَ أُصْبُعَيْ الرَّحْمَنِ إِنَّهُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُقَلِّبَ قَلْبَ عَبْدٍ قَلَّبَهُ**»)[1].

٤ - التذكير بالتقوى لا يكفي ثم نجمع بين الرجال والنساء؛ لأن الله تعالى لم يحرم الزنى فقط بل قال: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء: ٣٢] قال القرطبي رحمه الله: (قال العلماء: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ﴾ أبلغ من أن يقول: ولا تزنوا؛ فإن معناه لا تدنوا من الزنا).

○ رابعاً: الجهاد في سبيل الله تعالى:

مما يستدل به على جواز الاختلاط مشاركة المرأة المسلمة المجاهدين من خلال خياطة القرب وسقي العطشى وصنع الطعام ومداواة الجرحى والقيام على المرضى ورد القتلى والجرحى، وهذه لا يمكن أن تحصل دون أن يكون لقاء بين الطرفين.

والجواب على ذلك:

١ - أن مشاركة المرأة في الجهاد منسوخة.

لما رواه ابن أبي شيبة والطبراني وغيرهما عن أم كبشة القضاعية قالت: (يا رسول الله ﷺ ائذن لي أن أخرج في جيش كذا وكذا، قال: «**لا**»، قلت يا رسول الله: إني لست أريد أن أقاتل إنما أريد أن أداوي الجريح والمريض وأسقي المريض، قال: «**لولا أن تكون سنة يقال فلانة خرجت، لأذنت لك**

(١) رواه أحمد في المسند (٦/ ٢٥٠).

ولكن اجلسي»)[1]

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأخرجه ابن سعد عن ابن أبي شيبة وفي آخره: «**اجلسي لا يتحدث الناس أن محمدا يغزو بامرأة**» ويمكن الجمع بين هذا وبين ما تقدم في ترجمة أم سنان الأسلمي أن هذا ناسخ لذاك؛ لأن ذلك كان بخيبر وقد وقع قبله بأحد كما في الصحيح من حديث البراء بن عازب **وكان هذا بعد الفتح**)[2].

٢ ـ أن هذا محمول على الضرورة، والضرورة تقدر بقدرها، قال ابن حجر[3]: (وفيه جواز معالجة المرأة الأجنبية الرجل الأجنبي للضرورة، قال ابن بطال: ويختص ذلك بذوات المحارم ثم بالمتجالات منهن لأن موضع الجرح لا يلتذ بلمسه بل يقشعر منه الجلد، فإن دعت الضرورة لغير المتجالات فليكن بغير مباشرة ولا مس، ويدل على ذلك اتفاقهم على أن المرأة إذا ماتت ولم توجد امرأة تغسلها أن الرجل لا يباشر غسلها بالمس بل يغسلها من وراء حائل في قول بعضهم كالزهري، وفي قول الأكثر: تيمم، وقال الأوزاعي: تدفن كما هي. قال ابن المنير: الفرق بين حال المداواة وتغسيل الميت أن الغسل عبادة والمداواة ضرورة والضرورات تبيح المحظورات).

وقال الشوكاني[4]: (وهكذا يكون حال المرأة في رد القتلى والجرحى فلا تباشر بالمس مع إمكان ما هو دونه).

٣ ـ أن غالب المواقف التي يستدل بها كانت قبل فرض الحجاب، وقد كتبنا في ذلك مبحثاً كاملاً.

٤ ـ أن يكون خروجها مع محرمها، ومن ذلك:

عَنْ حَفْصَةَ بِنْتِ سِيرِينَ قَالَتْ: كُنَّا نَمْنَعُ جَوَارِيَنَا أَنْ يَخْرُجْنَ يَوْمَ الْعِيدِ

---

(١) رواه ابن أبي شيبة (٣٢٩٨٧) والطبراني في الكبير (٢٠٤٢٨) قال في المجمع (٥/ ٣٢٤): «رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجالهما رجال الصحيح».

(٢) الإصابة (٨/ ٢٨٣).

(٣) في فتح الباري (٦/ ٨٠).

(٤) في نيل الأوطار (٨/ ٦٣).

فَجَاءَتْ امْرَأَةٌ فَنَزَلَتْ قَصْرَ بَنِي خَلَفٍ فَأَتَيْتُهَا فَحَدَّثَتْ أَنَّ زَوْجَ أُخْتِهَا غَزَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ غَزْوَةً فَكَانَتْ أُخْتُهَا مَعَهُ فِي سِتِّ غَزَوَاتٍ. .)[١].

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ خَالَتِهِ أُمِّ حَرَامٍ بِنْتِ مِلْحَانَ قَالَتْ: (نَامَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْماً قَرِيباً مِنِّي ثُمَّ اسْتَيْقَظَ يَتَبَسَّمُ. .) إلى أن قال: (فَخَرَجَتْ مَعَ زَوْجِهَا عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ غَازِياً. .)[٢].

قال ابن عبد البر[٣]: (حديث أنس أن النبي عليه السلام كان يغزو بأم سليم ونسوة من الأنصار يسقين الماء ويداوين الجرحى، وحديث الربيع بنت معوذ بن عفراء أنه قيل لها: هل كنتن تخرجن مع رسول الله ﷺ في الغزو؟ قالت: نعم كنا نخرج معه نسقي الجرحى ونداويهم، وهذا كله مقيد بقوله عليه السلام: **«لا تسافر المرأة مسيرة يوم وليلة إلا مع زوجها أو ذي محرم منها»**).

٥ ـ أن الرسول ﷺ لم يأخذ نساءه في معركة الخندق[٤]؛ بل جعلهن في أطم من آطام المدينة فكيف لا يفعل الرسول ﷺ الفاضل لنسائه ويأخذهن للجهاد لمداواة الجرحى وسقاية القوم؟!! مما يدل على أن الأصل هو الاستغناء عن النساء في المعارك.

٦ ـ كراهية أهل العلم لدخول النساء في المعارك، قال ابن قدامة[٥]: (يكره دخول النساء الشواب أرض العدو لأنهن لسن من أهل القتال، وقلما ينتفع بهن فيه لاستيلاء الخور والجبن عليهن ولا يؤمن ظفر العدو بهن فيستحلون ما حرم الله منهن. وقد روى حشرج بن زياد عن جدته أم أبيه أنها خرجت مع رسول الله ﷺ في غزوة خيبر سادسة ست نسوة فبلغ رسول الله ﷺ فبعث إلينا فجئنا فرأينا منه الغضب فقال: **«مع من خرجتن؟»** فقلنا: يا رسول الله

(١) رواه البخاري ورقمه (٩٨٠).
(٢) رواه البخاري (٢٨٠٠) ومسلم (١٩١٢).
(٣) في الاستذكار (١/ ٣٠٢).
(٤) رواه الحاكم (٤/ ٥٦) من حديث صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها، وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه».
(٥) في المغني (٩/ ١٧٤).

خرجنا نغزل الشعر ونعين به في سبيل الله ومعنا دواء للجرحى ونناول السهام ونسقي السويق فقال: «قمن» حتى إذا فتح الله خيبر أسهم لنا، كما أسهم للرجال فقلت لها: يا جدة ما كان ذلك قالت: تمراً)[١]، قيل للأوزاعي: هل كانوا يغزون معهم بالنساء في الصوائف؟ قال: لا إلا بالجواري، فأما المرأة الطاعنة في السن وهي الكبيرة إذا كان فيها نفع مثل سقي الماء ومعالجة الجرحى فلا بأس به لما روينا من الخبر. وكانت أم سليم ونسيبة بنت كعب تغزوان مع النبي ﷺ، فأما نسيبه فكانت تقاتل وقطعت يدها يوم اليمامة، وقالت الربيع: كنا نغزو مع النبي ﷺ لسقي الماء ومعالجة الجرحى.

عَنْ أَنَسٍ قَالَ: (كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَغْزُو بِأُمِّ سُلَيْمٍ وَنِسْوَةٍ مَعَهَا مِنْ الْأَنْصَارِ يَسْقِينَ الْمَاءَ وَيُدَاوِينَ الْجَرْحَى)[٢] رواه الترمذي وصححه.

فإن قيل: فقد كان النبي ﷺ يخرج معه من تقع عليها القرعة من نسائه وخرج بعائشة مرات، قيل: تلك امرأة واحدة يأخذها لحاجته إليها ويجوز مثل ذلك للأمير عند حاجته ولا يرخص لسائر الرعية لئلا يفضي إلى ما ذكرنا).

وقال العلامة ابن باز رحمه الله تعالى: (وقد يتعلق بعض دعاة الاختلاط ببعض ظواهر النصوص الشرعية التي لا يدرك مغزاها ومرماها إلا من نور الله قلبه وتفقه في دين الله وضم الأدلة الشرعية بعضها إلى بعض وكانت في تصوره وحدة لا يتجزأ بعضها عن بعض.

ومن ذلك خروج بعض النساء مع الرسول ﷺ في بعض الغزوات، والجواب عن ذلك:

أن خروجهن كان مع محارمهن لمصالح كثيرة لا يترتب عليه ما يخشى عليهن من الفساد لإيمانهن وتقواهن وإشراف محارمهن عليهن وعنايتهن بالحجاب بعد نزول آيته بخلاف حال الكثير من نساء العصر، ومعلوم أن خروج المرأة من بيتها إلى العلم يختلف تماماً عن الحالة التي خرجن بها مع رسول الله ﷺ في الغزو. فقياس هذه على تلك يعتبر قياساً مع الفارق. وأيضاً

---

(١) رواه أبو داود ورقمه (٢٧٢٩).
(٢) رواه الترمذي ورقمه (١٥٧٥).

فما الذي فهمه السلف الصالح حول هذا وهم لا شك أدرى بمعاني النصوص من غيرهم وأقرب إلى التطبيق العملي بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ؟ فما هو الذي نقل عنهم على مدار الزمن؟ هل وسعوا الدائرة كما ينادي دعاة الاختلاط فنقلوا ما ورد في ذلك إلى أن تعمل المرأة في كل ميدان من ميادين الرجال؛ تزاحمهم ويزاحمونها وتختلط معهم ويختلطون معها؟ أم أنهم فهموا أن تلك قضايا معينة لا تتعداها إلى غيرها؟

وإذا استعرضنا الفتوحات الإسلامية والغزوات على مدار التاريخ لم نجد هذه الظاهرة، أما ما يدعى في هذا العصر من إدخالها كجندي يحمل السلاح ويقاتل كالرجال فهو لا يتعدى أن يكون وسيلة لإفساد وتذويب أخلاق الجيوش باسم الترفيه عن الجنود؛ لأن طبيعة الرجل إذا التقت مع طبيعة المرأة كان منهما عند الخلوة ما يكون بين كل رجل وامرأة من الميل والأنس والاستراحة إلى الحديث والكلام، وبعض الشيء يجر إلى بعض، وإغلاق باب الفتنة أحكم وأحزم وأبعد من الندامة في المستقبل).

٧ ـ أين الجهاد الذي يدعو إليه دعاة الاختلاط لمشاركة نساء المسلمين فيه وأن يفتح باب التطوع ـ ولو توافر الرجال ـ للمشاركة لمن آنست من نفسها قوة وهمة. .ألا يفرق بين أن تدخل المرأة سلك الجندية النظامية لتصبح ضابطة في الجيش أو حارسة أو نحوها من الأعمال وبين أن تذهب المرأة مع زوجها ومحرمها لتشارك في الجهاد إن وجد؟!!

٨ ـ جميع اللآتي شاركن في غزوات النبي ﷺ لا يتجاوز عددهن الثلاثين مما يدل على أن النساء ما كن يخرجن إلا تبعاً لأزواجهن كرسول الله ﷺ تخرج معه من خرج سهمها وإلا فالأصل أن تبقى الأم لرعاية الأمانة الكبرى في تربية الأبناء ورعايتهم.

فممن ذكر أنهن شاركن: عائشة رضي الله عنها، وأم سليم، أم سليط، الربيع بنت معوذ، أم عطية، أم سنان الأسلمية، أم أيمن، سلمى مولاة رسول الله ﷺ، كعيبة بنت سعد، أم مطاع، أم عامر الأشهلية، أم الضحاك بنت مسعود، هند بنت عمرو، أم عمارة، أم العلاء الأنصارية.

○ خامساً: العمل المهني:

قالوا: (إن من دواعي المشاركة واللقاء خروج المرأة للعمل المهني بقصد معاونة زوجها الفقير أو لكسب مال تبذله في وجوه الخير أو لأداء بعض فروض الكفاية المتعينة على النساء في مجتمعنا المعاصر).

والجواب على ذلك:

١ ـ يمكن للمرأة أن تعمل أعمالاً كثيرة وتعين زوجها وهي في بيتها دون الحاجة إلى الخروج كأن تخيط بعض الملابس ويبيعها زوجها أو تبيع هي على جاراتها وقريباتها، فهذه أم المؤمنين زينب بنت جحش ﵂ كانت تدبغ وتخرز[1]، وكانت مليكة والدة السائب بن الأقرع تبيع العطر على النساء[2].

٢ ـ لا نسلم أنه لا بد من التعامل مع الرجال في مثل ما ذكر من الأمثلة، فعلى سبيل المثال المرأة في بلاد الحرمين تذهب إلى مدرستها وتتابعها أمها من خلال الهاتف أو الزيارة، ومن ثم تنقل الأم تفاصيل البنت لوالدها.

٣ ـ وأما مهنة الطب؛ فلماذا لا تقام مستشفيات خاصة بالنساء يشرف عليها طاقم نسائي كامل وهذا موجود حتى في بلاد الغرب، وقد ظهرت نماذج ناجحة كما في الرياض والقصيم وغيرها فلماذا لا تعمم وتشجع؟

○ سادساً: تيسير الحياة:

قالوا: (إن الحياة النشطة الخيرة الطاهرة بحاجة إلى تيسير حتى لا تتوقف أو تتعطل، وحتى تمضي دون حرج أو عنت ويمضي معها المؤمنون والمؤمنات وهم في راحة وسعة، عَنْ عَائِشَةَ ﵂: أَنَّهَا قَالَتْ: مَا خُيِّرَ رَسُولُ الله ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْماً، فَإِنْ كَانَ إِثْماً كَانَ

---

(١) انظر: الإصابة (٧/ ٦٦٩)، فتح الباري (٣/ ٢٨٧).

(٢) انظر: الإصابة (٨/ ١٢٤).

أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ..)(١).

والجواب:

١ ـ أن الله تعالى ما جعل علينا في الدين من حرج، والذي يتمسك بمنهاج النبوة لن يظفر إلا باليسر والتوفيق؟ والإعانة والتسديد فسيره على المنهج الرباني سيجعله أكثر نشاطاً وحيوية وعطاء لنفسه ولأمته. قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾ [الليل: ٥ ـ ٧].

٢ ـ أن حديث عائشة المراد بقوله: (ما خير بين أمرين)؛ أي: من أمور الدنيا لا من أمور الدين كما قال ابن حجر في الفتح: قوله: (بين أمرين) أي: من أمور الدنيا يدل عليه قوله: (ما لم يكن إثماً) لأن أمور الدين لا إثم فيها.. وقوله: (إلا أخذ أيسرهما) أي: أسهلهما(٢).

٣ ـ أن أخذ النبي ﷺ بالتيسير مرهون بألا يكون إثماً، قال الحافظ رحمه الله: (وقوله: (ما لم يكن إثماً) أي: ما لم يكن الأسهل مقتضياً للإثم فإنه حينئذ يختار الأشد، وفي حديث أنس عند الطبراني في «الأوسط»: (إلا أختار أيسرهما ما لم يكن لله فيه سخط)(٣) والاختلاط الذي نحن بصدده دلت الأدلة الشرعية والعقلية والواقعية أنه إثم وأي أثم بل مجلبة عار سوء على الجميع.

قال الحافظ رحمه الله: (وفي الحديث الحث على ترك الأخذ بالشيء العسر والاقتناع باليسر وترك الإلحاح فيما لا يضطر إليه ويؤخذ من ذلك الندب إلى الأخذ بالرخص ما لم يظهر الخطأ)(٤).



(١) رواه البخاري (٣٥٦٠) ومسلم (٢٣٢٧).
(٢) فتح الباري (٦/ ٥٧٥).
(٣) فتح الباري (٦/ ٥٧٥).
(٤) فتح الباري (٦/ ٥٧٦).



المبحث الثامن

شبهات فكرية في جواز الاختلاط

* **الشبهة الأولى**: قالوا: (الواقع أن المسلمين منذ عهد الرسول ﷺ كانوا يؤدون الصلاة في مسجد واحد الرجل والمرأة ولذلك فإن التعليم لا بد أن يكون في مكان واحد).

والجواب من وجوه:

أولاً: أن النساء كن في مؤخرة المسجد مع الحجاب والعناية والتحفظ مما يسبب الفتنة، والرجال في مقدمة المسجد، بل كان الرسول ﷺ يبين أن خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها ولقد كانت المرأة تقف خلف الصبيان، والصبيان يقفون خلف الرجال، فعن أنس قال: قام ﷺ في بيت أم سليم، فقمت ويتيم خلفه، وأم سليم خلفنا. وفي رواية: «والعجوز وراءنا»(١).

ثانياً: حديث ابن عباس في صلاة العيد، وفيه: (ثُمَّ أَتَى النِّسَاءَ وَمَعَهُ بِلَالٌ فَوَعَظَهُنَّ وَذَكَّرَهُنَّ وَأَمَرَهُنَّ بِالصَّدَقَةِ فَرَأَيْتُهُنَّ يَهْوِينَ بِأَيْدِيهِنَّ يَقْذِفْنَهُ فِي ثَوْبِ بِلَالٍ ثُمَّ انْطَلَقَ هُوَ وَبِلَالٌ إِلَى بَيْتِهِ)(٢) يدل على انفصالهن وحرص الرسول ﷺ على بعد النساء عن الرجال حتى في أماكن العبادة.

ثالثاً: تقدم إنكار النبي ﷺ على النساء اختلاطهن بالرجال بعد الانصراف من الصلاة فهل يجيز ﷺ اختلاطهن بالرجال في المسجد أو غيره؟!

رابعاً: تقدم أمره ﷺ بتخصيص باب للنساء فهل يساعد هذا الحديث دعاة الاختلاط في تقوية شبهاتهم؟

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه البخاري (٩٧٧).

خامساً: قياس حضور النساء في المساجد على المدارس قياس مع الفارق، وذلك أن زمن التعليم في المدارس طويل جداً فهل يقارن بزمن بقاء المرأة في المسجد؟ مع بعدها عن الرجال؟

سادساً: أنه ثبت من خلال الدراسات المتقدمة أن انفصال الطالب عن الطالبة في قاعات الدراسة أفضل دراسياً وفكرياً وخلقياً، وقد تقدم ذكر شيء من ذلك في آثار الاختلاط

سابعاً: مع إذن النبي ﷺ للنساء بالصلاة في المسجد إلا أنه قال: **«وبيوتهن خير لهن»**[١].

* **الشبهة الثانية**: قالوا: (إن المجتمع الانفصالي الذي لا يختلط فيه النساء بالرجال، يشيع فيه الشذوذ الجنسي بنسبة ٨٥٪ بين الرجال و٦٥٪ بين الإناث)[٢].

أولاً: هذا الكلام من الوجهة الواقعية كذب وافتراء.. وهذا المجتمع الانفصالي الذي يذكرونه خير من مجتمعاتهم التي نقرأ في صحفهم كل صباح من الفضائح الجنسية والخيانات الزوجية ما تفزع له الأفئدة، وتندى له الجباه!

ثانياً: أما من الناحية العلمية التجريبية فإن إباحة الاتصال بين الفتيان والفتيات لا يمنع الشذوذ الجنسي أو يحول دون وجوده، فالشذوذ الجنسي موجود في بعض الدول الأوربية المتقدمة.. الناهضة ـ بزعمهم ـ الظافرة بأقساط وافرة من الثقافة والسياسة، مع أن المرأة هناك خالعة لباس العفة والحياء حتى إن الرجال والنساء يلتقون اللقاء الجنسي الطبيعي في حدائقها العامة، ولا رقيب عليهم ولا حسيب من رجال الشرطة أو رجال الأخلاق.

وتفسير هذه الظاهرة في أوربا أن الرجال من كثرة عرض النساء لمفاتنهن ومحاسنهن، انصرفوا إلى شيء جديد أو شيء ممنوع، وقد عالج هتلر هذه العلة الاجتماعية عندما تولى زعامة ألمانيا، بسياسة الفتك بمرضى الشذوذ الجنسي في غير رحمة ولا لين.

---

(١) رواه أبو داود (٥٦٧) وحسنه الألباني في الإرواء (٢/ ٢٩٣).

(٢) مكانك تحمدي ص١٦٢.

ثالثاً: من سوء حظ دعاة الاختلاط بين الجنسين، أن كل يوم يمر يثبت خطأ ما يدعون إليه، ويبطل حجتهم ويفضح نيتهم.. ولن نذكر الأدلة الشرعية، وإنما نحدثهم بأسلوبهم، ونخوض معهم فيما تخوض الحضارة الغربية فيه، وهي التي سحرتهم ببريقها الخداع، ونكشف لهم ما تتلظى فيه هذه الحضارة الساحرة من نار وعار.

تقول الدكتورة (ماريون هيلارد) في مجلة (ريدرز دايجست) وهي رئيسة قسم أمراض النساء بمستشفى جامعة (تورنتو):

إن ما يزعم الزاعمون من أن الحرمان الجنسي إنما يعالج بالاختلاط والمصادقة بين الرجل والمرأة غير سليم.. ذلك أن الانغماس في العلاقات الجنسية ليس حلاً للمشكلة وإنما حلها بممارسة نشاط بدني عنيف حرفي أو مهني، وبالتطوع في عمل خيري يستغرق الجهد والوقت جميعاً[1] وإني كطبيبة أعتقد أنه ليس بالإمكان قيام علاقة بريئة من الشهوة بين رجل وامرأة ينفرد أحدهما بالآخر أوقاتاً طويلة، وما أكثر ما وقعت الواقعة بينهما، وكنت بحكم عملي ـ ألتقي أولئك الفتيات غير المتزوجات اللائي يوشكن أن يصبحن أمهات فكنت أسأل بعضهن ممن يتميزن بالذكاء والحس المرهف: كيف أمكن أن يحدث ذلك؟ فكانت الفتاة تجيبني قائلة: لم أستطع أن أضبط نفسي.. وحتى الزوجات اللاتي يرتكبن نفس الخطيئة كن ينتحبن قائلات: لم نستطع أن نضبط أنفسنا.. ومع ذلك فقد كان في مقدورهن أن يتفادين الكارثة لو لم يتركن أزواجهن ويصاحبن الأصدقاء أثناء العودة إلى البيت أو الذهاب إلى النادي.

وهكذا نرى في العلاقة بين المرأة والرجل لحظة لا يمكن أن يتحكم الإنسان أثناءها في عواطفه أو يسيطر عليها ومن ثم يضيع شرف المرأة إلى الأبد[2]..

---

(١) مجلة المختار مايو ١٩٥٦م نقلاً من كتاب: مكانك تحمدي ص١٧٠.

(٢) مكانك تحمدي ص١٧٠.

رابعاً: وأخيراً نقدم لهؤلاء (الاختلاطيين) إحصاء نشرته مجلة عربية أخرى..عن جرائم الحب في مدينة واحدة.. حيث بلغت (٢٥٩٩٩) جريمة بعضها سرقات من أجل الحب، وبعضها خيانات زوجية وحوادث انتحار، وتغرير واعتداء وخطف وقتل، كلها حدثت في عام واحد..من أجل ابتسامة أو ضحكة أو إشارة، ينطلق معها الوحش الكامن في الأعماق، ثم قالت المجلة: إن رجال المباحث يقولون: مع ذلك فهناك آلاف الجرائم التي لا يبلغ عنها[(١)].

* **الشبهة الثالثة**: قالوا (إن التعليم من شأنه أن يرتفع بعقل المرأة عن مستوى عبث الغرائز ولهو العواطف).

والجواب:

قد رأينا فيما سبق ـ في آثار الاختلاط ـ كيف أن التعليم وهيبة المكان الذي يجري فيه، وهيبة الأشخاص الذين يقومون به، لم يمنع كل ذلك فتيات الجامعات من وضع الأصباغ على وجوههن، وحمل المرايا في حقائبهن للتطلع بين لحظة وأُخرى إلى منظرهن، وإصلاح ما اضطرب من نظام شعرهن وإعادة صبغ ما نصل من مساحيقهن.. ولم يمنعهن ذلك عن لبس الثياب الشفافة القصيرة، ولم يمنعهن بالتالي من تبادل لنظرات الهوى، وهمسات الغزل، فيما بينهن وبين الشباب.

إن التعليم شيء، والتقويم شيء آخر، ولا يلزم ازدياد العلم في شخص أن يزداد خلقاً حسناً.. والمسألة عندنا مسألة حياء، والذي يربي الحياء في النفوس القدوة الحسنة في التدين الصحيح في الآباء والأمهات والمدرسين.

وتقول الملكة دينا وهي التي كانت طالبة جامعية ثم مدرسة في الجامعة المصرية: إن تأثير العلم في عقل المرأة طفيف، بدليل أني قابلت سيدات لم يتعلمن ومع ذلك فهن أكبر عقلية وفهماً وثقافة بمعناها الواسع من كثير من طالبات الجامعات[(٢)].

---

(١) مجلة آخر ساعة ١٥ مايو ١٩٥٧م. نقلاً من كتاب: مكانك تحمدي ص١٧٢.

(٢) مجلة (آخر ساعة) فبراير ١٩٥٧م نقلاً من كتاب: مكانك تحمدي ص٩٢.

* **الشبهة الرابعة:** قالوا: الاختلاط يزيل الشعور بعدم الثقة بين الرجل والمرأة.

والجواب:

أولاً: هل يمكن أن يثق رجل بنفسه إذا اختلط بامرأة، ورسول الله ﷺ يحذر أمته ويقول: «**إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ**». وَفِي حَدِيثِ ابْنِ بَشَّارٍ (**لِيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ**)(١)، وكيف تحصل الثقة ورسول الله ﷺ يقول: «**مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ**»(٢).

ثانياً: هل يمكن أن ينزع الإنسان من قلبه الغريزة الفطرية التي جعلها الله في العباد فالرجل بفطرته يميل إلى المرأة، والمرأة بفطرتها تميل إلى الرجل، فإذا حصل الاختلاط فإنه لا تخشى عواقبه لهذه الفطرة الموجودة في قلبيهما!!

ثالثاً: هل حصلت الثقة عندما جرى الاختلاط في البلاد العربية؟!! وهل سلمت المرأة من الاعتداء عليها؟!! ومضايقتها وغمزها ولمزها ونحو هاتيك التحرشات!! إن الواقع يثبت خلاف ذلك فنقول للعقلاء: ألا يكفي الواقع دليلاً لكم على خطورة الاختلاط؟

* **الشبهة الخامسة:** قالوا: نقلت كتب التاريخ والتراجم عن بعض شهيرات النساء المسلمات على اختلاف طبقاتهن كن يلتقين بالرجال في ندوات أدبية وعلمية دون ما تحرز أو حرج.

وجواب هذه الشبهة من وجوه:

أولاً: أن نسألهم: من المعلوم أن الأحكام الشرعية لا تثبت إلا بأدلتها

(١) رواه مسلم ورقمه (٢٧٤٢) من حديث أبي سعيد الخدري ﵁.
(٢) رواه البخاري ورقمه (٥٠٩٦) من حديث أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ ﵄.

المستقاة من مصادرها، وهي الكتاب والسنة والإجماع والقياس، فضمن أي مصدر من مصادر التشريع تندرج هذه الدعوى وهذه الأخبار التي تحتجون بها، وبخاصة أن أغلبها وقع بعد زمن التشريع وانقطاع الوحي؟

ثانياً: إذا علمنا أن الأحكام الشرعية إنما تستقى من الكتاب والسنة الصحيحة والإجماع المعتبر والقياس الصحيح، لم يصح حينئذ الاستدلال بالتصرفات الفردية من آحاد الناس، وهو ما يسميه الأصوليون بوقائع الأحوال، فإن كانت هذه الوقائع من آحاد الناس لا تعتبر دليلاً شرعياً لأي حكم شرعي حتى لو كان صاحبها من الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ أو التابعين من بعدهم، فكيف بمن دونهم؟

بل المقطوع به عند المسلمين أن أعمال الناس وتصرفاتهم هي التي توزن ـ صحة وبطلاناً ـ بالشرع، وليس الشرع هو الذي يوزن بتصرفاتهم ووقائع أحوالهم، وصدق القائل: «لا تعرف الحق بالرجال، ولكن اعرف الحق تعرف أهله».

ثالثاً: لا بد كي يكون لتصرف الشخص قوةَ الدليل الشرعي ـ دون الحاجة للاعتماد على دليل آخر ـ أن يكون هذا الشخص معصوماً عن الخطأ ومنزهاً عن العصيان، كحال الرسول ﷺ.

وليس ذلك إلا للأنبياء، عليهم وعلى خاتمهم الصلاة والسلام، أما من عداهم فحق عليه قوله ﷺ: **«كل ابن آدم خطّاء»**[1]. وقول ابن عباس رضي الله عنهما: **«ليس أحد إلا يؤخذ من قوله ويدع غير النبي ﷺ»**[2].

رابعاً: ما بال هؤلاء الدعاة إلى السفور والاختلاط قد عمدوا إلى كتب التاريخ والتراجم فجمعوا أسماء مثل هؤلاء النسوة من شتى الطبقات والعصور، وقد علموا أنه كان إلى جانب كل واحدة منهن سواد عظيم، وجمع

---

(١) رواه الترمذي (٢٤٩٩) من حديث أنس رضي الله عنه وحسنه الألباني.

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١١/ ٣٣٩) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٤٣٠) رواه الطبراني في الكبير ورجاله موثقون.

غفير، من النساء المتحجبات الساترات لزينتهن عن الأجانب من الرجال؟

فلماذا لم يعتبر بهذه الجمهرة العظيمة ولم يجعلها حجة بدلاً من حال أولئك القلة الشاذة المستثناة التي أضنت من يبحث عنها؟ ولماذا لم يحتج بمواقف نساء السلف من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان في تمسكهن بالحجاب الكامل، واعتباره أصلاً راسخاً من أصول الدين الاجتماعية؟!

* **الشبهة السادسة:** قولهم (... المسلمين في جميع أنحاء العالم الإسلامي تختلط النساء بالرجال ولا يحصل ما ذكرته بل إن هناك احترام وحشمة).

وجواب هذه الشبهة:

أن هذه دعوى تحتاج بينة لأن الدراسات والأرقام ونداءات العقلاء في الشرق والغرب، تقول غير ذلك فمثلاً هذه دراسة أعدها مركز دراسات المرأة والطفل بالقاهرة على (١٤٧٢ فتاة وسيدة) كما في مجلة الأسرة ـ صفر ـ ١٤٢٠هـ: (٧٠٪ تعرضن إلى مضايقات وإهانة في أماكن عملهن، ٤٠٪ من المضايقات تأخذ شكلاً جنسياً، ٣٠٪ معاكسة بالألفاظ الجارحة، ١٧٪ التحرش الجنسي، ٢٣٪ منهن لديهن حالة من الخوف والإحباط والارتباك والخوف بسبب المضايقات وتولد لديهن إحساس بالإهانة والغضب والرغبة في الانتقام والمواجهة...).



الخاتمة

وختاماً: حمداً لك اللهم وشكراً أن أعنتَ ويسرت إتمام هذا البحث المهم والذي تناولنا من خلاله واحدة من أخطر النوازل التي أدلفت على ديار المسلمين وألقت بظلالها الكئيبة في مجتمعاتنا بفعل عوامل كثيرة يقف على رأسها تلكم الدعوات المشبوهة والأطروحات البائسة التي تزعم لواءها دعاةُ التغريب من جهة وبعض المتساهلين من المنتسبين للعلم من جهة ثانية؛ إما جرياً وراء حظوظ النفس والهوى أو تعلقاً بشبهات متهافتة، وأدلة لا تقوى على الصمود أمام كم هائل من النصوص الثابتة القوية والتي سقنا طرفاً منها ـ ولم نشأ الاستقصاء ـ وأثبتنا للقارئ الحصيف خطورة الاختلاط وحرمته وسوء عواقبه وخبث آثاره ونتائجه معرجين على تجارب الغرب مع هذه الآفة الخطيرة وما خلفته من الآثار الوخيمة اجتماعياً وأخلاقياً واقتصادياً وصحياً، وسقنا نماذج حية وقصصاً واقعية كغيض من فيض مما لدى القوم كما ذكرنا بعضاً من صيحات بعض العقلاء لديهم ممن اكتووا بنيران الاختلاط وذاقوا غصته ومرارته.

والله المسؤول أن يحفظ بلاد المسلمين وأخلاقهم وقيمهم وأعراضهم وأن يجنبهم الشرور والفتن والفواحش والمحن وأن يهدي ضال المسلمين..

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه، إنه جواد كريم.

المؤلفان

فهرس الكتاب

الموضوع الصفحة

دار ابن الجوزي 8428146
134520